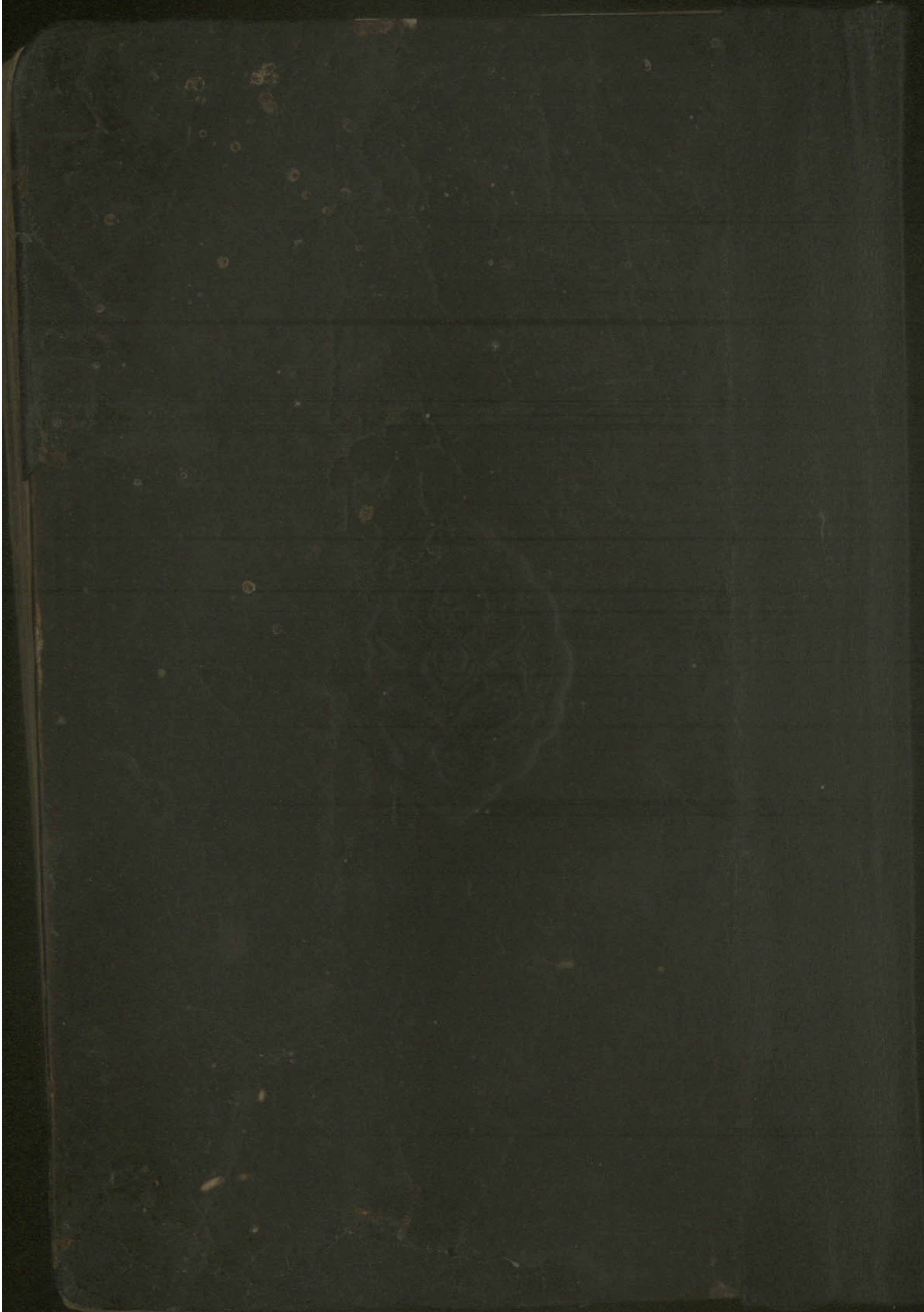


۱۰۷۰ / خطی مرکز

۱۰۹۱
۱۷۱۹۲

احیاء العلوم الدین

عربی

ابو حامد محمد غزالی

عبدالهادی بن عبدالواسع الهروی

سده ۷

۱۰۷۰

۱۰۹۱
۱۷۱۹۲

احیاء العلوم الدین

عربی

ابو حامد محمد غزالی

عبدالهادی بن عبدالواسع الدری

سده ۷

المجلده الاولى من كتاب

احيا علوم الدين وهو ربع العبادات

تصنيف الامام حجة الاسلام ابي حامد

محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه

١٧١٩٢

المجلد الاول من كتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام حجة الإسلام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه
وجزاه عن المسلمين خيرا أحمد الله أولا حمدا كثيرا متواليا
وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين وأصلي على رسوله
ثانيا صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين واستخيره سبحانه
ثالثا فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين وأنتدب
لقطع تعجبك رابعا أيها العاذل الغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين
المسرف في التقريع والإنكار من بين طبقات المنكرين الغافلين
فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة
النطق ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في
نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا
عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم
طمعا في نيل ما تعبده الله من تزكية النفس وإصلاح القلب
وتداركا لبعض ما فرط من إضاعة العمر يأسا عن تمام التلافي
والجبر وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات
الله عليه وسلامه أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه
الله بعلمه ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذي عم
الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر
والجهل بأن الأمر إد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة
والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق
سد وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد
وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد

فأدلة

فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغر منهم الزمان ولم يبق
إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان فأصبح كل
واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى
ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمسا ولقد خيلوا إلى الخلق
أن لا علم إلا فتوى حكومة يستعين بها القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام
أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به
الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة
للحطام وأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله في
كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد أصبح من بين الخلق
مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا مدلهما
رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما إحياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الأئمة
المتقدمين وإيضاحا لمباهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين
ولقد أسسته على أربعة أرباع ربع العبادات وربع العادات
وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية
المهم لأكشف أولا عن العلم الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله حيث
قال طلب العلم فريضة على كل مسلم وأميز فيه العلم النافع عن الضار إذ قال عليه السلام
نعوذ بالله من علم لا ينفع وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم
بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب ويشتمل ربع العبادات
على عشرة كتب: كتاب العلم وكتاب قواعد العقائد
وكتاب أسرار الطهارة وكتاب أسرار الصلاة وكتاب أسرار الزكوة
وكتاب أسرار الصوم وكتاب أسرار الحج وكتاب آداب القرآن
وكتاب الأذكار والدعوات وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات

واما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب آداب الاكل
وكتاب آداب النكاح وكتاب احكام الكسب وكتاب الحلال والحرام
وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق وكتاب العزلة وكتاب آداب السفر
وكتاب السماع والوجد وكتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة

واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب شرح عجائب القلب
وكتاب رياضة النفس وكتاب آفات الشهوتين البطن والفرج وكتاب آفات اللسان
وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والبخل
وكتاب ذم الجاه والرياء وكتاب ذم الكبر والعجب وكتاب الغرور

واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب

كتاب التوبة
كتاب الصبر والشكر كتاب الخوف والرجاء كتاب الفقر والزهد
كتاب التوحيد والتوكل كتاب المحبة والشوق والرضا كتاب النية والصدق والاخلاص
كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر كتاب ذكر الموت وما بعده

فاما ربع العبادات فاذكر فيه من خفايا ادابها ودقائق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الاخرة من لم يطلع عليه واكثر ذلك مما اهمل في فن الفقهيات واما ربع العادات فاذكر فيه اسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني متدين عنها واما ربع المهلكات فاذكر فيها كل خلق مذموم ورد القران باماطته وتزكية النفس منه وتطهير القلب عنه واذكر في كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الافات التي عليها تترتب ثم

العلامات

العلامات التي بها تعرف ثم طرق المعالجة التي بها منه يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الايات والاخبار والاثار واما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين واذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف وفضيلتها التي لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف في بعض هذه المعاني كتب ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة امور الاول حل ما عقدوه وكشف ما اجملوه الثاني ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه الثالث ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه الرابع حذف ما كرروه الخامس تحقيق امور غامضة اعتاصت على الافهام لم يتعرض لها في الكتب اصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر ان يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لامر يخصه يغفل عنه رفقاؤه او لا يغفل عن التنبيه له ولكن يسهو عن ايراده في الكتب او لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وانما حملني على تاسيس الكتاب على اربعة ارباع امران احدهما وهو الباعث الاصلي ان هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري لان العلم الذي يتوجه به الى الاخرة ينقسم الى علم المعاملة والى علم المكاشفة واعني بالمكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط واعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال له والعلماء ورثة الانبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التاسي والاقتداء ثم ان علم المعاملة ينقسم

الى علم ظاهر اعني العلم باعمال الجوارح والجاري على الجوارح اما عبادة واما عادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر وباطن فالشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق باحوال القلب واخلاق النفس انقسم الى مذموم ومحمود فكان المجموع اربعة اقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الاقسام

الباعث الثاني اني رايت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله للتدرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على اربعة ارباع والمتزيي بزي المحبوب محبوب فلم ابعد ان يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الروسا الى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون انسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب الى العلم الذي يفيد حياة الابد اهم من التلطف في اجتذابها الى الطب الذي لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والارواح المتوصل به الى حياة تدوم ابد الاباد فاين منها الطب الذي يعالج به الاجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في اقرب الاماد فنسال الله التوفيق للرشاد والسداد انه الكريم الجواد

كتاب العلم وفيه سبعة ابواب

الباب الاول في فضل العلم والتعليم والتعلم

الباب الثاني في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الاخرة وعلم الدنيا

الباب الثالث فيما يعده العامة من علوم الدين وليس منه وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره

الباب الرابع في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل

الباب الخامس في اداب المعلم والمتعلم

الباب السادس في آفات العلم والعلما والعلامات الفارقة بين علما الدنيا والاخرة

الباب السابع في العقل وفضله واقسامه وما جاء فيه من الاخبار

الباب الاول

الباب الاول في فضل العلم والتعليم والتعلم

وشواهده في النقل والعقل

فضيلة العلم شواهدها من القران قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم فانظر كيف بدا بنفسه وثنى بملائكته وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلا ونبلا وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس للعلما درجات فوق المومنين بسبع مائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمس مائة عام وقال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير بين ان عظم قدر الاخرة يعلم بالعلم وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقايع الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبيا في كشف حكم الله وقيل في قوله تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى اي الحيا وقال تعالى ولقد جيناهم بكتاب فصلناه على علم وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان

الاخبار

قال النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال عليه السلام العلما ورثة الانبيا ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال عليه السلام يستغفر للعالم ملائكة السموات والارض واي منصب يزيد على منصب من يشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال عليه السلام ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الاخرة خير وابقى وقال عليه السلام خصلتان لا يكونان في

منافق حسن سمت ولا فقه في دين ولا تحسن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان
فانه ما اراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي بيان معنى الفقه وادنى درجات الفقيه ان يعلم
ان الاخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت برأته من النفاق
والريا وقال عليه السلام افضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغني
عنه اغنى نفسه وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته
العلم وقال عليه السلام اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل
العلم فدلوا على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم وقال
عليه السلام موت قبيلة ايسر من موت عالم وقال عليه السلام الناس معادن خيارهم في
الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وقال عليه السلام يوزن يوم القيامة مداد
العلماء ودم الشهداء وقال عليه السلام من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة
حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال عليه السلام من
حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله يوم القيامة فقيها عالما وقال عليه السلام اوحى الله
تعالى الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم وقال عليه السلام العالم امين الله في الارض
وقال عليه السلام صنفان من امتي اذا صلحا صلح الناس الامراء والفقهاء وقال عليه السلام اذا اتى
علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم
وقال عليه السلام في تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد كفضلي
على ادنى رجل من اصحابي فانظر كيف ترك العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط
رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب
عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة
البدر على سائر الكواكب وقال عليه السلام يشفع يوم القيامة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم
الشهداء فاعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة وقال
عليه السلام ما عبد الله بشيء افضل من فقه في دين ولفقيه واحد اشد على الشيطان
من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال عليه السلام خير دينكم ايسره

وافضل

وافضل العبادة الفقه وقال عليه السلام فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون
درجة وقال عليه السلام انكم اصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه
كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير
خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وقال عليه السلام بين
العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة
قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال العلم بالله تعالى قيل اي الاعمال
تريد قال العلم بالله تعالى فقيل نسال عن العمل وتجيب عن العلم فقال ان قليل
العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال عليه السلام يبعث الله
العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم
الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم
الاثر قال علي رضوان الله عليه يا كميل العلم خير من المال العلم
يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه
النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال العالم افضل من الصائم القائم المجاهد
فاذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال ايضا نظما

ما الفخر الا لاهل العلم انهم ... على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرء ما كان يحسنه ... والجاهلون لاهل العلم اعداء
ومن تعلم لا تبغي به بدلا ... فالناس موتى واهل العلم احياء

وقال ابو الاسود ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على
الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنه خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم
والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك
عن الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين
ياكلون بدينهم ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التي بها يتميز الناس
عن سائر البهائم هو العلم فالانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوته

شخص فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع
اشجع منه ولا بالماكل فان الجمل اوسع بطنا منه ولا ليجامع فان اخس العصافير
اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال بعض الحكما ليت شعري
اي شي ادرك من فاته العلم واي شي فاته من ادرك العلم وقال فتح الموصلي
اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدوا يموت قالوا نعم قال كذلك
القلب اذا منع عنه الحكمه والعلم ثلاثه ايام يموت ولقد صدق فان غذا
القلب العلم والحكمه وبهما حياته كما ان غذا الجسم الطعام ومن فقد العلم فقلبه
مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان
غلبه الخوف قد تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط
الموت عنه اعبا الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس
المغموم من سكره بما اصابه من الجراحات في حال السكر او الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف
الغطا فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن يوزن مداد العلما
بدم الشهدا وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه
ان تموت رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهدا ان
يبعثهم الله علما لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم
وقال ابن عباس تذاكر العلم بعض ليله احب الي من احيايها وكذا عن ابي هريره واحمد
بن حنبل رحمهما الله وقال الحسن في معنى قوله تعالى ربنا اتنا في الدنيا حسنه هي العلم والعباده
وفي الاخره حسنه هي الجنه وقيل لبعض الحكما اي الاشيا تقتنى قال الاشيا
التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل اراد بغرق السفينه
هلاك جسده بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمه لجاما اتخذه الناس اماما
ومن عرف بالحكمه لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعي رضي الله عنه من شرف
العلم ان كل من نسب اليه ولو في شي حقير فرح ومن دفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه
ايها الناس عليكم بالعلم فان لله رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله بردايه

فان اذنب

فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى
يموت وقال الاحنف كاد العلما ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل
مصيره وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني مولاي بثلاثمايه درهم واعتقني فقلت باي شي
احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنه حتى اتاني امير المدينه زايرا فلم اذن له
وقال الزبير بن ابي بكر كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم فانك اذا افتقرت كان لك
مالا واذا استغنيت كان لك جمالا وحكي ذلك في وصايا لقمن لابنه وقال يا
بني جالس العلما وزاحمهم بركبتك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمه كما يحيي الارض
بوابل السما وقال بعض الحكما اذا مات العالم بكاه الحوت في الما والطير في
السما ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري العلم ذكر ولا يحبه الا
ذكور الرجال

في فضيله التعلم

اما الايات فقوله
تعالى فلولا نفر من كل فرقه منهم طايفه ليتفقهوا في الدين وقوله تعالى فسلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون واما الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم
من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنه وقال عليه السلم
ان الملايكه لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وقال لان تغدو
فتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مايه ركعه وقال عليه السلم باب من العلم يتعلمه
الرجل خير له من الدنيا وقال عليه السلم العلم خزاين مفاتيحها السوال فسلوا
فانه يوجر فيه اربعه السايل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال عليه السلم
لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه وفي حديث ابي ذر
حضور مجلس علم افضل من صلاه الف ركعه وعياده الف مريض وشهود الف جنازه
فقيل يا رسول الله ومن قراه القران فقال وهل ينفع القران الا بالعلم وقال عليه السلم
من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبيا في الجنه درجه
واحده واما الاثار فقال ابن عباس رضي الله عنه ذللت طالبا فعززت مطلوبا
وكذلك قال ابن ابي مليكه ما رايت مثل ابن عباس اذا رايته رايت احسن الناس وجها فاذا
تكلم فاعرب الناس لسانا

فاذا افتى فاعلم الناس علما وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه
الى مكرمة وقال بعض الحكماء اني لا ارحم رجالا كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم
ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب العلم وقال ابو الدرداء لان اتعلم مسالة احب
الي من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا
خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطا
مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر موت الف عابد
قائم الليل والنهار اهون من موت عاقل بصير بحلال الله وحرامه وقال
الشافعي رضي الله عنه طلب العلم افضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم كنت عند مالك اقرا
عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي قمت اليه بافضل
مما كنت فيه اذا صحت النية وقال ابو الدرداء من راى ان الغدو الى العلم ليس
بجهاد فقد نقص في رايه وعقله

فضيلة التعليم

اما الايات فقوله تعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد منه التعليم
والارشاد وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه وهو ايجاب التعليم وقوله تعالى وقوله تعالى وان فريقا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم الكتمان كما قال في الشهادة ومن
يكتمها فانه اثم قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما اتى الله عالما علما الا اخذ عليه
من الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه ولا يكتمه وقال تعالى ومن احسن قولا ممن
دعا الى الله وعمل صالحا وقال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقال تعالى
ويعلمهم الكتاب والحكمة واما الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها
وقال من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين صديقا وقال عيسى عليه السلام
من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات وقال النبي عليه السلام اذا كان
يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل
علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى انتم عندي كبعض ملائكتي

اشفعوا

اشفعوا فيشفعون فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم
لا اللازم الذي لا يتعدى وقال ان الله تعالى لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان
يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم
حتى اذا لم يبق الا رؤساء جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وقال عليه السلام
من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار وقال نعم العطية ونعم الهدية
كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة
وقال عليه السلام الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلما او متعلما
وقال عليه السلام ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها والحوت
في البحر ليصلون على معلم الناس الخير وقال عليه السلام ما افاد المسلم اخاه فائدة
افضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال عليه السلام كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها
ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراى مجلسين
احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسالون
الله فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما
ثم عدل اليهم وجلس معهم وقال مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث
الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت
منها بقعة امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت
منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني
للنافع والثالث للمحروم منهما وقال عليه السلام اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من
ثلث علم ينتفع به الحديث وقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها وقال عليه السلام
الدال على الخير كفاعله وقال عليه السلام على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين
يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله

الاثار

قال عمر رضي الله عنه من
حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل وقال ابن عباس رضي الله عنهما معلم الخير
يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض الحكماء العالم يدخل فيما بين
الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وقد روي ان سفيان الثوري قدم عسقلان فمكث ايام

ولا يسلبه انسان فقال الكبر والى الاخرج وهذا البلد هذا البلد هو فيه العلم
وانما قال ذلك لحرصه على فضيلة التعليم واستفشا العلم وقال عطاء دخلت
على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال ليس احد يسالني عن شي وقال
بعضهم العلما سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضي به اهل عصره وقال
الحسن لولا العلما لصار الناس مثل البهايم اي بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية
الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه
فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلما ارحم بامة محمد من ابايهم
وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان اباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا
وهم يحفظونهم من نار الاخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع
ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك
اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل في
التعليم والتعلم ورايته ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه
عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلم صدقة
وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على
السرا والضرا والوزير عند الاخلا والقريب عند الغربا ومنار سبيل الجنة
يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة هداة يقتدى بهم ادلة في الخير
تقتص اثارهم وترمق افعالهم وترغب الملايكة في خلتهم باجنحتها تمسحهم
وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه
والسما ونجومها لان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان
من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل
بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله تعالى وبه يعبد وبه يوحد وبه
يتورع وبه توصل الارحام هو امام والعمل تابعه يلهمه السعدا ويحرمه
الاشقيا

في الشواهد العقلية

اعلم ان المطلوب من هذا
الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد

منها لم

منها لم يمكن ان تعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من
طمع ان يعرف ان زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها والفضيلة
ماخوذة من الفضل وهو الزيادة فاذا تشارك شيان في امر واختص احدهما بمزيد
يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشي كما يقال الفرس
افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة
العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زايدة لم يقل انه افضل لان
تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى وليس من الكمال في شي والحيوان مطلوب لمعناه
وصفاته لا لجسمه فاذا فهمت هذا لم يخف عليك ان العلم فضيلة ان اخذته بالاضافة
الى ساير الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليس فضيلة على الاطلاق
فالعلم فضيلة في ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله تعالى وبه
شرف الملايكة والانبيا بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من
غير اضافة واعلم ان الشي النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما
يطلب لذاته والذي يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب
لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة لهما ولولا ان الله سبحانه يسر قضا
الحاجات بهما لكانا والحصبا بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة
في الاخرة ولذة النظر الى وجه الله سبحانه والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن
فان سلامة الرجل مطلوبة من حيث انه سلامة عن الالم ومطلوب للمشي بها
والتوصل الى المارب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم
وجدته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الاخرة
وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشيا
رتبة في حق الادمي السعادة الابدية وافضل الاشيا ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل
اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل الا بالعلم بكيفية العمل فاصل السعادة
في الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذن افضل الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشي ايضا بشرف

ثمرته

بخاصيته ع

والى ما يطلب لذاته ولغيره ع

وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من الله تعالى والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة
الملأ الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك
ولزوم الاحترام في الطباع حتى أن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون
طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل
البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتميز الإنسان بكمال مجاوز لدرجتها
هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتي وتتفاوت لا محالة فضائلها
بتفاوتها وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فإن العلم إذا كان
أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل وكان تعليمه إفادة للأفضل وبيانه
أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا انتظام للدين إلا بانتظام الدنيا
فإن الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله لمن اتخذها آلة ومنزلا ولمن
اتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم
وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام أحدها أصول
لا قوام للعالم دونها وهي أربعة أصول الزراعة وهي للمطعم والحياكة
وهي للملبس والبناء وهو للمسكن والسياسة وهي للتألف
والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها الثاني
ما هي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فإنها
تخدم الزراعة وجملة الصناعات بإعداد آلاتها وكالحلاجة والغزل
فإنها تخدم الحياكة بإعداد محلها الثالث ما هي متممة
للأصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة
وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة
إليه فإنها ثلاثة أضرب إما أصول كالكبد والقلب والدماغ
وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة
وإما مكملة لها ومزينة لها كالأظفار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه
الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح

ولذلك

ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا تستدعيه سائر الصناعات
ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة في
استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على
أربع مراتب الأولى وهي العليا سياسة الأنبياء وحكمهم على الخاصة والعامة
جميعا ولا على ظاهرهم بل على باطنهم الثانية سياسة الخلفاء والملوك
والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على
باطنهم الثالث سياسة العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم
على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة إلى الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم
إلى التصرف في ظواهرهم بالإلزام والمنع الرابعة الوعاظ وحكمهم على
بواطن العوام فقط وأشرف هذه السياسات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب
نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة
المسعدة وهو المراد بالتعليم وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف
والصناعات لأن شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور إما بالالتفات إلى
الغريزة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ
تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع وإما بالنظر
إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة وإما بملاحظة المحل الذي فيه
التصرف كفضل الصياغة على الدباغة إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر
جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك
بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الإنسان كما سيأتي بيانه إذ به
قبل أمانة الله تعالى وبه يصل إلى جوار الله وأما عموم النفع فلا يستراب فيه
فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في
قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الأرض جنس الإنس وأشرف جزء جوهر
الإنسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل

فتعلم العلم وهو عبادة لله من وجه خلافة لله وهو اجل خلافة فان الله
تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس
خزائنه ثم هو ماذون في الانفاق على كل محتاج اليه فاية رتبة اجل من
كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم
الى جنة المأوى

الباب الثاني

في العلم المحمود والمذموم واقسامهما واحكامهما وفيه بيان ما هو فرض
عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من علم
الدين الى اي حد هو وتفضيل علم الاخرة

بيان العلم الذي هو فرض عين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة
على كل مسلم وقال عليه السلم اطلبوا العلم ولو بالصين فاختلف الناس في العلم
الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول
بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو
بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام الذي به يدرك التوحيد ويعلم ذات
الله وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات
والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه
الاحاد دون الوقايع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب
والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به علم
التصوف وقال بعضهم هو العلم بحاله ومقامه من الله وقال بعضهم هو
العلم بالاخلاص وافات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان
وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على اقوام مخصوصين هم اهل
ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكي هو العلم بما تضمنه الحديث
الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس لان
الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذي

ينبغي

ينبغي ان ينقطع عن المحصل ولا يسترتب فيما نذكره وهو ان العلم كما قدمناه
في خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا
العلم الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل اياها ثلثه
اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة النهار
مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناها وهو قول لا اله الا
الله محمد رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر
والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير
اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من
غير بحث ولا برهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجلاف العرب
بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت
وكان العلم الذي هو فرض عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه امر
وراء هذا في الوقت بدليل انه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله غير
عاص وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في
حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنه وتلك العوارض اما ان تكون في الفعل
واما ان تكون في الترك واما ان تكون في الاعتقاد اما
الفعل فمثل ان يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت
الظهر تعلم الطهارة والصلاة وان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى الزوال
الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل
بالتعلم فلا يبعد ان يقول الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت
ويحتمل ان يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا
يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى شهر رمضان
تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب
الشمس وان الواجب فيه النية والامساك عن الاكل والوقاع وان ذلك يتمادى

الحروب الهلال فان تجدد له مال او كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب
من الزكوة ولكن لا يلزمه في الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت اسلامه
فان لم يملك الا الابل لم يلزمه تعلم زكوة الغنم وكذا في ساير الاصناف
فاذا دخل شهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي
فلا يكون علمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج
فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا
حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم
كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته دون نوافله فان فعل
ذلك نفل فعلمه ايضا نفل ولا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت عن التنبيه
على وجوب اصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج في علم
ساير الاعمال التي هي فرض عين واما التروك فيجب علم ذلك
بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على
الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا
على البدوي تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن فذلك ايضا واجب بحسب ما
يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب
تنبيهه فيه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير او جالسا في غصب
او ناظرا الى غير محرم فيجب تعريفه ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه
بسبيل التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه حتى
اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وما
وجب تعليمه وجب عليه تعلمه واما الاعتقادات واعمال القلوب فيجب
علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمة
التوحيد يجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك
ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئي وانه ليس محلا للحوادث

الى غير ذلك

الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه
الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل
البلد فان كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي ان
يصان في اول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو القي اليه الباطل لوجب
ازالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما انه لو كان المسلم تاجرا وقد شاع في
البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق في
العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم
العمل الواجب ووقت وجوبه علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره
الصوفية من فهم خاطر العدو ولمة الملك حق ايضا ولكن في حق من يتصدى
له واذا كان الغالب ان الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والريا والحسد
فيلزمه ان يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب
وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات الحديث الى اخره ولا ينفك بشر
منها وبقية ما سنذكره من مذمومات احوال القلب كالكبر والعجب واخواتهما
تتبع هذه الثلث المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة حدودها
ومعرفة اسبابها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج
هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب فاكثر ما
ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركه الناس كافة اشتغالا بما
لا يعني ومما ينبغي ان يبادر في القايه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة اخرى
الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة
كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي ان يفهم الرسالة التي
هو مبلغها وهو ان من اطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار
واذا انتبهت لهذا التدريج علمت ان المذهب الحق هذا وتحققت ان كل عبد
فهو في مجاري احواله في يومه وليلته لا يخلو عن وقايع في عباداته ومعاملاته
تجدد عليه لوازم فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة

شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه

الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذ بان انه عليه السلم انما اراد بالعلم
المعرف بالالف واللام في قوله طلب العلم فريضة على كل مسلم علم العمل الذي هو
مشهور الوجوب على المسلمين لا غير وقد اتضح وجه التدريج في وقت وجوبه
بيان العلم الذي هو فرض كفاية اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا
بذكر اقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم الى
شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية ما استفيد من الانبيا صلوات الله عليهم
ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل
اللغة والعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما
هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا مثل الطب والحساب وذلك
ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة اما فرض الكفاية فهو
كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري في المعاملات
وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن
يقوم بها حرج اهل البلد ولو اقام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الاخرين
ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول
الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة
بل الحجامة فانه لو خلا البلد من الحاجم لتسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم
انفسهم للهلاك فان الذي انزل الدا انزل الدوا وارشد الى استعماله واعد
الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله واما ما يعد فضيلة لا فريضة
فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه
ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه واما المذموم منه فعلم السحر
والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما المباح منه فالعلم بالاشعار
التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه واما العلوم الشرعية وهي المقصودة
بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن انها شرعية وهي مذمومة فتنقسم

الى المحمودة

الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات
وهي اربعة اضرب الضرب الاول الاصول وهي اربعة كتاب الله تعالى
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة واثار الصحابة رضي الله عنهم
والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة وهو اصل في الدرجة الثالثة وكذلك
الاثر فانه ايضا يدل على السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل
وادركوا بقراين الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه فربما لا تحيط العبارات بما
ادرك بالقراين فمن هذا الوجه راى العلما الاقتدا بهم والتمسك باثارهم وذلك
بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن
الضرب الثاني الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها
بل بمعاني تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ
وغيره كما فهم من قوله لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان
حاقنا او جايعا او متالما بمرض وهذا على ضربين احدهما يتعلق بمصالح الدنيا
ويحويه فن الفقه والثاني يتعلق بالاخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه
المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه وهو الذي يحوي الشطر
الاخير من هذا الكتاب اعني جملة كتاب احيا علوم الدين ومنه العلم بما يترشح
من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الاول
الضرب الثالث المقدمات وهي التي تجري منه مجرى الالات كعلم
اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وليس
علم اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسهما ولكن لزوم الخوض فيهما بسبب الشرع
اذ جاءت الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة
ومن الالات علم كتابة الخط الا ان ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغني عن الكتابة ولكنه صار بحكم
العجز في الغالب ضروريا الضرب الرابع المتممات وذلك في علم القرآن

ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كتعلم القرآن ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى
كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما
يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والخاص والعام والنص والظاهر
وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول
السنة ايضا واما المتممات في الاخبار والآثار فالعلم بالرجال واساميهم
واسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم لتمييز
الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به
فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات فان قلت
فلم الحقت الفقه بعلوم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى
اخرج ادم من التراب واخرج ذريته من سلالة من ماء دافق فاخرجهم من
الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او
الى النار فهذا مبدأهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد
ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات
وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست
الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به
فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا
بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طرق سياسة الخلق
وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري انه متعلق بالدين ايضا
ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا
بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم
وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان وطريق الضبط
في فصل الخصومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين
في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة معلوم

ان الحج

ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق
الى الحج شيء والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها شيء آخر ومعرفة طرق الحراسة
وحيلها وقوانينها شيء آخر وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة
ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مامور
او متكلف فالامير هو الامام وقد كانوا هم المفتين والمامور نائبه
والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كانت الصحابة
يحترزون عن الفتوى حتى كان كل واحد منهم يحيل على صاحبه وما كانوا
يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل
المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به
الا طلب المال والجاه فان قلت هذا ان استقام لك في احكام الحدود
والجراحات والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات
من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام
فاعلم ان اقرب ما يتكلم فيه الفقيه من الاعمال التي هي اعمال الآخرة ثلاثة
الاسلام والصلاة والحلال والحرام واذا تاملت منتهى نظر الفقيه فيها
علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة واذا عرفت هذا في هذه
الثلاثة فهو في غيرها اظهر اما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما
يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان اما القلب فخارج عن
ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف والسلطنة عنه
حيث قال هلا شققت عن قلبه للذي قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال
ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه
يعلم ان السيف لم يكشف له عن نيته ولم يرفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة
ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله
وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دام له رقبة ومال وذلك في الدنيا

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا
قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم جعل أثر ذلك في الدم والمال وأما الآخرة فلا
تنفع فيها الأقوال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها وليس ذلك من فن الفقه
وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجا عن فنه
وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر
الشروط وإن كان غافلا في جميع صلاته من أولها إلى آخرها مشغولا بالتفكر
في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة
كما أن القول باللسان لا ينفع في الإسلام ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما
فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير فأما الخشوع
وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر فلا يتعرض له الفقيه
ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى
ما يقطع به مطالبة السلطان حتى إنه إذا امتنع فأخذ السلطان منه قهرا
حكم بأنه برئت ذمته وقد حكي أن أبا يوسف كان يهب ماله لزوجته في
آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطا للزكاة فحكي ذلك لأبي حنيفة رحمه الله
فقال ذلك من فقهه ولقد صدق فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة
أعظم من كل جناية ومثل هذا العلم هو الضار وأما الحلال والحرام
فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع مراتب الأولى الورع الذي
يشترط في عدالة الشهود وهو الذي يخرج به الإنسان عن أهلية الشهادة
والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر الثانية ورع الصالحين
وهو التوقي من الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم دع ما
يريبك إلى ما لا يريبك وقال صلى الله عليه وسلم الإثم حزاز القلوب الثالثة
ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه إلى الحرام قال صلى الله عليه وسلم
لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل التورع عن
التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة

والتورع

والتورع عن أكل الشهوات حسم هيجان النشاط والبطر المؤدي إلى مقارفة المحظورات
الرابعة ورع الصديقين وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف
ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله تعالى وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا
يفضي إلى حرام فهذه درجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى
وهي ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الإثم في
الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك والفقيه لا
يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فإذن جميع
نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فإن تكلم في شيء من
صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل
كما قد يدخل الكلام في النحو والشعر وقد كان سفيان الثوري وهو إمام في
علم الظاهر يقول إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن
الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم اللعان والظهار والسلم والإجارة
والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون وإنما العمل
بالقلب والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال فإن قلت
فلم سويت بين الطب والفقه إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد
وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين فاعلم
أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق فإن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه أحدها
أنه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع
الثاني أنه لا يستغني عنه أحد من سالكي طريق الآخرة لا الصحيح ولا المريض
وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون الثالث أن علم الفقه
مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح ومصدر الأعمال ومنشؤها صفات
القلوب فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر
عن المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفات في
المزاج والأخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب

فنسبة الفقه الى الطب ظهر شرفه واذ انكشف علم طريق الاخره الى
الى الفقه ظهر به في علم الاخره فان قلت فصل لي علم الاخره تفصيلا
يشير الى تراجمه وان لم يمكن استقصا تفاصيله فاعلم انه قسمان علم
مكاشفة وعلم معاملة وعلم المكاشفة هو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد
قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة
وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال اخر من كان
فيه خصلتان لم يفتح له بشي من هذا العلم بدعة او كبر وقيل من كان محبا
للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بساير العلوم واقل عقوبة من ينكره انه
لا يذوق منه شي وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة وهو
عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته عن صفاته المذمومة
ينكشف في ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها ويتوهم لها معان
مجملة غير متضحة فتتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات
الله تعالى وبصفاته التامات وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والاخرة
ووجه ترتيبه للاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي
ومعنى لفظ الملايكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان
وكيفية ظهور الملك للانبيا وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات
والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملايكة والشياطين فيه ومعرفة
الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب
القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا ومعنى قوله تعالى وان الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الدار
الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره
ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملا الاعلى ومقارنة الملايكة والنبيين
ومعنى تفاوت درجات اهل الجنة حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكوكب
الدري في جو السما الى غير ذلك مما يطول تفصيله

اذ للناس

اذ للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات وبعضهم يرى
ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعد الله لعباده الصالحين ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة
الا الصفات والاسما وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقايقها
المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله تعالى الاعتراف
بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله وبعضهم
يقول حد معرفة الله تعالى ما انتهى اليه اعتقاد العوام وهو انه موجود عالم
قادر سميع بصير متكلم فنعني بعلم المكاشفة ان يرتفع الحجاب حتى يتضح له
جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه
وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مراة القلب قد تراكم صداها
وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعني بعلم طريق الاخرة العلم بكيفية تصقيل
هذه المراة عن هذه الاخباث التي هي الحجاب عن الله تعالى وعن معرفة صفاته
وافعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتدا بالانبيا في جميع
احوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلالا فيه حقايقه ولا سبيل
اليه الا بالرياضة التي ياتي تفصيلها في موضعه وبالتعلم وهذه هي العلوم التي لا تسطر
في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله عليه بشي منها الا مع اهله وهو
المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهو العلم الخفي الذي اراده
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله
تعالى فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله فلا تحقروا عالما اتاه الله
تعالى علما فان الله تعالى لم يحقره اذ اتاه العلم واما القسم الثاني وهو
علم المعاملة فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها فهو كالصبر والشكر والخوف
والرجا والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى
في جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص

فمعرفة هذه الاحوال وحدودها واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها
ومعالجة ما ضعف منها حتى تقوى وما زال حتى تعود من علم الاخرة
واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحسد والحقد والغش
وطلب العلو وحب الثنا وحب طول البقا في الدنيا للتمتع والكبر والريا
والغضب والانفة والعداوة والبغضا والطمع والبخل والرغبة والبذخ
والاشر والبطر وتعظيم الاغنيا والاستهانة بالفقرا والفخر والخيلا
والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة
الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب
النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه
وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ
اخوان العلانية مع عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطى
والاتكال على الطاعة والخيانة والمكر والمخادعة وطول الامل والقسوة
والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة
لفراقهم والجفا والطيش والعجلة وقلة الحيا وقلة الرحمة فهذه وامثالها
من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها
وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه
الامور وحقائقها واسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين
في فتوى علما الاخرة والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الاخرة
كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقها
الدنيا فنظر الفقها في فروض العين بالاضافة الى صلاح الاخرة ولو سئل فقيه
عن معنى هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه
الاحتراز عن الريا لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الاخرة
ولو سالته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة
التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شي منها وان احتيج

لم يخل

لم يخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مونة التعب فيها فلا يزال يتعب ليلا ونهارا في
حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم في نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به
لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والفطن يعلم
انه لو كان غرضه ادا حق الامر في فروض الكفايات لقدم عليه فرض العين
بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلد ليس فيه طبيب الا من اهل
الذمة ولا تجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطبا من احكام الطب ثم لا نرى
احدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد
مشحون بالفقها ممن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقايع فليت شعري كيف يرخص
الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قايم به هل لهذا
سبب الا ان الطب ليس يتيسر التوصل به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة
مال الايتام وتقلد القضا والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على
الاعدا هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلما السو والله المستعان
واليه الملاذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك
الشيطان وقد كان اهل الورع من علما الظاهر مقرين بفضل علما الباطن
وارباب القلوب كان الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كما
يجلس الصبي في المكتب ويساله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسال
عن هذا البدوي فيقول ان هذا وفق لما اغفلناه وكان احمد بن حنبل ويحيى
بن معين يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا
يسالانه كيف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له كيف نفعل اذا جانا امر لم
نجده في كتاب الله ولا سنة رسوله فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم
ولذلك قيل علما الظاهر زينة الارض والملك وعلما الباطن زينة السما والملكوت
وقال الجنيد قال لي السري شيخي اذا قمت من عندي فمن تجالس قلت المحاسبي
فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه في الكلام ورده على المتكلمين ثم لما
وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا

ما حدث اشار الى ان من حصل الحديث والعلم ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل
العلم خاطر بنفسه فان قلت لم لم تورد في اقسام العلوم الكلام والفلسفة
وتبين انهما محمودان او مذمومان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة
التي ينتفع بها فالقران والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة
مذمومة وهي من البدع كما سياتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق
وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع
وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مالوفا في
العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الان حكمه اذ حدث
البدع الصارفة عن مقتضى القران والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها
ورتبوا فيها كلاما مولفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة ماذونا فيه
بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد
الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود سنذكره في الباب الذي يلي
هذا واما الفلسفة فليست علما براسها بل هي اربعة اجزا احدها
الهندسة والحساب وهما كما سبق ولا يمنع منهما الا من يخاف عليه ان يتجاوز بهما
الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لها قد خرجوا منها الى البدع فيصان
الضعيف عنها لا لعينها كما يصان الصبي عن شاطي النهر خيفة الوقوع في
النهر وكما يصان الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه
مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم الثاني المنطق وهو بحث عن
وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام
الثالث الالاهيات وهو بحث عن ذات الله تعالى وصفاته وهو داخل
في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط اخر من العلم بل انفردوا بمذاهب
بعضها كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما براسه بل اصحابه طائفة من المتكلمين
واهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة الرابع
الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في

اقسام

مباحان

اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها
وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطبا الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على
الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك
ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما علومهم في الطبيعيات فلا
حاجة اليها فاذن الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة
لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدعة والبدع
كما حدث حاجة استئجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم
الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج
وكذلك لو ترك المبتدع هذيانه لم يفتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة
وليعلم المتكلم موقعه من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فان
تجرد الحارس للحراسة ليس من جملة الحج فالمتكلم ان تجرد للمناظرة
والمدافعة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد القلب واصلاحه لم يكن
من جملة علما الدين اصلا وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه فيها سائر
العوام وهي من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة
المجادلة والحراسة فاما معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله وجميع ما
اشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد ان يكون الكلام حجابا
ومانعا عنه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله تعالى مقدمة للهداية
حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فان قلت فقد رددت
حد المتكلم الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة
امتعة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ القانون الذي به
يكف السلطان شر بعض اهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة
الى علم الدين وعلما الامة المشهورون بالفضل هم الفقها والمتكلمون وهم افضل
الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة
الى علم الدين فاعلم ان من عرف الحق بالرجال تاه

وجار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق وإن
تبعث بالتقليد والنظر إلى ما ارتسم من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن
الصحابة وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم في الدين
لا يدرك شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة
وسلوك طريقها وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولا
بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشيء وقر في صدره كما شهد له سيد البشر صلى الله عليه وآله
فليكن حرصك في طلب ذلك فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر
الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواعي يطول تفصيلها فقد قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ألوف من الصحابة كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتوى
منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر رضي الله عنهما منهم وكان إذا سئل
عن الفتوى يقول اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في
عنقه إشارة إلى أن الفتوى في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة
ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم فقيل له
أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة قال لست أريد علم الفتوى والأحكام إنما أريد
العلم بالله أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة
ذلك العلم الذي مات بموت عمر وهو الذي سد باب الكلام وضرب صبيغا بالدرة حين
أورد عليه سؤالا في تعارض آيتين في كتاب الله تعالى وهجره وأمر الناس بهجره
وأما قولك إن المشهورين من العلماء المتكلمون والفقهاء فاعلم أن ما ينال به الفضل
عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء فلقد كان شهرة أبي بكر رضي الله عنه
بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكان شهرة عمر بالسياسة وكان
فضله رضي الله عنه بالعلم بالله الذي مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب إلى الله
تعالى في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن في سره وأما سائر أفعاله

الظاهرة

الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والمرائي والراغب في
الشهرة فيكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد
فالفقهاء والمتكلمون مثل القضاة والخلفاء قد انقسموا فمنهم من أراد الله بعلمه
وفتواه وذبه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى
وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولإرادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم فإن كل
علم عمل فإنه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب على التقرب إلى الله تعالى
بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث إنه عامل لله تعالى به والسلطان يتوسط بين
الخلق فيكون مرضيا عند الله لا من حيث إنه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد لعمل
يقصد به التقرب إلى الله تعالى وأقسام ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى
ثلاثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا
وضبطه للناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه
من العلماء والعمال جميعا فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة في حزب علماء الله
أو عمال الله أو في حزبيهما وتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك
من التقليد المجرد للاشتهار

شعر

خذ ما رأيت ودع شيئا سمعت به ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم
وأنهم أشد خصمائهم يوم القيامة فإنهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى
وقد شوهد من أحوالهم ما هو علامات علماء الآخرة كما سيأتي بيانه في باب
علامات علماء الآخرة وأنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم
القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه ما صرف الصحابة
عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى
والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة إلى ذكرها ونحن الآن نورد من
أحوال فقهاء الإسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر
الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم في عملهم وسيرهم

والفقها الذين هم زعما الفقه وقادة الخلق اعني الذين كثر اتباعهم في المذاهب
خمسة الشافعي ومالك وابو حنيفة واحمد بن حنبل وسفين الثوري رحمة الله عليهم
وكل واحد منهم عابد وزاهد وعالم بعلوم الاخرة وفقيه في مصالح الخلق
في الدنيا ومريد بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقها
العصر من جملتها في خصلة واحدة وهو التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه
لان الخصال الاربع لا تصلح الا للاخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا
والاخرة ان اريد بها الاخرة ولصلاحها للدنيا تشمروا لها وادعوا بها مشابهة
اوليك الائمة وهيهات فلا تقاس الملائكة بالحدادين ولنورد من احوالهم ما يدل
على هذه الخصال الاربع فان معرفتهم بالفقه ظاهر

اما الشافعي رضي الله عنه فيدل على كونه عابدا ما روي انه كان يقسم
الليل ثلثه اجزا ثلثا للعلم وثلثا للصلاة وثلثا للنوم وقال الربيع كان الشافعي
يختم القران في شهر رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة وكان البويطي
احد اصحابه وكان يختم في كل يوم مرة وقال الحسين الكرابيسي بت مع الشافعي
غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رايته يزيد على خمسين اية فاذا
اكثر فماية وكان لا يمر باية رحمة الا سالها الله لنفسه ولجميع المومنين
ولا يمر باية عذاب الا تعوذ منها وسال النجاة لنفسه وللمومنين وكانما
جمع له الرهبة والرجا معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين اية على
تبحره في اسرار القران وتدبره فيها وقال الشافعي رضي الله عنه ما شبعت
منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة
ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته في ذكر
افات الشبع ثم في جده في العبادة اذ طرح الشبع لاجله وراس التعبد
تقليل الطعام وقد قال الشافعي ما حلفت بالله لا صادقا ولا كاذبا
فانظر الى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله تعالى

وسئل

وسيل الشافعي عن مسلة فسكت فقيل الا تجيب رحمك الله فقال حتى ادري
ان الفضل في سكوتي او في الجواب فانظر في مراقبته للسانه مع انه اشد الاعضا
تسلطا على الفقها واعصاها للضبط والقهر وبه يستبين انه كان لا يتكلم
ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال احمد بن يحيى الوزير خرج
الشافعي يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من
اهل العلم فالتفت الشافعي الينا فقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا
كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القايل وان السفيه
لينظر الى اخبث شي في وعايه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو ردت
كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قايلها وقال الشافعي كتب حكيم الى حكيم
قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى
اهل العلم بنور علمهم واما زهده فقد قال الشافعي من ادعى انه جمع
بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب وقال الحميدي خرج
الشافعي الى اليمن مع بعض الولاة وانصرف الى مكة بعشرة الف درهم
فضرب خباه خارج مكة فكان الناس ياتونه فما برح من موضعه حتى فرقها
كلها وخرج مرة من الحمام فاعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط سوطه مرة
من يده فرفعه اليه انسان فاعطاه جزا على ذلك خمسين دينارا
وسخاوة الشافعي اشهر من ان تحكى وراس الزهد السخا لان من احب شيا
امسكه ولا يفارق المال الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد
ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله واشتغال همته بالاخرة ما روي ان
سفين بن عيينة روى حديثا في الرقايق فغشي على الشافعي فقيل له قد مات
فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وروى عبد الله بن محمد البلوي
قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رايت
اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعي خرجت انا وهو والحرث بن لبيد الى الصفا
وكان الحارث تلميذ صالح المري فافتتح يقرا وكان حسن

الصوت فقرا هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرايت الشافعي
قد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا
عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام الكذابين واعراض الغافلين
اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك هيبة المشتاقين الهي هب
لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك ثم قمنا
وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط اتهيا
للصلاة اذ مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوك احسن الله اليك في الدنيا
والاخرة فالتفت فاذا انا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوي
وجعلت اقفو اثره فالتفت الي وقال هل لك حاجة فقلت نعم تعلمني مما
علمك الله شيا فقال لي اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم
من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا افلا
ازيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلث خصال فقد استكمل الايمان من امر
بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله الا
ازيدك قلت بلى قال كن في الدنيا زاهدا وفي الاخرة راغبا واصدق الله في
جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسالت من هذا فقالوا هو الشافعي
فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف دل ذلك على زهده
وغاية خوفه ولا يحصل هذا الزهد والخوف الا من معرفة الله تعالى
فانما يخشى الله من عباده العلما ولم يستفد الشافعي هذا الخوف من كتاب
السلم والاجارة وسائر كتب الفقه بل من علوم الاخرة التي هي مستخرجة من
القران والاخبار اذ حكم الاولين والاخرين مودعة فيهما وكان رضي الله عنه
عالما باسرار القلب وعلوم الاخرة فتعرف من الحكم الماثورة عنه روي انه
سيل عن الريا فقال على البديهة الريا فتنة عقدها الهوى حيال ابصار قلوب
العلما فنظروا اليها بسو اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم وقال الشافعي رض

اذا انت

اذا انت خفت على عملك العجب فاذكر رضا من تطلب وفي اي نعيم ترغب
ومن اي عقاب ترهب واي عافية تشكر واي بلا تذكر فانك اذا افكرت في واحدة
من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الريا وعلاج
العجب وهما من كبار افات القلب وقال الشافعي من لم يصن نفسه لم ينفعه
علمه وقال من اطاع الله بالعلم نفعه سره وقال ما من احد الا له محب ومبغض
فاذا كان كذلك فكن مع اهل طاعة الله وروي ان عبد القاهر بن عبد العزيز
كان رجلا صالحا ورعا وكان يسال الشافعي عن مسايل الورع والشافعي يقبل عليه
لورعه فقال للشافعي ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعي التمكين
درجة الانبيا ولا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر واذا صبر
مكن الا ترى ان الله تعالى امتحن ابرهيم عليه السلم ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلم
ثم مكنه وامتحن ايوب ثم مكنه وامتحن سليمن ثم اتاه ملكا والتمكين افضل الدرجات
قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف وايوب بعد المحنة العظيمة مكن قال
الله تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم الاية فهذا الكلام من الشافعي يدل
على تبحره في اسرار القران واطلاعه على مقامات السايرين الى الله من
الانبيا والاوليا وكل ذلك من علوم الاخرة وقيل للشافعي متى يكون
الرجل عالما قال اذا تحقق في علم تعلمه وتعرض لساير العلوم ونظر فيما
فاته فقيل لجالينوس انك تامر للدا الواحد بالادوية الكثيرة المجتمعة فقال انما
المقصود منها واحد وانما يجعل معه غيره لتسكين حدته لان الافراد قاتل
فهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على عظم رتبة الشافعي في معرفة الله تعالى
وعلوم الاخرة واما ارادته بالفقه خاصة وبالمناظرة فيها وجه الله تعالى
فيدل عليه ما روي عنه انه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما ينسب
الي منه شي فانظر كيف اطلع على افة العلم وطلب الاسم به وكيف كان منزه
القلب عن الالتفات اليه منه بمجرد النية فيه لوجه الله تعالى قال الشافعي
ما ناظرت احدا قط فاحببت ان يخطي

وقال ما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه وقال ما
كلمت احدا قط الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله
عز وجل وحفظ وقال ما اوردت الحجة على احد فقبلها مني الا هبته
واعتقدت مودته ولا كابرني على الحق احد ودافع الحجة الا سقط من عيني
ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على ارادته الله تعالى بالمناظرة وبالفقه
فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط
ثم كيف خالفوه فيها ايضا ولذلك قال ابو ثور ما رايت ولا راى الراوون مثل
الشافعي وقال احمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو
للشافعي فانظر الى انصاف الداعي والى درجة المدعو له وقس به الاقران
والامثال من العلماء في هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم
تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهم ولكثرة دعائه للشافعي قال له ابنه اي رجل كان
الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال له احمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية
للناس فانظر هل لهذين من خلف وقال احمد ما احد بيده محبرة الا وللشافعي
منة في عنقه وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ اربعين سنة الا وانا
ادعو فيها للشافعي لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على
هذه النبذة من احواله فان ذلك خارج عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناه من
الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي رحمه الله في مناقب الشافعي رضي الله عنه
واما مالك رضي الله عنه فانه ايضا كان متحليا بهذه الخصال الخمس فانه سئل
ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح
الى حين تمسي فالزمه وكان في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا اراد ان يحدث
توضا وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس
على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير

يدل على قوة

يدل على قوة معرفته بالله وجلاله واما ارادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه
قوله الجدال في الدين ليس بشيء ويدل عليه ايضا قول الشافعي اني شهدت مالكا سئل عن
ثمان واربعين مسالة فلا تسمح نفسه بان لا يقر على نفسه بانه لا يدري وقال الشافعي
اذا ذكر العلماء فمالك النجم وما احد امن علي من مالك بن انس وروي ان ابا جعفر
المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس اليه من يساله فروى على ملا من الناس
ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك
ما كان رجل صادقا في حديثه لا يكذب الا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا
خرف واما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي ان المهدي امير المومنين ساله
فقال هل لك دار قال لا ولكن احدثك فيه سمعت ربيعة بن ابي عبد الرحمن
يقول نسب المرء داره وساله الرشيد هل لك دار فقال لا فاعطاه ثلاثة الاف
دينار وقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص قال لمالك
ينبغي ان تخرج معنا فاني عزمت ان احمل الناس على الموطا كما حمل عثمان الناس
على القران فقال له اما حمل الناس على الموطا فليس الى ذلك سبيل فان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند اهل كل مصر علم
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتي رحمة واما الخروج معك
فلا سبيل اليه قال صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال المدينة
تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها
وان شئتم فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة بما اصطنعته الي فلا اوثر
الدنيا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهده في الدنيا ولما حمل اليه
الاموال الكثيرة من اطراف الدنيا لانتشار علمه واصحابه كان يفرقها في وجوه
الخير ويدل على زهده وقلة حبه للدنيا سخاوه كما نقلناه وليس الزهد فقد
المال وانما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل
على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي رضي الله عنه انه قال رايت على باب مالك كراعا من
افراس خراسان وبغال مصر ما رايت احسن منه فقلت لمالك ما احسنه

فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال اني لاستحيي من
الله تعالى ان اطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر الى سخاوته اذ وهب
جميع ذلك دفعة واحدة والى توقيره لتربة المدينة ولما ارادته بالعلم
وجه الله تعالى فيدل عليه ما روي عنه انه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا
ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى تسمع صبياننا منك الموطا فقلت اعز الله الامير
ان هذا العلم منكم خرج وانتم ان اعززتموه عز وان اذللتموه ذل والعلم يوتى ولا
ياتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس واما ابو حنيفة
رضي الله عنه فلقد كان ايضا عابدا زاهدا عارفا بالله خائفا منه مريدا وجه الله تعالى
بعلمه اما كونه عابدا فيدل عليه ما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له
مروة وكثرة صلاة وروى حماد بن سلمة انه كان يحيي الليل كله ويروى انه كان
يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي فقال لاخر هذا هو الذي يحيي
كل الليل فلم يزل بعد ذلك يحيي كل الليل وقال انا استحيي من الله تعالى ان اوصف
بما ليس فيّ واما زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ارسلني يزيد بن
عمر بن هبيرة فقدمت بابي حنيفة عليه فاراده على بيت المال فابى فضربه
عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام
كان ابو حنيفة من اعظم الناس امانة واراده السلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه
او يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب الله وروي انه ذكر ابو حنيفة عند ابن
المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت الدنيا عليه بحذافيرها ففر منها وروي عن
محمد بن شجاع انه قيل لابي حنيفة قد امر لك ابو جعفر امير المومنين بعشرة الف درهم فما رضي
ابو حنيفة فلما كان في اليوم الذي توقع ان يوتى بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه
فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر
ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة اي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب
في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه اذا مت
ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك

من عبادته

عن بعض اصحابه

التي اودعتها

التي اودعتها ابا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك لقد
كان شحيحا في دينه انه دعي الى ولاية القضا فقال انا لا اصلح له فقيل له لم فقال
ان كنت صادقا فلا اصلح له وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضا واما
علمه بامور الاخرة وطريق الدين ومعرفته بالله فيدل عليه شدة خوفه من الله
تعالى وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت
انه شديد الخوف لله وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر
قليل المحادثة للناس وهذا من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال
بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد ومن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم
كله فهذه من احوال الائمة الثلثة واما احمد بن حنبل وسفين الثوري رضي
الله عنهما فاتباعهما اقل من اتباع هولاء وسفين اقل اتباعا من احمد ولكن اشتهارهما
بالورع والزهد اظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما
فلا حاجة الى التفصيل فانظر الان في سير هولاء الايمة وتامل ان هذه الاحوال
والاقوال والاعمال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله هل يثمرها مجرد
العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار واللعان او يثمرها علم
اخر اعلى واشرف منه وانظر ان الذين ادعوا الاقتدا بهولاء صدقوا في دعواهم
ام لا والله الموفق للصواب

الباب الثالث

فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذي
يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل اسامي العلوم وهي الفقه والعلم
والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها

بيان علة ذم العلم المذموم لعلك تقول العلم معرفة الشيء على ما هو به
وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم
ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلثة السبب
الاول ان يكون موديا الى الضرر اما بصاحبه واما بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات
وهو حق اذ شهد القران له وانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين الزوجين وقد سحر رسول الله
صلى الله عليه وسلم

ومرض بسببه حتى اخبره جبريل عليه السلام بذلك واخرج السحر من تحت حجر في قعر
بير وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ
من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص في
المطالع ويقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها
الى الشياطين الاستعانة بهم ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجرا الله العادة احوال
غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست
مذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان
ذلك هو السبب في كونه مذموما بل من اتبع وليا من اوليا الله ليقتله وقد اختفى
منه في موضع حريز اذا سال الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب
الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشي على ما هو به ولكنه مذموم
لادايه الى الضرر السبب الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في غالب
الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان حسابي وقد
نطق القران بان مسير الكواكب محسوب اذ قال تعالى الشمس والقمر بحسبان
وقال تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثاني الاحكام
وحاصله راجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب
بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة مجاري سنة الله وعادته في خلقه
ولكنه مذموم في الشرع قال عليه السلام اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر
النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال عليه السلام اخاف على امتي بعدي
ثلثا حيف الايمة وايمانا بالنجوم وتكذيبا بالقدر وقال عمر رضي الله عنه تعلموا
من النجوم ما تهتدوا به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلثة اوجه
احدها انه مضر باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه الاثار تحدث عقيب سير
الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الالهة المدبرة لانها جواهر
شريفة سماوية ويعظم وقعها في القلوب فيلتفي القلب ملتفتا اليها ويرى الخير
والشر محذورا او مرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله عن القلب فان الضعيف يقصر

الاستعانة

فيبقى

نظره

نظره على الوسايط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والنجوم مسخرات
بامره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس
مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط
يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا يترقى في نظرها الى مشاهدة الاصابع ثم منها
الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه
الى خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة
السافلة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسباب هذا احد اسباب النهي عن النجوم
وثانيها ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق احاد الاشخاص لا يقينا ولا
ظنا والحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم
ولقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس ذلك وانمحى ذلك العلم والحق
وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا
يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها
فان اتفق ان قدر الله بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر اخطا
ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السما تمطر مهما راى الغيم يجتمع وينبعث من
الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون
بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في المطر وبقية الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين
الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ما الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح
اسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطي ولهذه العلة
يمنع القوي ايضا عن النجوم وثالثها انه لا فايدة فيه فاقل احواله انه خوض في
فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان بغير فايدة وذلك
غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه
فقال ما هذا قالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال
عليه السلام علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم اية محكمة او سنة قائمة او فريضة

عادة له فان علم النجوم وما يشبهه اقحام خطر وخوض في جهالة من غير فايدة فان ما
قدر كاين والاحتراز عنه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة اليه ماسة واكثر ادلته مما
يطلع عليه ولا خطر فيه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزو من ستة واربعين
جزا من النبوة السبب الثالث الخوض في علم لا يستفيد الخايض فيه فانه مذموم
في حقه كتعلم دقيق العلم قبل جليلها وكالبحث عن اسرار الالهيه اذ تطلع المتكلمين
والفلاسفة اليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا
الانبيا والاوليا فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق الشرع به
ففي ذلك مقنع للموفق وكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض
كان حاله احسن في الدين مما صار اليه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر
اللحم اعني لحم الطير وانواع الحلوى اللطيفة بالطفل الرضيع بل رب شخص ينفعه
الجهل ببعض الامور فقد حكي ان بعض الناس شكا الى طبيب عقم زوجته
وانها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لا حاجة لك الى دوا الولادة فانك
ستموتين الى اربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المراة خوفا عظيما
وتنغص عليها عيشها واخرجت مالها وفرقته وبقيت لا تاكل ولا تشرب حتى
انقضت المدة وجا زوجها الى الطبيب وقال لم تمت فقال علمت ذلك فجامعها
الان فانها تلد فقال كيف ذلك قال رايتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها
وعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع
من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم
نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع
وزجر عنها ولازم الاقتدا بالصحابة واقتصر على اتباع السنة والسلامة في الاتباع
والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر اللهج برايك ومعقولك ودليلك وبرهانك
وزعمك اني ابحث عن الاشيا لاعرفها على ما هي عليه فان ما يعود عليك من ضرره
اكثر وكم من شي تطلع عليه فيضرك في اطلاعك ضررا يكاد يهلكك في الاخرة

ان لم يتدارکه

ان لم يتداركك الله برحمته واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات
يستبعدها من لا يعرفها فهكذا الانبيا اطبا القلوب والعلما باسباب الحيوة الاخروية
فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي
عقله ان يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلي الكف من الجانب
الاخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب
الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طرق الاخرة
وفي دقايق سنن الشرع وادابه وفي عقايده التي تعبد الناس بها اسرار لطيفة ليس في
سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار امورا غاب عن اهل
الصنعة علمها حتى لم يقدر واحد على ان يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس
الحديد والعجايب والغرايب في العقايد والاعمال وافادتها لصفا القلوب
ونقايها وطهارتها وزكاتها واصلاحها للترقي الى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات
فضله اكثر واعظم مما في الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك
منافع الادوية مع ان التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حياة
الاخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها وانما كانت التجربة تتطرق اليها لو
رجع الينا بعض الاموات فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله
زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقايد وذلك مما لا يطمع فيه
فيكفيك من منفعة العقل ان يهديك الى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد
اشاراته واعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم الا به
ولذلك قال النبي عليه السلام ان من العلم جهلا وان من القول عيا ومعلوم ان العلم لا يكون
جهلا ولكن يوثر تاثير الجهل في الاضرار وقال ايضا قليل من التوفيق خير من كثير العلم
وقال عيسى عليه السلام ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب
وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع بيان ما بدل من الفاظ العلوم
اعلم ان منشا التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة

وجليها ع

فلاسفه

وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معانٍ غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول
وهي خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة
فهذه اسامي محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن
الى معان مذمومة وصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع
اطلاق هذه الاسامي عليهم اللفظ الاول الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص
لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف
على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد
تعمقا فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر
الاول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات
الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء
الخوف على القلب ويدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم وما به الانذار والتخويف هو هذا العلم وهذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان
والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي
القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد من المتجردين له وقال تعالى لهم قلوب لا
يفقهون بها واراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري الفقه والفهم اسمان
في اللغة لمعنى واحد وانما يتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا وقال تعالى
لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله الآية واستعظامهم سطوة الخلق على قلة
الفقه فانظروا ان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى او هو نتيجة ما ذكرناه
من العلوم وقال صلى الله عليه وسلم علماء حكماء فقهاء للذين وفدوا عليه وسئل سعد بن
ابراهيم اي اهل المدينة افقه فقال اتقاهم فكانه اشار الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة
العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية وقال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه
قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم
من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك رضي الله عنه

ذلك بانهم قوم لا يفقهون فاحال قلة خوفهم من الله

قول النبي

قول النبي عليه السلام لان اقعد مع قوم يذكرون الله من غدوة الى طلوع الشمس احب الي
من ان اعتق اربع رقاب التفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري وقال لم يكن مجالس
الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم ويخطب على اصحابه ويسرد الحديث سردا
انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا فسمى تدبر
القرآن وعد نعم الله تفقها وقال عليه السلام لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في
ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وروى ايضا موقوفا على ابي الدرداء
مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا وسال فرقد السبخي الحسن عن شيء
فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك فريقد وهل رايت
فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المواظب
على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم
ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن
متناولا للفتاوى في الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او
بطريق الاستتباع وكان اطلاقهم له على علم الآخرة اكثر فبان من هذا التخصيص
تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الآخرة واحكام القلب
ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل
به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين
ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع
اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق على العلم بالله تعالى وباياته وبافعاله في
عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر قال ابن مسعود مات تسعة اعشار العلم فعرفه بالالف
واللام ثم فسره بالعلم بالله وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه في الاكثر بمن
يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل فقالوا هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في
العلم ومن لا يمارس ذلك الفقهية وغيرها ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة
اهل العلم وهذا ايضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء اكثره في

العلم بالله وبأحكامه وأفعاله وصفاته وقد صار الآن يطلق على من لا يحيط من علوم
الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلما مع جهله
بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من طلبة
العلم اللفظ الثالث التوحيد وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام
ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها
بتكثير الأسولة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات حتى لقب طوايف منهم
أنفسهم بأهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلما بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصية
هذه الصناعة لم يكن يعرف شيء منه في العصر الأول بل كان يشتد النكير منهم على من يفتح بابا
من الجدل والمماراة فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان
إلى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله
وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهموه لم يتصفوا
به وهو أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسايط
ولا يرى الخير والشر إلا منه وهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل كما سيأتي
في كتاب التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم
لحكم الله وكان إحدى ثمراته قول أبي بكر لما قيل له في مرضه أنطلب لك طبيبا فقال
الطبيب أمرضني وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك
فقال قال لي إني فعال لما أريد وسيأتي شواهد هذا في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى
وكان التوحيد جوهرا نفيسا وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخصص
الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية فالقشر الأول
أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به
النصارى ولكنه قد يصدر عن المنافق الذي يخالف سره جهره والقشر الثاني
أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على
اعتقاد ذلك والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا

القشر

القشر عن تشويش المبتدعة الثالث وهو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله رؤية
تقطع التفاته عن الوسايط وأن يعبده عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره ويخرج
عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال تعالى
أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم أبغض إله عبد في الأرض عند الله
هو الهوى وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم إنما يعبد
هواه إذ نفسه مايلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات
أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق
والالتفات إليهم فإن من يرى الكل من الله كيف يتسخط على غيره فقد كان التوحيد
عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأي
قشر قنع وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الإفلاس
عن المعنى الذي هو يستحق الحمد الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويستقبل القبلة
ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض وهو أول كذب يفاتح الله
به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجها إلى الله على الخصوص فإنه إن أراد بالوجه وجه
الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن ساير الجهات والكعبة ليست جهة
الذي فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه إليها متوجها إليه تعالى عن أن
تحده الجهات والأقطار وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف
يصدق قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل
في جمع المال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها فمتى وجه
وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد
هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه وهو امتثال قوله تعالى قل
الله ثم ذرهم وليس المراد به القول باللسان إنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب
أخرى وإنما موقع نظر الله تعالى وهو المترجم عنه وهو القلب فهو معدن التوحيد
ومنبعه اللفظ الرابع الذكر والتذكير وقد قال الله تعالى وذكر فإن الذكرى تنفع

المومنين وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله عليه السلام اذا مررتم
برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله
ملايكة سياحين في الهوا سوى ملايكة الخلق اذا راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا
الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم ويحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله وذكروا
انفسكم فمن ذلك الجاري اكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو
القصص والاشعار والشطح والطامات اما القصص فهي بدعة وقد ورد نهي
السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا في زمان ابي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة فظهر القصاص وروي ان
ابن عمر خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة
قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن
عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان
يقصوا ودخل الاعمش جامع البصرة فراى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش
فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر ابطه فقال القاص يا شيخ اما تستحي فقال لم
انا في سنة وانت في كذب وانا الاعمش وما حدثتك هذا وقال احمد اكثر
الناس كذبا القصاص والسوال واخرج علي رضي الله عنه من مسجد البصرة القصاص
ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في امر الاخرة وعلمها
والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وافات الاعمال وخواطر الشيطان
ووجه الحذر منها ويذكر بالا الله ونعمايه وتقصير العبد في شكره وتعريف حقارة
الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر الاخرة واهوالها فهذا هو
التذكير المحمود الشرعي الذي ورد الحث عليه في حديث ابي ذر حيث قال حضور مجلس ذكر افضل
[margin: من صلاة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض وحضور مجلس]
علم افضل من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القران قال وهل
تنفع قراءة القران الا بالعلم وقال عطا مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس
اللهو وقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير
الى خرافاتهم

الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واستغلوا بالقصص التي تتطرق اليها
الاختلاف والزيادة والنقصان وتخرج عن القصص الوارد في القران وتزيد عليه
فان من القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر سماعه وان كان صادقا ومن فتح على
نفسه ذلك الباب اختلط عليه الصدق والكذب والنافع بالضار فعن هذا نهي
ولذلك قال احمد بن حنبل ما احوج الناس الى قاص صادق وان القصة ان كانت
من قصص الانبياء فيما يتعلق بامور دينهم وكان صحيح الرواية فلا ارى به باسا
وليجتنب الكذب وحكاية احوال تومي الى هفوات او مساهلات يقصر فهم العوام عن
درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات
تغطي عليها فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا
فيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الاكابر وكلنا بصدد المعاصي
فلا غرو ان عصيت الله فقد عصى من هو اكبر مني ويفيده ذلك جراة على الله
من حيث لا يدري فبعد الاحتراز من هذين المحذورين فلا باس به وعند ذلك
ترجع القصص المحمودة الى ما يشتمل عليه القران وصح في الكتب الصحيحة من الاخبار
ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان قصده
فيه دعوة الخلق الى الحق وهذا من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة
عن الكذب وفيما ذكره الله سبحانه غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره
تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه
يسجع هذا الذي يبغضك الي لا قضيت حاجتك ابدا وقد كان جاءه في حاجة
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلث كلمات اياك والسجع
يا ابن رواحة وكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال
الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل
ومثل ذلك يطل قال عليه السلام اسجع كسجع الكهان واما الاشعار فتكثيرها
في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في

في كل وادٍ يهيمون وقال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر ما اعتاده
الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح
الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا الاجلاف من العوام وبواطنهم
مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا
تحرك الاشعار من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فيستعل فيها نار الشهوة فيزعقون
ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع الى نوع فساد فلا ينبغي ان يستعمل من
الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستئناس فقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع
الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله ولم يكن معهم غيرهم فان ذلك لا يضر
معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه
على ما يستولي على قلبه كما سياتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان
يتكلم الجنيد على بضعة عشر فان كثروا لم يتكلم وما تم اهل مجلسه عشرين
وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال ما هولا اصحابي
انما هم اصحاب المجلس اي اصحابي هم الخواص واما الشطح فنعني به صنفين
من الكلام احدثه بعض المتصوفة احدهما الدعاوي الطويلة العريضة في
العشق مع الله تعالى حتى انتهى قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب
والمشاهدة بالروية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا
ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا
الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما يحكون عن ابي يزيد البسطامي
انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة
من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه
الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال
ولا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة

ومهما

ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا ان يقولوا هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم
حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق
فهذا وامثاله مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشيء
منه فقتله افضل في دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامي فلا يصح
عنه ما يحكى عنه وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام
يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
فانه ما كان ينبغي ان يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية الصنف
الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة
وليس وراءها طائل وذلك اما ان تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها
عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه
وهذا هو الاكثر واما ان تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيم ذلك
وايراده بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير
عن المعاني بالالفاظ الرشيقة فلا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه
يشوش القلب ويدهش العقول ويحير الاذهان او يحمل على ان يفهم منها
معان ما اريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال
صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب
الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما
لا يفهمه قائله فان كان يفهمه القائل دون السامع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلم
لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها من اهلها فتظلموهم
كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في مواضع الداء وفي لفظ اخر من
وضع الحكمة في غير اهلها جهل ومن منعها اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان
لها اهلا فاعط كل ذي حق حقه واما الطامات فيدخلها ما
ذكرناه في الشطح وامر اخر يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة

الى امور باطنة لا تسبق منها الى الافهام كدأب الباطنية في التأويلات وهذا
ايضا حرام وضرره عام فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها
بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل
العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله ورسوله
فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر
ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشائعة العظيم ضررها
وانما قصد اصحابها الاغراب فان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة
له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها
وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذهبهم في كتاب المستظهري المصنف في
الرد على الباطنية ومثال تأويل اهل الطامات قول بعضهم في تأويل
قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه اشار الى قلبه وقال هو المراد بفرعون
وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله تعالى والق عصاك اي كل ما تتوكأ عليه
وتعتمده مما سوى الله تعالى فينبغي ان تلقيه وفي قوله عليه السلام تسحروا فان في
السحور بركة اراد به الاستغفار في الاسحار وامثال ذلك حتى يحرفوا
القران من اوله الى اخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر
العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب
فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوة موسى له كابي جهل وابي لهب
وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى
يتطرق التأويل الى الفاظه وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان عليه السلام
يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغداء المبارك فهذه امور يدرك
بالتواتر والحس بطلانها وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها
الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل
ذلك شيء عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع اكبابه على دعوة

الخلق

الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوأ مقعده
من النار ومعنى الاهذا وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه فيستجر
شهادة القران اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دليل لفظي لغوي او
نقلي ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القران بالاستنباط والفكر فان
من الايات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة
ونعلم ان جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل
الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن
عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ومن يستجيز من اهل الطامات
امثال هذه التأويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد به
دعوة الخلق الى الخالق يضاهي من يستجيز الوضع والاختراع على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقا
حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم
من قوله عليه السلام من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر في تأويل
هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق
الاستفادة والفهم من القران بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي
الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي
فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف
في العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذا

اللفظ الخامس

العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق
على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف السوادية
في الشوارع والحكمة هي التي اثنى الله تعالى عليها فقال ومن يؤت الحكمة فقد
اوتي خيرا كثيرا وقال عليه السلام كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا
وما فيها فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس به بقية

الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيس علماء السوء فان شرهم على الدين اعظم من شر
الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتذرع الى انتزاع الدين من قلوب الخلق
ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا حتى كرر
عليه فقال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك
الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف
فكل ما ارتضاه السلف من العلوم فقد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره
مبتدع مخترع وقال عليه السلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء
فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون
ما اماتوه من سنتي وفي خبر اخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث
اخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت
تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري اذا رايت العالم
كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه

بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة

اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلثة اقسام
قسم مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان
احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء
فيه وهو مثل احوال البدن فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه
ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال
فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان
كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم. اما القسم المذموم قليله
وكثيره فما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا وفيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر
والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس
ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفائس مذمومة ومنه ما فيه ضرر
يربي على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة

الى الضرر

الى الضرر الحاصل منه. واما القسم المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء
هو العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الاخرة
على الدنيا او بذل المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي
لا يدرك غوره وانما يحوم الحائمون على سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض
اطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون في العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب
ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال علماء الاخرة كما سيأتي علامتهم هذا
في اول الامر ويعين عليه في الاخر المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه
عن علائق الدنيا والتشبه فيه بانبياء الله تعالى واوليائه ليتضح منه لكل ساع الى
طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح
الهداية لا مفتاح لها سواها. واما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار معلوم
مخصوص فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم منها اقتصارا
هو الاقل واقتصادا هو الوسط واستقصاء وراء الاقتصاد لا مرد له الى اخر
العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من
نفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما
يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وانما الاهم
الذي اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن
الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب واخوات هذه
الخصال وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة
يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل والتهاون
باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة
كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الاخرة لا يشيرون الا بتطهير
الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما
فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب

فان هذا العلم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الاخرة

على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم وهذا هو العلم

واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك

اعمال القلوب كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة فلا يزال
يتعب في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للاخرة
وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها
على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم يجر ذلك الى المقامات المحمودة المذكورة في ربع
المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا
نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزرع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل
بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قام به فان مهلك نفسه في طلب صلاح
غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب داخل ثيابه وهمت
بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه
من تلك الحيات والعقارب اذا هممن به واذا تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت (ترك)
على ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما ابعد
ذلك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ
والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع
وهو علم المذهب ثم علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية
العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منه
طالبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست
مطلوبة لعينها بل لغيرها وما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب
ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن
غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما
يتعلق بالكتاب والسنة وما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن
نشير اليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار في
التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه الواحدي النيسابوري وهو الوجيز

والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة اضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك
استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له الا انتهاء العمر واما الحديث فالاقتصار
منه ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ
اسامي الرجال فقد كفيت فيه ما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول على كتبهم وليس
يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج اليه عند
الحاجة واما الاقتصاد فيه فان تضيف اليه ما خرج منهما مما ورد في المسندات
الصحاح واما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف
والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال
الرجال واساميهم واوصافهم واما الفقه فالاقتصار فيه ما يحويه
مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ
ثلاثة امثاله وهو القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء
ما اوردناه في البسيط الى ما وراء ذلك من المطولات واما الكلام
فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف لا غير وما وراء ذلك
طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقه ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة
الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد العقائد
من جملة هذه الكتب والاقتصاد فيه ما يبلغ مائة ورقة وهو القدر الذي
اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة
بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل
اشتداد تعصبهم اما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه
الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه واحال القصور على نفسه وقدر ان عند غيره جوابا
هو عاجز عنه وانما انت ملبس عليه بقوة المجادلة واما العامي اذا صرف عن
الحق بنوع جدل يمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان يشتد التعصب للاهواء فاذا
اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس

وهذا ايضا من آفات علما السو فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون الى
المخالفين بعين الازدرا والاستحقار فتنبعث منهم الدعاوي بالمكافاة والمقابلة وتتوفر
بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوي غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولو
جاووا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض التعصب
والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل
الاتباع الا التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوه عادتهم والتهم وسموه ذبا
عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس
واما الخلافيات التي احدثت في هذه الاعصار المتاخرة وابدع فيها من
التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثله في السلف فاياك ان تحوم
حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الدا العضال وهو الذي رد الفقها
كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ما سياتيك تفصيل غوايله وآفاته وهذا
الكلام ربما يسمع من قايله فيقال الناس اعدا ما جهلوا فلا تظنن ذلك فعلى الخبير
سقطت فيه واقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الاولين
تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله تعالى رشده واطلعه على عيبه فهجره
واشتغل بنفسه ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف
علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها
مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وقد كانوا اعلم
بعلل الفتوى من غيرهم بل هي مع انها غير مفيدة في علم المذهب هي ضارة مفسدة
لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته
على شروط الجدل في اكثر الامر ومن الف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه
لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل
لطلب الصيت والجاه ويتعلل بانه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر
ولا يصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن في امان واحترز من شياطين

الانس

الانس فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب في الاغوا والاضلال وبالجملة
فالمرضي عند العقلا ان تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض
والحساب والجنة والنار وتامل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلم
وقد راى بعض الشيوخ بعض العلما في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل
فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هبا منثورا ما انتفعت
الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا
عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وفي
الحديث في معنى قول الله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية هم اهل الجدل
الذين عناهم الله عز وجل بقوله فاحذرهم وقال بعض السلف يكون في
اخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض
الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسياتي قوم يلهمون الجدل وفي
الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق
الا منعوا العمل

الباب الرابع في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتهما

اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفا الراشدون وكانوا
ايمة وعلما بالله وفقها في احكامه ومستقلين في الفتاوى والاقضية وكانوا
لا يستعينون بالفقها الا نادرا في وقايع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ
العلما لعلم الاخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق
من الدنيا واقبلوا على الله بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة
بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوي والاحكام
اضطروا الى الاستعانة بهم اعني الفقها والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتايهم
في مجاري احكامهم وقد بقي من علما التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم
صفو الدين ومواظب على سمت علما السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا واضطر

الخلفا الى الالحاح في طلبهم لتولية القضا والحكومات فراى اهل تلك الاعصار عز
العلما واقبال الايمه والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرابوا لطلب العلم
توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة [فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة] وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات
والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة
الابتذال فاصبح الفقها بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة
بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله في كل عصر
من علما دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية
لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامرا
من سمع مقالات الناس في قواعد العقايد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها
فعلمت رغبته في المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام
واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا فنون
المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن الله والنضال عن السنة
وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم بالاشتغال بفتاوى الدين وتقلد
احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور
من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح
بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشية المفضية الى اهراق الدما
وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب
الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك
وسفين واحمد وغيرهم رضي الله عنهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقايق الشرع
وتقرير علل المذهب وتمهيد اصول الفتاوي واكثروا فيها التصانيف
والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون الى
الان عليه ولسنا ندري ما الذي قدر الله تعالى بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث
على الاكباب على الخلافيات والمناظرة لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا

الى الخلاف مع امام اخر من الايمة او الى علم اخر من العلوم لمالوا ايضا معهم ولم
يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب
الى رب العالمين بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات
الصحابة ومفاوضات السلف اعلم ان هولا قد يستدرجون الى ذلك الناس
بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون
على النظر وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر وهكذا كانت عادة الصحابة في مشاوراتهم
كتشاورهم في مسئلة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا
اخطا كما نقل من اجهاض المراة جنينها خوفا من عمر وكما نقل في مسايل الفرايض
وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وابي يوسف وغيرهم من العلما ويطلعك
على هذا التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط
وعلامات الاول ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ
عن فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية وزعم ان مقصوده
الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب
ونسجها ويقول غرضي ستر العورة لمن يصلي عريانا ولا يجد الثوب فان ذلك ربما
يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع الحوادث النوادر التي البحث عنها
في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة اهملوا امورا هي فرض عين بالاتفاق
ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلاة التي هي اقرب القربات
الى الله تعالى عصى بذلك فلا يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس
الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب الثاني ان لا
يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان راى ما هو فرض كفاية اهم عصى بفعله وكان
مثاله من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو
قادر على احيايهم بان يسقيهم الما فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض
الكفايات ولو خلا عنها البلد لهلك الناس واذا قيل في البلد جماعة من الحجامين

وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يتعاطى هذا
ويهمل الاشتغال بالواقعة المهمة كجماعة من العطاش من المسلمين كحال المشتغل
بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها واما الفتوى فقد قام جماعة
بها ولا يخلوا بلد من جملة من فروض الكفايات المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها
واقربها الطب ولا يوجد في اكثر البلاد طبيب مسلم يجوز الاعتماد على شهادته
فيما يعول على قول الطبيب فيه شرعا ولا يرغب احد من الفقهاء في الاشتغال به
وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانه من فروض الكفايات وربما يكون
المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر
في مسئلة لا يتفق وقوعها قط وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يريد
ان يتقرب به الى الله تعالى لانه فرض كفاية وقد روي انس انه قيل متى يترك
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال اذا ظهرت المداهنة في خياركم
والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في اراذلكم
الثالث ان يكون المناظر مجتهدا يفتي برايه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة
وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق في مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق الشافعي وافتى
بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والائمة رضي الله عنهم واما من ليس له رتبة
الاجتهاد وهو حكم جميع اهل العصر وانما يفتي فيما يسئل عنه ناقلا عن مذهب
صاحبه ولو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه فاي فائدة له في المناظرة
ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند
صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في اصل الشرع ولو
كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان او قولان لصاحبه لكان اشبه فانه ربما
يفتي باحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى احد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية
فيها قط بل ربما ترك المسئلة التي فيها وجهان او قولان وطلب مسئلة
يكون الخلاف فيها مبتوتا الرابع ان لا يناظر الا في مسئلة واقعة

او قريبة

او قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع او
ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم
البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي يتسع مجال الجدل فيها
كيف ما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية او هي من الزوايا
لانها خبرية ومدرك الحق هو الاخبار او لانها ليست من الطبوليات فلا يطول
فيها الكلام والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا ان يطول
الخامس ان يكون المناظر في الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين
اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للهم واحرى بصفاء الفكر ودرك
الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد
نفسه محقا كان او مبطلا وانت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع وان الواحد
يخلو بصاحبه مدة مديدة ولا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيبه فاذا ظهر مقدم
وانتظم جمع ومجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام
السادس ان يكون في طلب الحق كمنشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر
الحق على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرفه
الخطا واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على
ضالته في موضع اخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويفرح به ولا يكرهه فهكذا كانت
مشاورات الصحابة حين ردت امرأة على عمر رضي الله عنه وهو في خطبته على ملاء
من الناس فقال اصابت امرأة واخطأ رجل وسأل رجل عليا رضي الله عنه
فاجاب فقال ليس كذلك يا امير المومنين ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطأت
وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري فقال ابو موسى
لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل عن رجل قاتل في
سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان امير الكوفة فقال ابن مسعود اعده على الامير
فلعله لم يفهم فاعاد واعاد الجواب فقال ابن مسعود انا اقول ان قتل فاصاب

الحق فله الحمد فقال ابو موسى ما قال فهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر
لمن مثل هذا الان لقيل لا نكر واستبعد وقال لا يحتاج الى ان يقال اصاب الحق
فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظري زمانك كيف يسود وجه احدهم اذا
اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته باقصى قدرته
وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم
على النظر في الحق السابع ان لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى
دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه
جميع دقائق الجدل المبتدعة ما له وما عليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك
الاول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق ابدا يكون مناقضا للباطل ويجب
قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس
المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له وما الدليل على ان الحكم في الاصل
معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح واولى منه
فاذكره لي حتى انظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد
عرفتها ولا اذكرها ولا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ابراز ما تدعيه
وراء هذا ويصر المعترض على انه لا يلزمني وتتزجى مجالس المناظرة بهذا الجنس
من السؤال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرفه ولا اذكره اذ لا
يلزمني كذب على الشرع وانه ان كان لا يعرف معنى وانما يدعيه ليعجز خصمه فهو
فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتعالى وتعرض لسخطه بدعواه ما هو خال عن
معرفته وان صدق فهو فاسق باخفائه ما عرفه من امر الشرع وقد ساله اخوه المسلم
ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا اظهر ضعفه واخرجه
عن ظلمة الجهل ولا خلاف ان اظهار ما علم من علم الدين بعد السؤال عنه واجب
لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي في الجدل الذي ابدعناه بحكم التشهي والرغبة
في طرق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني ولكنه لازم في الشرع فانه

بامتناعه

بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات
السلف هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع احد احدا من الانتقال من
دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم من هذا
الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه
الثامن ان يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب
انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على لسانهم ويرغبون
فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذا شروط دقيقة ولكن
في هذه الشروط الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله ومن يناظر لعلة واعلم
بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدو له ولا
يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل المجتهد فيها المصيب
او مساهم المصيب في الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك
شمت الشيطان به بما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر
تفصيلها بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق
اعلم ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والتشوف
عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع
الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش
الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها
كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة
وكما ان الذي خير بين الشرب وبين سائر الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه
فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب
الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك الى اضمار
الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق سياتي
مذمتها من الاخبار والآيات في ربع المهلكات ولكنا نشير الآن الى مجامعها

يهيجه المناظرة ومنها الحسد وقد قال صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل
النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يُغلب وتارة
يُحمد كلامه وتارة يُحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة في العلم والنظر
او يظن انه احسن كلاما منه واقوى نظرا فلا بد ان يحسده ويحب زوال
النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلي به
فهو في العذاب الاليم في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد واعظم ولذلك قال
ابن عباس خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا اقوال الفقهاء بعضهم في بعض
فانهم يتغايرون كما يتغاير التيوس في الزريبة ومنها التكبر والترفع
على الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله
وقال حكاية عن الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا
منهما القيته في النار ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والترفع الى فوق
قدره حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض
والقرب من وسادة الصدر والبعد منه والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق
وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه يبغي صيانة عز العلم وان المؤمن منهي
عن اذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله عليه وسائر انبيائه بالذل
وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما
فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها الحقد ولا يكاد المناظر يخلو
عنه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المومن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا
يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على ان لا يضمر حقدا على من يحرك راسه على كلام
خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك
الى اضمار الحقد وتربيته في النفس وغايته تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه
الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع
المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده واصداره بل لو صدر من خصمه

ادنى

ادنى تشبيب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس حقد في صدره ولا يقلعه ابدا الدهر
الى اخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها الله سبحانه باكل الميتة ولا يزال
المناظر مثابرا على اكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه
ان يصدق عليه ولا يكذب في الحكاية ويحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه
ونقصان فضله وهو الغيبة واما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ لسانه
من التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى
الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية النفس قال الله تعالى
فلا تزكوا انفسكم وقيل لحكيم ما الصدق القبيح قال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو
المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا
ينفك في اثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا
المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به
تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف والتمدح
مذموم شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال
الله تعالى ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع
عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى بلده فيطلب من يخبر بواطن
احواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في افضاحه
وتخجيله اذا مست اليه حاجته حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب
بدنه فعساه يعثر على هفوة او على عيب من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى
غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف
التسبيب ولا يمتنع من الافصاح به ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكي عن
اقوام من اكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم ومنها
الفرح بمساءة الناس والغم بمسارهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد
عن اخلاق المؤمنين وكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء

اقرانه واشكاله الذين يساهمونه في الفضل ويحزن لمساءتهم فما بين الضرات فكما ان احدى
الضراير اذا رات صاحبتها من بعيد ارتعدت فرايصها واصفر لونها فهكذا المناظر اذا
راى مناظرا يتبدل لونه ويضطرب عليه فكره وكانه يشاهد شيطانا او سبعا ضاريا فاين
الاستيناس والاسترواح الذي كان يجري بين علما الدين عند اللقا وما ينقل عنهم
من المواخاه والتناصر والتساهم في السرا والضرا حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين اهل
العقل رحم متصل ولا ادري كيف يدعي الاقتدا بمذهبه جماعه صار العلم بينهم عداوه
قاطعه فهل يتصور ان ينسب الانس مع طلب الغلبه والمباهاه هيهات هيهات
فناهيك بالشي شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين ويبريك عن اخلاق المومنين والمتقين
ومنها النفاق ولا يحتاج الى ذكر الشواهد فيه وهم يضطرون اليه
فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم ولا يجدون بدا من التودد باللسان
واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب والمخاطب وكل من يسمع
ذلك منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وفجور وانهم متوددون بالالسنه متباغضون
بالقلوب نعوذ بالله من ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم
وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله
عند ذلك واصمهم واعمى ابصارهم رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهده الحال
ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراه فيه حتى ان ابغض شي الى
المناظر ان يظهر الحق على لسان خصمه ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده وبذل
غايه امكانه في المخادعه والمكر والحيله لدفعه ثم تصير المماراه عاده فيه طبيعيه
فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعيه الى الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك
على قلبه في ادله القران والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمرا في مقابله
الباطل محذور وندب رسول الله صلى الله عليه الى ترك المرا بالحق على الباطل
فقال من ترك المرا وهو مبطل بني له بيت في الجنه ومن ترك المرا وهو محق بني له بيت
في اعلى الجنه وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه

فقال

فقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الريا
وملاحظه الخلق والجهد في استماله قلوبهم وصرف وجوههم والريا هو الدا العضال الذي يدعوا
الى اكبر الكباير كما سياتي في كتاب الريا والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق
واطلاق السنتهم بالثنا عليه فهذه عشر خصال من امهات الفواحش الباطنه سوى ما يتفق
لغير المتماسكين منهم من الخصام المودي الى الضرب واللكم وتمزيق الثياب والاخذ
باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان اوليك ليسوا معدودين
في زمره المعتبرين وانما الاكابر والعقلا منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم
قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه
او هو بعيد عن بلده واسباب معيشته ولا ينفك احد منهم عنه مع اشكاله المقارنين له في
من الرذايل
الدرجه ثم يتشعب من كل واحده من هذه الخصال العشر عشر اخرى لم نطول بذكرها
وتفصيل احادها مثل الانفه والغضب والبغضا والطمع وحب المال والجاه
للتمكن من الغلبه والمباهاه والاشر والبطر وتعظيم الاغنيا والسلاطين والتردد
اليهم والاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظوره والاستحقار
الناس بالفخر والخيلا والخوض فيما لا يعني وكثره الكلام وخروج الخشيه والخوف
من القلب واستيلا الغفله عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما الذي يقراه ومن الذي
يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظره
مع انها لا تنفع في الاخره من تحسين العباره وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى
غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات
شتى ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما
غايته اخفاوها ومجاهده النفس بها واعلم ان هذه الرذايل لازمه للمشتغل
بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول واقامه الجاه ونيل الثروه
والعزه وهي لازمه ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصده طلب القضا
وولايه الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجمله هي لازمه لكل من يطلب بالعلم غير

ثواب الآخرة فالعلم الذي يهمل العامل بعمله هلاك الأبد او صحبة الخزي الابد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس
عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ولقد خطره مع انه لم ينفعه وليته نجا منه
راسا براس وهيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا
ينفك عن الملك او الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا فان لم يتفق الاصابة لم يطمع في
سلامة الارذال بل لا بد من افضح الاحوال فان قلت في الرخصة في المناظرة
فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم
فقد صدقت فيما ذكرته ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب
بالعصافير لما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمود ولولا
حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال النبي
صلى الله عليه وسلم فيهم ان الله تعالى يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال ان الله تعالى
يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه
غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان حاله في ظاهر الامر حال علما السلف
ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره
في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله النار المحرقة التي تاكل نفسها
وغيرها فالعلما ثلثة اما مسعد نفسه وغيره وهم الراغبون الى الله تعالى ظاهرا
وباطنا واما مهلك نفسه ومسعد غيره وهو الذي يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا في
ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من اي الاقسام انت
ومن اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن ان الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه من العلم
والعمل وسياتيك في ربع المهلكات في كتاب الرياء ما ينفي عنك الريبة منه ان شاء الله تعالى

الباب الخامس في آداب المتعلم والمعلم

اما المتعلم فادابه ووظائفه كثيرة ولكن نظم تفاريقها عشر جمل الوظيفة الاولى
تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب
وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح

الظاهرة

الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن
وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال
النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا وقال تعالى انما
المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر
المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي باطنه
ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد عنه وخبائث
صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة والقلب بيت هو منزل
الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات الردية مثل الغضب والشهوة
والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة
فما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا الحجاب او يرسل رسولا وهكذا
ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم
المقدسون المطهرون المبرؤون عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما
عندهم من خزائن رحمة الله الا طاهرا ولست اقول المراد بلفظ البيت هو القلب
وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق بين
تغيير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير
الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك
العلما والابرار اذ معنى الاعتبار ان تعبر مما ذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى
العاقل مصيبة لغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه ايضا عرضة
المصايب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى
اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بنا الخلق الى القلب
الذي هو بيت من بنا الله تعالى ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من
سبعية ونجاسة الى روح الكلبية وهي السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب

والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى
وعلى في الصورة ونور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة
على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني ولذلك
يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره
الى اموالهم ذئبا عاديا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة
اسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر
والابصار فان قلت كم من طالب رديء الاخلاق حصل العلوم فهيهات
ما ابعده عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فان من اوائل
العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول سما مع علمه بكونه
سما انما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بالسنتهم مرة ويرددونه
بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم في شيء وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية
انما العلم نور يقذف في القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء وكان هذا اشارة الى اخص ثمرات العلم ولذلك
قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله ان العلم
ابى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه فان
قلت اني ارى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول
وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت
مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء
من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى اذا قصد به التقرب
الى الله سبحانه وقد سبق الى هذا اشارة وسياتيك مزيد ايضاح وبيان الوظيفة
الثانية ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن
فان العلائق صارفة وشاغلة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومهما
توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى

شرة الشباب حرصه ونشاطه صحاح

تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر والفكرة
المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه
واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع الوظيفة الثالثة
ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية في كل
تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي
ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت
على جنازة فقربت اليه بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل
عنه يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء
فقبل زيد يده وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل البيت وقال صلى الله عليه وسلم
ليس من اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي للطالب ان يتكبر
على العلم ومن تكبره على العلم ان يستنكف من الاستفادة الا من المرموقين
المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب
مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين ان يرشده الى الهرب مشهور او خامل
وضراوة سباع النار بالجهال بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة
المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان ولذلك
قيل العلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع
والقاء السمع قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع
وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة
على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما القي اليه بحسن
الاستماع والاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم
لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت بجميع اجزائها واذعنت بالكلية
لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رايه فان
خطا مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب

سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب بعض اوقاته بالحرارة
ليزيد في قوته الى حد يحتمل العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة
الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على
ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسالني عن شي
حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق
بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا وراء اختيار المعلم فاحكم عليه
بالاخفاق والخسران فان قلت فقد قال تعالى فسئلوا اهل الذكر والسوال
مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما ياذن المعلم في السوال عنه فان السوال عما لا يبلغ
رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عليهما السلم عن السوال اي دع السوال
قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهله وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف في
كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل اوان السوال وقد قال علي رضي الله عنه ان
من حق العالم ان لا تكثر عليه بالسوال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا
تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشي له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن عثرته
وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه لله تعالى ما دام حفظ امر الله
ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته الوظيفة
الرابعة ان يحترز الخايض في العلم في مبدا الامر عن الاصغا الى اختلاف الناس
سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او من علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير
ذهنه ويفتر رايه ويوييسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة
الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن
استاذه مستقلا براي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحترز منه فان
اضلاله اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا
حاله فهو بعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع
الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وكذلك يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار

ويندب

ويندب الشجاع اليه ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفا ان الاقتدا بالاكابر
فيما ينقل عنهم من المساهلات جايز ولم يدرك ان وظايف الاقويا تخالف وظايف
الضعفا ولذلك قال بعضهم من راى في البداية صار صديقا ومن راى في النهاية صار
زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرايض
فيتراى للناظر انه بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين
الشهود والحضور وملازمة الفكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف
بالقوي فيما يرى انه من ظاهره هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز
ما ويتعلل بان اضعاف هذه النجاسة قد تلقى في البحر والبحر اعظم من الكوز فما جاز للبحر
فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة ما فينقلب عين النجاسة
باستيلايه الى صفته والقليل يغلب الكوز ويحيله الى صفته وبمثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم
ما لا يجوز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل
الى نسايه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه
حتى يجر الى معصية الله تعالى في طلب رضاهن فما افلح من قاس الملايكة بالحدادين
الوظيفة الخامسة ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا
من انواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده
العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم فاستوفاه وتطرف من البقية فان
العلوم متعاونة ومرتبطة بعضها بالبعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك
عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعدا ما جهلوا قال الله تعالى واذ لم
يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وقال الشاعر
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الما الزلالا
فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من
الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة
كحفظة الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الاخرة

اذا قصد به وجه الله تعالى الوظيفة السادسة ان العمر اذا كان لا يتسع
لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شي احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف
جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم
الاخره اعني قسمي المعامله والمكاشفه فغايه المعامله المكاشفه وغايه المكاشفه
معرفه الله تعالى ولست اعني به الاعتقاد الذي يلقفه العامي وراثة او تلقفا
ولا طريق تحرير الكلام والمجادله في تحصين ذلك عن مراوغات الخصوم كما هو غايه
المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمره نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهده باطنه
عن الخبايث حتى ينتهي الى رتبه ايمان ابي بكر الصديق رضي الله عنه لو وزن بايمان العالم
لرجح كما شهد له به سيد البشر صلوات الله عليه وسلم فما عندي ان ما يعتقده العامي
ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي الا في الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما
كان يعجز عنه عمر وعلي رضي الله عنهما وساير الصحابه حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر الذي وقر
في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلى الله عليه واله
ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم انه من ترهات الصوفيه فان ذلك غير معقول
فعسى ان تاتيك في هذا فعندي ضيعت راس المال فاحرص على معرفه ذلك السر
الخارج عن بضاعه الفقها والمتكلمين فلا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب وعلى
الجمله فاشرف العلوم وغايتها معرفه الله تعالى وهو بحر لا يدرك منتهى غوره
واقصى درجات البشر فيه رتبه الانبيا ثم الاوليا ثم الذين يلونهم وقد روي
انه رأى صوره حكيمين من الحكما في مسجد وفي يد احدهما رقعه فيها ان احسنت كل شي
فلا تظنن انك احسنت شيا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب
وموجد الاشيا وفي يد الاخر كنت قبل ان اعرف الله تعالى اشرب واظما حتى اذا
عرفته رويت بلا شرب الوظيفة السابعه ان تعرف السبب الذي به يدرك
شرف العلوم وان ذلك يراد به شيان احدهما شرف الثمره والثاني وثاقه الدليل وقوته
وذلك كعلم الدين وعلم النجو فان الحساب اشرف لوثاقه ادلته وقوتها واذا نسب

الحساب

الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته
وملاحظه الثمره اولى فلذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين وبهذا
تبين ان اشرف العلوم العلم بالله وملايكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى
هذه العلوم فاياك ان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه الوظيفة الثامنه
ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيله وفي المال القرب من
الله تعالى والترقي الى جوار الملا الاعلا من الملايكه والمقربين ولا يقصد به الرياسه
والمال ومماراه السفها ومباهاه الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محاله
الاقرب الى مقصوده وهو علم الاخره ومع ذلك فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقاره
الى ساير العلوم اعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنه وغير
ذلك مما اوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلم التي هي فرض كفايه
ولا تفهمن من غلونا في الثنا على علم الاخره تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم
كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدون في سبيل الله تعالى ومنهم
المقاتل ومنهم الذي يسقيهم الما ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك
واحد منهم عن الاجر اذا كان قصده اعلا كلمة الله دون حيازه الغنايم فكذلك
العلما قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
وقال هم درجات عند الله والفضيلة نسبيه واستحقارنا الصيارفه عند قياسهم
بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن ان من نزل عن الرتبه
القصوى فهو ساقط القدر بل الرتبه العليا للانبيا ثم للاوليا ثم للعلما الراسخين ثم
للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجمله من يعمل مثقال ذره خيرا يره ومن قصد
الله بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محاله الوظيفة التاسعه ان
تعلم نسبه العلوم الى المقصد كيلا يوثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره
ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شانك في الدنيا والاخره واذا لم يمكن الجمع
بين ملاذ الدنيا ونعيم الاخره كما نطق به القران وشهد له من نور البصاير ما يجري

مجرى الحيات في الامم ما سمي ابد الاباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا
والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقا الله تعالى ففيه النعيم كله وان كان لا
تعرف في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقا الله والنظر
الى وجهه الكريم اعني النظر الذى طلبه الانبيا وفهموه دون ما سبق الى فهم العوام
والمتكلمين على ثلث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذى علق عتقه وتمكينه
من الملك على الحج وقيل له ان حججت وتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان
ابتدات بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضرورى فلك العتق
والخلاص من شقا الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلثه اصناف من الشغل
الاول تهيئة الاسباب بشرى الناقة وخرز الراويه واعداد الزاد والراحله
والاخر السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل الثالث
الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع
استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول اعداد
الاسباب الى اخرها ومن اول سلوك البوادي الى اخره ومن اول اركان الحج
الى اخره وليس قرب من ابتدا باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد
الزاد والراحله ولا قرب من ابتدا بالسلوك بل اقرب منه فالعلوم ايضا ثلثة اقسام
قسم يجرى مجرى اعداد الزاد والراحله وشرى الناقة وهو علم الطب والفقه
وما يتعلق بمصالح البدن وقسم يجرى مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو
تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التى عجز
عنها الاولون والاخرون الا الموفقون فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل
علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغنى علم المنازل وطرق البوادى دون سلوكها
لا يغنى علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير
ممكن وقسم ثالث يجرى مجرى الحج واركانه وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وافعاله
وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفه وهاهنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصل

لكل سالك

لكل سالك الطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة فاما الفوز بالسعادة لا
ينالها الا العارفون فهم المقربون المنعمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة
النعيم واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله تعالى فاما ان
كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
من اصحاب اليمين وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض الى جهته
لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال فله نزل
من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق اليقين عند العلما الراسخين
اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار
وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد
فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة
والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء المعاملة التى هى سلوك
طريق الاخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة
وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك وذلك وراء سلامة البدن
ومساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي
يتوسل به الى المطعم والملبس والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط
الناس على نهج العدل والسياسة في ناحية الفقيه واما اسباب الصحة ففي
ناحية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان واشار الى الفقه
اراد به العلوم الظاهرة الشايعة لا العلوم العزيزة الباطنة فان قلت
فلم شبهت الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة فاعلم ان الساعي الى الله تعالى
لينال قربه هو القلب دون البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر
من اسرار الله تعالى لا يدركه الحس ولطيفة من لطايفه تارة يعبر عنها بالروح وتارة
بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنها بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر من
علم المكاشفه وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه ان يقال هو

جوهر نفيس ودرعز من اشرف من هذه الاجرام المرتبه وانما هو امر الهي كما قال
تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وكل المخلوقات منسوبه الى الله
تعالى ولكن نسبته اشرف من نسبه الاعضا فلله الخلق والامر جميعا اعلى من
الخلق وهذه الجوهره النفيسه الحامله لامانه الله تعالى المقدمه بهذه الرتبه
على السموات والارض اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها من عالم الامر ولا نعلم
هذا العوض لما نعده فالقايل بعدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول والنقبض
عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفه
هي الساعيه الى قرب الله تعالى لانه من امر الرب فمنه مصدره واليه مرجعه
واما البدن فمطيته التي يركبها ويسعى بواسطتها فالبدن لها في طريق الله
كالناقه لها في طريق الحج وكالراويه الحاويه للماء الذي تفتقر اليه فكل علم مقصده
مصلحه البدن فهو من جمله مصالح المطيه ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج
اليه في حفظ الصحه على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه
تفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكن خلق على وجه
لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثه والزرع
والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد الالات ذلك كله فاضطر
الى المخالطه والاستعانه ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب
الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج
كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من باطن وبالطب يحفظ الاعتدال
في الاخلاط المتنازعه من داخل وبالسياسه والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس
من خارج وعلم طرق اعتدال الاخلاط طب وعلم طرق الاعتدال في الاحوال
بين الناس في المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطيته
فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشري
الناقه وعلفها وشري الراويه وخرزها اذا لم يسلك باديه الحج والمستغرق عمره

في دقايق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقايق
الاسباب التي بها تحكم الخيوط التي بها تخرز راويه الحج ونسبه هاولاء من
السالك لطريق اصلاح القلب والوصول الى علم المكاشفه كنسبه اوليك الى سالكي
طريق الحج او ملابسي اركانه فتامل هذا واقبل النصيحه مجانا ممن قام عليه غاليا
ولم يصل اليه الا بعد جهد شديد وجراه تامه على مباينه الخلق والعامه
في النزوع عن تقليدهم بمجرد الشهوه وهذا القدر كاف في وظايف المتعلم
بيــــان وظايف المرشد المعلم اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال
كحاله في اقتنا الاموال اذ لصاحب المال حاله استفاده فيكون مكتسبا وحاله
ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السوال وحاله انفاق على نفسه فيكون به
منتفعا وحاله بذله لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم
يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السوال وحال
استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال فمن
علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات فانه كالشمس تضيء لغيرها
وهي مضيئه في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر
الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره وهو لا يقطع وكالابره
التي تكسو غيرها وهي عاريه وذباله المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق ومهما
اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ ادابه ووظايفه
الوظيفــــه الاولى الشفقه على المتعلمين وان يجريهم مجرى البنين قال
عليه السلام انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصده انقاذهم من نار الاخره وهو اهم من
انقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين
فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياه الفانيه ولولا المعلم لساق ما حصل من
جهه الاب الى الهلاك الدايم وانما المعلم هو المفيد للحيوه الاخرويه الدايمه
اعني معلم علوم الاخره او علوم الدنيا على قصد الاخره لا على قصد الدنيا فاما

العلم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق ابنا الرجل
الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد فحق تلامذة الرجل الواحد التحاب ولا
يكون الا كذلك ان كان مقصودهم الاخره ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان
مقصودهم الدنيا فان العلما وابنا الاخره مسافرون الى الله تعالى وسالكون اليه
الطرق والدنيا وسنوها وشهورها منازل الطرق والترافق في الطرق بين
المسافرين الى الامصار سبب التوادد والتحابب فكيف السفر الى الفردوس
الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الاخره فلذلك لا يكون بين
ابنا الاخره تنازع ولا سعه في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق
التزاحم والعادلون الى طلب الرياسه بالعلم خارجون عن موجب قوله تعالى
انما المومنون اخوه وداخلون في مقتضى قوله تعالى الاخلا يوميذ بعضهم لبعض
عدو الوظيفه الثانيه ان يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلم
فلا يطلب على افاده العلم اجرا ولا يقصد به جزا ولا شكورا بل يعلم لوجه الله تعالى
وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منه عليهم وان كانت المنه لازمه لهم بل
يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزراعه العلوم فيها كالذي
يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعه فمنفعتك بها تزيد على منفعه الارض
اذ تقلده منه وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم
ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى كما قال تعالى قل لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن
مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم
المال كان كمن مسح اسفل مداسه بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما
والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على ام الراس ومثله هو الذي يقوم في
العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي روسهم عند ربهم وعلى الجمله فالفضل والمنه
للمعلم وانظر كيف انتهى امر الدين الى قوم يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم

فيه من علم

فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون
اصناف الذل في خدمه السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا
ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المتعلم من المعلم ان يقوم له في كل نائبه وينصر وليه
ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان
قصر ثار عليه وصار من اعدا اعدايه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزله
ثم يفرح بها ثم لا يستحي من ان يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله
ونصره لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى صنوف الاغترارات الوظيفه
الثالثه ان لا يدخر من نصح المتعلم شيا وذلك بان يمنعه من التصدي
لرتبه قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من العلم الجلي ثم ينبهه
على ان الغرض بطلب العلوم القرب من الله تعالى دون الرياسه والمباهاه والمنافسه
ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن وليس ما يصلحه العالم الفاجر اكثر مما يفسد
فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو
علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه
من ذلك فان هذه ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم
ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به
وعلم الاخره ومعرفه اخلاق النفس وكيفيه تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصد به
الدنيا فلا باس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن
يتنبه في اثنا الامر او في اخره اذ فيه العلوم المخوفه من الله تعالى المحقره للدنيا
المعظمه للاخره وذلك يوشك ان يودي الى الصواب بالاخره حتى يتعظ بما
يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص
به الطير وقد فعل الله تعالى ذلك بعباده اذ خلق الشهوه ليصل الخلق بها الى بقا
النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحيا العلوم وهذا متوقع في
هذه العلوم فاما الخلاف المحض ومجادله الكلام ومعرفه التفريعات الغريبه

فلا تزيد المجرد لهما مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى
وتماديا في الضلال وطلب الجاه الا من تداركه الله برحمته او مزج به غيره
من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر
واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان وقد قيل
لسفين الثوري وقد رأي حزينا ما بالك قال صرنا متجرا لابنا الدنيا
يلازمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا الوظيفة
الرابعة وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق
بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ
فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراة على الهجوم بالخلاف ويهيج
الحرص على الاصرار قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت
البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شي وينبهك على هذا قصة ادم
وحوا عليهما السلم وما نهيا عنه فما ذكرت القصة لتكون سمرا بل لتتنبه بها على
سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية
الى استنباط معاني ذلك فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم
ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته الوظيفة الخامسة ان المتكفل
ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراه كمعلم اللغة اذ عادته
تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض
وسماع مجرد وهو من شان العجائز لا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن
الفقه ويقول ذلك فرع وهو كلام في حيض النسوان فاين ذلك من الكلام في
صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب بل المتكفل بعلم
واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم
ينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة الوظيفة
السادسة ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او

يخبط

يخبط عليه عقله اقتدا في ذلك بسيد البشر عليه السلم حيث قال نحن معاشر الانبيا امرنا
ان ننزل الناس منازلهم وان نكلم الناس على قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم
انه يستقل بفهمها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احد يحدث الناس بحديث لا تبلغه
عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان ههنا
علوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا
ينبغي ان يفشي العالم كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا
للانتفاع به فكيف بما لا يفهمه وقد قال عيسى عليه السلم لا تعلقوا الجوهر في اعناق
الخنازير وان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل
كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع
الانكار لتفاوت المعيار وسيل بعض العلما عن شي فلم يجب فقال السايل اما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كتم علما نافعا جا يوم القيامة ملجما بلجام من نار
فقال اترك اللجام واذهب فان جا من يفقه وكتمته فليلجمني وقول الله تعالى
ولا تؤتوا السفها اموالكم تنبيها على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس
الظلم في اعطا غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق ؂

فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

الوظيفة السابعة ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به ولا
يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش
قلبه ويخيل اليه البخل به عنه اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد
الا وهو راض عن الله تعالى في كمال عقله واشد الناس حماقة واضعفهم عقلا هو افرحهم
بكمال عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العلوم بعد الشرع ورسخ في نفسه العقايد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ولا تاويل وحسن مع ذلك سيرته ولم يحتمل عقله
اكثر من ذلك فلا ينبغي ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلى وحرفته فانه لو ذكر
له تاويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي

سه ومن المعاصي وسلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي ان يخاض
بالعوام في دقايق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة
في الصناعة التي هم بصددها ويملا قلوبهم من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق
به القران ولا يحرك عليه شبهة فانه ربما تعلق الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها
فيشقى ويهلك بالجملة فينبغي ان لا يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم
التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص الوظيفة الثامنة ان يكون عاملا
بعلمه فلا يكذب قوله فعله فان العلم يدرك بالبصاير والعمل بالابصار وارباب الابصار
اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيا وقال للناس لا تتناولوه فانه
سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه اطيب الاشيا
والذها لما كان يستاثر به ومثل المعلم المرشد مع المتعلم المسترشد مثل النقش من
الطين والعود من الظل وكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود اعوج
ولذلك قيل لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
وقال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه
اكثر اذ يزل به عالم فيقتدون به ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها
ولذلك قال علي رضوان الله عليه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر
الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه

الباب السادس في افات العلم وبيان علامات علما الاخرة وعلما السو

قد ذكرنا ما ورد من فضايل العلم والعلما وقد ورد في العلما السو تشديدات عظيمة
دلت على انهم اشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة
بين علما الدنيا وعلما الاخرة ونعني بعلما الدنيا العلما السو الذين قصدهم التنعم بالدنيا
والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس
عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال لا يكون المرء
عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ايضا العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على

ابن آدم

ابن ادم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ايضا يكون في اخر الزمان عباد جهال
وعلما فساق وقال لا تعلموا العلم لتباهوا به العلما ولتماروا به السفها ولتصرفوا
وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال من كتم علما عنده الجم بلجام
من نار وقال لانا من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك
فقال ايمة مضلون وقال من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا
بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وانتم مقيمون مع
المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على خطر العلم وان العالم اما متعرض
لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك
السعادة واما الاثار فقد قال عمر رضي الله عنه ان اخوف ما اخاف على هذه
الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب
والعمل وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلما وطرايف الحكما ويجري في العمل
مجرى السفها وقال رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه
فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابرهيم بن عيينة اي الناس اطول
ندامة فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما عند
الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن احمد الرجال اربعة رجل يدري ويدري
انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نايم فايقظوه
ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدري ولا
يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال الثوري يهتف العلم بالعمل
فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم
فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل اني لارحم ثلثة عزيز قوم ذل وغنيا
افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلما موت القلب وانشد
عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العالم يعذب عذابا يطيف به اهل النار استعظاما لشدة

عذابه اراد به الفاجر وقال اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم
يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى
قال اندلقت اقتاب بطنه اي خرجت امعاؤه فيطوف به اهل النار فيقولون ما لك
فيقول امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن الشر واتيه وانما يضاعف عذاب العالم
في معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من
النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله ولدا
ولا قالوا انه ثالث ثلاثة الا انهم انكروا بعد المعرفة اذ قال تعالى يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى في قصة بلعام بن
باعورا واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها حتى قال فمثله كمثل الكلب
وكذلك العالم الفاجر فان بلعام اوتي كتاب الله تعالى فاخلد الى الشهوات فشبه
بالكلب اي سواء اوتي الحكمة او لم يوت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام
مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم الوادي لا هي تشرب ولا هي تترك
الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن
ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والاثار
تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان
الفائزين المقربين هم علماء الاخرة ولهم علامات فمنها ان لا يطلب الدنيا
بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها
وعظم الاخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما
كالضرتين مهما ارضيت احداهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتي الميزان مهما
رجحت احداهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من احدهما بعدت
من الاخر وانهما كقدحين واحدهما مملو فبقدر ما تصب في الاخر يفرغ من هذا
فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها
فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل

له ومن

له ومن لا يعلم عظم امر الاخرة فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له
ومن لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل
بشرائع الانبياء كلهم بل هو كافر بالقران من اوله الى اخره فكيف يعد من زمرة العلماء
ومن علم هذا كله ثم لم يوثر الاخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته
شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسال عني عالما قد اسكرته
الدنيا فيصدك عن طريق محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود اذا
رايت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا
لم اعذبه ابدا ولذلك قال الحسن رضي الله عنه عقوبة العلماء موت القلب وموت
القلب طلب الدنيا بعمل الاخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي انما يذهب بهاء
العلم والحكمة اذا طلب بهما الدنيا وقال عمر رضي الله عنه اذا رايتم العالم محبا
للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وقال مالك بن دينار قرات
في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا
ان اخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا
تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم
وكان يحيى بن معاذ يقول لعلماء الدنيا يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم
كسروية واثوابكم ظاهرية واخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية واوانيكم فرعونية
وماثمكم جاهلية ومذاهبكم سلطانيه فاين المحمديه وانشدوا

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها ... فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

وقيل

يا معشر القراء يا ملح البلد ... ما يصلح الملح اذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين اترى ان من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله قال لا اشك
ان من تكون الدنيا عنده اثر من الاخرة انه لا يعرف الله وهذا دون ذلك بكثير ولا
تظنن ان ترك المال يكفي في اللحوق بعلماء الاخرة فان الجاه اضر من المال
ولذلك قال بشر حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول

او سوالي ودفن بسر الحديث بضعة عشر ما بين قمطر وقمطره من الكتب وكان يقول لم
استمي ان احدث ولو ذهب عني شهوة الحديث حدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت
ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشته تحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة
ومنصب الارشاد اعظم من كل نعيم في الدنيا فمن اجاب شهوته فهو فيه من ابنا الدنيا
ولذلك قال الثوري فتنة الحديث اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا
يخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر صلوات الله عليه ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم شيا قليلا وقال سهل العلم كله دنيا والاخرة منه العمل به والعمل كله هبا
الا الاخلاص وقال ايضا الناس موتى الا العلما والعلما سكارى الا العاملين
والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يعلم ما يختم له به وقال ابو سليمان
الداراني اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن
الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذي لا يحتاج
اليه في طريق الاخرة وقال عيسى عليه السلم كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى
اخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به
لا ليعمل به وقال صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من
الفاجر العالم بالسنة وروى ابو هريرة انه عليه السلم قال من طلب علما مما يبتغى به
وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة وقد وصف
الله تعالى علما السو باكل الدنيا بالعلم ووصف علما الاخرة بالخشوع فقال في
علما الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس الى قوله ثمنا
قليلا وقال تعالى في علما الاخرة وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله الى قوله
لهم اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلما يحشرون في زمرة الانبيا والقضاة
يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى
ابو الدردا انه عليه السلم قال اوحى الله تعالى الى بعض الانبيا قل للذين يتفقهون لغير
الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة يلبسون للناس مسوك الكباش

وقلوبهم قلوب الذياب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي
يخادعون وبي يستهزئون لافتحن لهم فتنة تذر الحليم حيرانا وروى الضحاك عن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علما هذه الامة رجلان رجل اتاه الله علما
فبذله للناس ولم ياخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السما
وحيتان الما ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله يوم القيامة سيدا
شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل اتاه الله علما في الدنيا فضن به عن عباد الله
واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا ياتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادي
مناد على رووس الاشهاد هذا فلان بن فلان اتاه الله علما فضن به عن عباد
الله واخذ به طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الخلق واشد من
هذا ما روي ان رجلا كان يخدم موسى عليه السلم فجعل يقول حدثني موسى صفي الله
حدثني موسى كليم الله حدثني موسى نجي الله حتى اثرى وكثر ماله ففقده موسى
فجعل يسال عنه فلا يحس له اثرا حتى جاه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه
حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم قال هو هذا الخنزير فقال موسى يا
رب اسالك ان ترده الى حاله حتى اساله بم اصابه هذا فاوحى الله تعالى اليه
لو دعوتني بالذي دعاني به ادم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت به
هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل موقوفا
ومرفوعا في رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب
اليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يومن على صاحبه الخطا وفي الصمت سلامة
وعلم ومن العلما من يخزن العلم فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك في الدرك الاول من
النار ومن العلما من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شي من علمه او تهون بشي
من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلما من يجعل علمه وغرايب حديثه
لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة اهلا فذلك في الدرك الثالث من النار
ومن العلما من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطا والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع

من النار ومن العلما من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في
الدرك الخامس من النار ومن العلما من يجعل علمه مروة ونبلا وذكرا في الناس
فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلما من يستفزه العجب والزهو
فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك في الدرك السابع من النار
فعليك بالصمت فبه تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او تمشي
في غير ارب وفي خبر اخر ان العبد لينشر له من الثنا ما بين المشرق والمغرب وما
يزن عند الله جناح بعوضة وروى ان الحسن انصرف عن مجلسه فحمل اليه
رجل من خراسان كيسا فيه خمسة الاف درهم وعشرة اثواب من دقيق البز
فقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك
نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل
من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم يلقاه ولا خلاق له وروي عن جابر
موقوفا ومرفوعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجلسوا عند كل عالم
الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الريا الى
الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى
النصيحة وقال الله تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون
الحيوة الدنيا الى قوله خير لمن امن وعمل صالحا فعرف اهل العلم بايثار
الاخرة على الدنيا ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بشي ما لم
يكن اول عامل به قال الله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
وقال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال تعالى في
قصة شعيب عليه السلم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وقال تعالى
واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا
وقال تعالى لعيسى عليه السلم يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس
والا فاستحي مني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي باقوام

كان تعرض

كان تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نامر بالخير
ولا نفعله وقال عليه السلم هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار
العلما وخير الاخيار خيار العلما وقال الاوزاعي شكت النواويس ما تجد
من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علما السو انتن مما انتم فيه
وقال الفضيل بلغني ان الفسقة من العلما يبدا بهم يوم القيامة قبل عبدة
الاوثان وقال ابو الدردا ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل
سبع مرات وقال الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة الى قوم من اهل النار
فيقولون ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم وتعليمكم
فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال حاتم الاصم ليس في القيامة
اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك
وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته من القلوب
كما يزل القطر عن الصفا وانشدوا

يا واعظ الناس قد اصبحت متهما اذ عبت منهم امورا انت تاتيها

وقال ابرهيم بن ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه
مكتوب انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم وقال ابن السماك
كم من مذكر بالله ناس لله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال
لكتاب الله منسلخ من ايات الله وكم من مخوف بالله جري على الله وكم من
مقرب الى الله بعيد عن الله وقال ابن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن
ولحنا في اعمالنا فلم نعرب وقال الاوزاعي اذا جا الاعراب ذهب
الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس العلم في مسجد قبا اذ خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم الله حتى تعملوا وقال
عيسى عليه السلم مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امراة زنت في السر فحملت

وظهر حملها فاسقط وكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس
الاشهاد وقال معاذ احذروا زلة العالم لان قدره عند الناس عظيم فيتبعونه
على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال ثلاث
بهن يهدم الزمان احدهن زلة عالم وقال ابن عباس سياتي على الناس زمان تملح
فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب
علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة
وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الاخرة
فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة ويطفي مصابيح الهدى من قلوبهم
فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر في عمله فما اخصب
الالسن يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذاك الا لان
المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله وفي الانجيل لا
تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة انكم في زمان من
ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسياتي زمان من عمل فيه بعشر ما علم نجا وذلك
لكثرة البطالين واعلم ان مثل العالم مثل القاضي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
القضاة ثلثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو
يعلم او لا يعلم فهما في النار وقال كعب يكون في اخر الزمان علماء يزهدون
الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة
وياتون ويوثرون الدنيا على الاخرة ياكلون بالسنتهم يقربون الاغنياء دون
الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب احدهم على
جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون اعداء الله وقد روي عنه انه صلى الله
عليه قال ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم قيل يا رسول الله وكيف ذاك قال يقول
اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما
عمل وقال سري السقطي اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب العلم الظاهر فسالته

فقال رايت

فقال رايت في النوم قائلا يقول الى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت اني لاحفظه فقال
حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على العمل وقال ابن مسعود ليس
العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن اعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله لا
يأجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال
مالك ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظروا ما يلزمك
من حين تصبح الى حين تمسي ولا توثرن عليه شيا وقال ابن مسعود انزل القران ليعمل به
فاتخذتم دراسته عملا وسياتي قوم يثقفونه مثل القنا ليسوا بخياركم والعالم
الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الاطعمة ولا
يجدها ومثله يقال ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر انما اخاف على امتي زلة عالم
وجدال منافق بالقران ومهما ان تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في
الاخرة المرغب في الطاعة متجنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل
والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض
به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل
بالسوال عن خاصية العقاقير والادوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو
اخذه وذلك محض السفه وقد روي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال علمني من غرائب العلوم فقال ما صنعت في راس العلم قال وما راس العلم
قال هل عرفت الرب قال نعم قال وما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال فاذهب
فاحكم ما هناك ثم تعال نعلمك غرائب العلم بل ينبغي ان يكون العلم من جنس ما
روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي قال له شقيق منذ كم صحبتني قال منذ
ثلث وثلثين سنة قال وما تعلمت مني في هذه المدة قال ثمان مسائل قال انا
لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثمان مسائل قال يا استاذ
لم اتعلم غيرها ولا احب ان اكذب فقال هات هذه الثماني مسائل حتى اسمعها
قال حاتم الاولى نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع

محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلتُ
القبر دخل معي محبوبي فقال احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت في قول الله
تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فعلمت
ان قوله تعالى هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله
الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل من معه شي له قيمة عنده ومقدار
رفعه وحفظه ثم نظرت في قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع الي شي
له مقدار وقيمة بعثته ووجهته اليه ليبقى لي عنده الرابعة اني نظرت
الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب
فنظرت فاذا هي لا شي ثم نظرت الى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت
في التقوى حتى اكون عند الله كريما الخامسة نظرت الى هذا الخلق وهم
يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى
قوله تعالى نحن قسمنا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسم من عند الله
وتركت عداوة الخلق السادسة نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض
ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
فعاديته وحده واجتهدت في اخذ حذري منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدو لي
فتركت عداوة الخلق السابعة نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد
منهم يطلب هذه الكسرة فيذل نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت اني واحد من هذه الدواب التي
على الله رزقها فاشتغلت بما لله علي وتركت ما لي عنده الثامنة نظرت الى
هذا الخلق فرايتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صحة
بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل على الله
فهو حسبه فتوكلت على الله فهو حسبي قال شقيق يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في
علم التوراة والانجيل والزبور والقران العظيم فوجدت هذه الثماني مسايل

فمن استعملها

فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم يهتم بادراكه والتفطن
له علما الاخرة واما علما الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب الاموال والجاه
ويهملون امثال هذه العلوم التي بها بعث الانبيا كلهم وقال الضحاك بن مزاحم
ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام ومنها
ان يكون غير مايل الى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن
بل يوثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفا بالاقل
في جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربا وارتفع
في علما الاخرة حزبه ويشهد لذلك ما حكي عن ابي عبد الله الخواص وكان من اصحاب
حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الى الري ومعنا ثلثماية وعشرون رجلا ونريد الحج وعليهم
الزرمانقات وليس معهم طعام ولا جراب فدخلنا على رجل من التجار
متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك
حاجة فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض فيها فضل
والنظر الى الفقيه عبادة فانا ايضا اجي معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي
الري فلما جينا الى الباب فاذا هو مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول يا رب
عالم على هذه الحال ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قورا واذا بزة وسعة
وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه فاذا فرش وطية
وهو نايم عليها وعند راسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازي وسال وحاتم قايم
فاومي اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس فقال لعل لك حاجة قال نعم
قال فما هي قال مسالة اسالك عنها قال سلني قال قم فاستو حتى اسالك فاستوى
قال حاتم علمك هذا من اين اخذته قال الثقات حدثوني به قال عن من قال عن
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واصحاب رسول الله عمن قال عن رسول الله قال
ورسول الله عمن قال عن جبريل عن الله قال حاتم ففيما اداه جبريل عن الله تعالى
الى رسول الله واداه رسول الله الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه الثقات

اليك هل سمعت من كان في دار اميرا وكانت سعته اكثر كان له عند الله المنزلة
اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الاخرة واحب
المساكين وقدم لاخرته كان له عند الله المنزلة قال حاتم فانت بمن اقتديت
ابالنبي واصحابه الصالحين ام بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص والاجر يا
علما السوء مثلكم يراه الجاهل الطالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على
هذه الحالة لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ
اهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسي بقزوين اكثر شيا منه
فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل عجمي احب ان تعلمني
مبدا ديني ومفتاح صلاتي كيف اتوضا للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات
انا فيه ما فاتى به فقعد الطنافسي فتوضا ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضا
قال حاتم مكانك حتى اتوضا بين يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي
وقعد حاتم فتوضا ثم غسل الذراعين اربعا فقال الطنافسي يا هذا اسرفت
قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعك اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في
كف ما اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي انه قصد
ذلك دون التعلم فدخل البيت ولم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل
بغداد اجتمع اليه الناس فقالوا يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن عجمي وليس
يكلمك احد الا قطعته قال معي ثلث خصال بهن اظهر على خصمي افرح اذا
اصاب خصمي واحزن اذا اخطا واحفظ نفسي ان اتجهل عليه فبلغ ذلك
احمد بن حنبل فقال يا سبحان الله ما اعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قالوا
يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى
تكون معك اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك وتبذل لهم شيك
وتكون من شيهم ايسا فاذا كنت هكذا اسلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله
اهل المدينة فقال يا قوم ايه مدينة هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال فاين

قال فاين قصر رسول الله حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر الا طي في الارض
قال فاين قصور اصحابه قالوا ما كان لهم قصور انما كانت لهم بيوت لاطيه
رض قال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا به الى السلطان
وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذاك قال حاتم
لا تعجل علي فاني رجل عجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا
مدينة الرسول فقلت اين قصره وقص القصة ثم قال وقد قال الله تعالى لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تاسيتم برسول الله ام بفرعون
اول من بنى بالجص والاجر فخلوا عنه وتركوه فهذه حكاية حاتم وسياتي
من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه والتحقيق
فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى
يشق تركه واستدامة الزينة لا يمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب
يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم
وامور اخر هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض في الدنيا
لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان عليه السلام
لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المعلم ونزع الخاتم الذهب في اثنا الخطبة
الى غير ذلك مما سياتي بيانه وقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي
كتب الى مالك بن انس بسم الله الرحمن وصلى الله على محمد في الاولين
والاخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس اما بعد فقد بلغني
انك تلبس الدقاق وتاكل الرقاق وتجلس على الوطا وتجعل على بابك حاجبا
وقد جلست مجلس العلم وضربت اليك المطي وارتحل اليك الناس فاتخذوك
اماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك
بالنصيحة مني كتابا ما اطلع عليه الا الله والسلام فكتب اليه مالك بسم الله
الرحمن الرحيم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام عليك اما بعد فقد وصل

الى كتابك فوقع مني موقع النصيحة في الشفقة والادب اسعدك الله بالتقوى
وجزاك بالنصيحة خيرا واسال الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم فاما ما ذكرت لي اكل الرقاق والبس الارقاق والحجب والجلس
على الوطا فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى وقد قال عز من قائل قل من
حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق واني لا علم ان ترك
ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلم
فانظروا الى انصاف مالك اذ اعترف ان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح
وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف
والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى ايضا نفسه على الوقوف على
حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراياة والمداهنة والتجاوز الى
المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم في المباح خطر
عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علما الله الخوف والخشية
وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر ومنها ان يكون مستقصيا
عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي
ان يحترز من مخالطتهم وان جاووا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها
بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلوا عن تكلف في طلب مرضاتهم
واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق
صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم
فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف
في كلامه لمرضاتهم وتحسين احوالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال
من دنياهم وذلك هو السحت وسياتي في كتاب الحرام والحلال ما يجوز
ان يوخذ من اموال السلطان وما لا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها
وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح الشرور وعلما الاخرة طريقهم الاحتياط
قال عليه السلم من بدا جفا يعني سكن البادية ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن

وقد قال

وقد قال عليه السلم سيكون عليكم امرا تعرفون منهم وتنكرون فمن انكر فقد
برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله قيل افلا نقاتلهم قال لا
ما صلوا وقال سفين في جهنم واد لا يسكنه الا القرا الزوارون للملوك
وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامرا يدخل
احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال عليه السلم العلما
امنا الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك
فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش لقد
احييت العلم لكثرة من ياخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك
وثلث يلزمون السلطان فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا القليل
ولذلك قال سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامرا فاحترزوا منه فانه
لص وقال الاوزاعي ما من شي ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال
عليه السلم شرار العلما الذين ياتون الامرا وخيار الامرا الذين ياتون العلما
وقال مكحول الدمشقي من تعلم القران وتفقه في الدين ثم صحب السلطان
تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض في نار جهنم بعدد خطاه وقال
سمنون ما اسمج بالعالم ان يوتى الى مجلسه فلا يوجد فيسئل عنه فيقال عند
الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على
دينكم حتى جربت اذ ما دخلت على السلطان الا وحاسبت نفسي
بعد الخروج فاري عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به من الغلظة والفظاظة
وكثرة المخالفة لهواه ولوددت ان انجو من الدخول كفافا مع اني لا اخذ منهم
شيا ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلماونا شر من علما بني اسرايل يخبرون
السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم
ولم يدخلهم وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم
رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن المبارك عنى به

سعد بن ابي وقاص وكان يعتزل السلطان فقعد عنهم فقال له بنوه يأتي هؤلاء من
ليس مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني آتي جيفة
قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا اذا نهلك
هزلا قال يا بني لان اموت مؤمنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا
قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب يأكل اللحم والسمن دون الايمان
وفي هذه اشارة الى ان الدخول على السلطان لا يسلم عن النفاق البتة
وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين
فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة
للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام
حلو ولا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم
عن الظلم ويقيم شعائر الاسلام الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم
اذا دخل لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء
وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا
شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز
الى الحسن رحمهما الله اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله تعالى
فكتب اليه اما اهل الدين فلا يريدونك واما اهل الدنيا فلا تريدهم ولكن عليك
بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز
وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره
ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل
وابراهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون في علماء الدنيا من اهل مكة
والشام اما لميلهم الى الدنيا واما لمخالطتهم السلاطين ومنها ان
لا يكون مسارعا الى الفتوى بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا
فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او بنص حديث او اجماع او قياس جلي افتى

وان سئل

وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط
ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر
الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري قال
الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله فليس باقل اجرا ممن نطق
لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة والسلف
كان ابن عمر اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى الامير الذي تقلد امور الناس
فضعها في عنقه وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون
وقال جنة العالم لا ادري فاذا اخطأها اصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن ادهم
ليس شيء اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا
الى هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم
ضرورة اي لا يتكلمون حتى يسألوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا
فان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام
ومر علي وعبد الله برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم
انما العالم الذي اذا سئل فكأنما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون ان
تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو
الذي يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيامة من اين اجبت وكان ابراهيم التيمي
اذا سئل عن مسألة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وكان ابو العالية
الرياحي وابراهيم والثوري وابن ادهم يتكلمون على اثنين وثلاثة والنفر اليسير فاذا
كثروا انصرفوا وقال عليه السلام ما ادري أعزير نبي ام لا وما ادري أتبع ملعون
ام لا وذو القرنين نبي ام لا ولما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادري
حتى نزل جبريل فسأله فقال لا ادري حتى اعلمه الله تعالى ان المساجد خير البقاع
وشرها الاسواق وكان ابن عمر يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت
عن تسع وكان ابن عباس يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول

لا ادري اكثر ممن يقول ادري منهم سفين الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل
والفضيل بن عياض وبشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا
المسجد مائة وعشرين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من احد يسال عن
حديث او فتوى الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ اخر كانت المسئلة
تعرض على احدهم فيردها الى الاخر ويردها الاخر الى الاخر حتى تعود
الى الاول وروي ان اصحاب الصفة اهدي الى واحد منهم راس مشوي وهو
في غاية الضر فاهداه الى الاخر واهدى الاخر الى الاخر هكذا دار بينهم حتى
رجع الى الاول فانظر الان كيف انعكس امر العلما فصار المهروب عنه
مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتوى ما
روي مسندا انه لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مامور او متكلف وقال بعضهم
كانت الصحابة يتدافعون اربعة اشيا الامامة والوديعة والوصية والفتوى
وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان
شغل الصحابة والتابعين في خمسة قراة القران وعمارة المساجد وذكر الله تعالى
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم
كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ثلثة امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله عز
وجل وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم ورأى بعض العلما بعض اصحاب الراي
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكوفة في المنام فقال ما رايت فيما كنت عليه من
الفتوى والراي فكره وجهه واعرض وقال ما وجدنا شيا وما حمدنا عاقبته
وقال ابن حصين ان احدهم ليفتي في مسئلة لو وردت على عمر رضي الله عنه لجمع لها
اهل بدر فلم يزل السكوت داب اهل العلم الا عند الضرورة وفي الخبر
اذا رايتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة
وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم اصحاب الاساطين او عالم خاصة
وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب الزوايا المتفردون وكان

يقال مثل

يقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة يغترف منها كل احد ومثل بشر بن الحرث مثل
بير عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم
وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما وقال ابو سليمن المعرفة الى
السكوت اقرب منها الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمن
الى ابي الدردا وكان قد اخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك قعدت
طبيبا تداوي المرضى فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفا وان كنت متطببا
فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدردا يتوقف بعد ذلك اذا سيل وكان
انس اذا سيل يقول سلوا مولانا الحسن سلوه وكان ابن عباس يقول سلوا جابر بن
زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روى صحابي في حضور الحسن عشرين
حديثا فسيل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت واخذ الحسن في تفسيرها
حديثا حديثا فتعجبوا من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصبا
ورماهم به وقال تسلوني عن علم وهذا الحبر بين اظهركم ومنها ان
يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الاخرة وسلوكها
وصدق الرجا في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى
المشاهدة في دقايق علم القلوب وتتفجر منها ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب
والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تتفتح بالمجاهدة
والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله تعالى في
الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر والانقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك
مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه
بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح
الله له من لطايف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الالباب ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب
السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السما من ينزل به ولا في تخوم الارض

من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ويأتي به العلم مجبول في قلوبكم تأدبوا بين
يدي الله بآداب الروحانيين وتخلقوا بأخلاق الصديقين أظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم
ويغمركم وقال سهل التستري خرج العلماء والزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم
مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب ولولا
أن إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال استفت
قلبك وإن أفتاك المفتون وقال عليه السلم فيما يرويه عن ربه لا يزال العبد
يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا الحديث فكم
من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو
عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين وإذا انكشف ذلك
للمراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب
الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم المتوجهة إليه وكذلك في علوم المكاشفة
وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فإن كل علم من هذه العلوم لا
يدرك عمقه وإنما يخوض كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من حسن
العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال النبي صلى الله عليه سلم (علي كرم الله وجهه) في حديث طويل القلوب
أوعية وخيرها أوعاها والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة
وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا
إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال العلم يزكو على
الإنفاق والمال تنقصه النفقة محبة العالم دين يدان به تكسبه الطاعة في
حياته وجميل الأحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة
المال تزول بزواله مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر
ثم تنفس الصعداء وقال هاه إن ها هنا علما جما لو وجدت له حملة بل أجد طالبا غير
مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه
ويستظهر بحجته على خلقه أو منقادا لأهل الحق ينزرع الشك في قلبه بأول

منقادا

عارض

عارض لا بصيرة له لا لا ذا ولا ذاك أو منهوم باللذات سلس القياد في طلب الشهوات
أو مغرى بجمع الأموال والادخار منقاد لهواه أقرب شبها بهما الأنعام السائمة
اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه بل لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة
إما ظاهر مكشوف أو خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته وكم وأين
أولئك الأقلون عددا والأعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب
موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب
أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما
استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا
بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في
أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال واشوقاه إلى رؤيتهم فهذا الذي ذكره
أخيرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة
على المجاهدة ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فإن اليقين هو
رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه سلم اليقين الإيمان كله أعني أوائله ثم ينفتح
للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه سلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين
واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم وقليل
من اليقين خير من كثير من العمل وقال عليه السلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب
ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي إلا وله ذنوب ولكن
من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب
واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه سلم
من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من
قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل إلا
باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال
يحيى بن معاذ إن للتوحيد نورا وللشرك نارا وإن نور التوحيد أحرق لسيئات

الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واو اديه اليقين وقد اشار القران الي
ذكر الموقنين في مواضع دل به على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات
فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم
الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين لفظ
مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين اما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم
الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشي له اربع مقامات الاول ان
يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سيلت عن شخص معين ان
الله يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك فان النفس لا تميل الى الحكم فيه باثبات
ونفي بل يستوي عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا الثاني ان تميل
نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع
ترجيح الاول كما اذا سيلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه
اذا مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر
من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت
تجوز اختفاء امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساوق
لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا الثالث ان
تميل النفس الى التصديق بشي بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال نقيضه
ولو خطر لتابت النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك عن معرفة محققة اذ لو
احسن صاحب هذا المقام التامل والاصغا الى التشكيك والتجويز اتسعت
نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات
كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة
امامها ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم امكان خطا امامه نفر عن قبوله الرابع
المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور التشكيك فيه فاذا
امتنع وجود الشك وامكانه يسمى يقينا عند هولاء ومثاله انه اذا قيل للعاقل هل في

الوجود

الوجود شي هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس
والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شي قديم اولي ازلي مثل
العلم بان الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال
فان ايضا هذا ضروري فحق غريزة العقل ان تتوقف عن التصديق بوجود القديم
على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع
تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن
الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات
كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب وذلك كله محال
والمودي الى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شي قديم ضروري بالضرورة
لان الاقسام ثلثة وهو ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديمة
وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم
وان كانت كلها حادثة فهو محال لانه يودي الى الحدوث بغير سبب فثبت القسم
الثالث والاول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سوا حصل بنظر مثل
ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب
او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان المطبوخ مسهل او بدليل
كما ذكرناه فشرط اطلاق الاسم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا
عند هولا وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت في نفي الشك
الاصطلاح الثاني للفقها والمتصوفة واكثر العلما وهو ان لا يلتفت فيه الى
اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان
ضعيف اليقين بالموت مع انه لا يشك فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق
مع انه قد يجوز انه لا ياتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشي غلب ذلك على
القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتجويز والمنع سمي ذلك
يقينا ولا شك في ان الناس يشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه

ولكن فيهم من لا يلتفت اليه والى الاستعداد له وكانه غير مؤمن به ومنهم من استولى
ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره
فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رايت يقينا لا
شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف
اليقين بالقوة والضعف ونحن اردنا بقولنا ان من شان علما الاخرة صرف
العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفي الشك ثم تسليطه على اليقين
حتى يكون هو الغالب المتحكم وهو المتصرف واذا فهمت هذا علمت المراد من
قولنا اذا قلنا ان اليقين ينقسم الى ثلثة اقسام بالقوة والضعف والقلة والكثرة
والخفا والجلا فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة
والاستيلا على القلب ودرجات اليقين في القوة والضعف لا تتناهى
وتفاوت الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني
واما التفاوت بالجلا والخفا فلا ينكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر اعني
الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك عنه ايضا لا سبيل الى انكاره فانك تدرك
فرقا بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى
ووجود يوشع مع انك لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما التواتر ولكن
ترى احدهما اجلى واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في احدهما اقوى وهو كثرة
المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس
وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح بادلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك
وهذا قد ينكره المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه
من تفاوت الاحوال واما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال
فلان اكثر علما اي معلوماته اكثر ولذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد به
الشرع وقد يكون قوي اليقين في بعضه فان قلت قد فهمت اليقين
وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاه وخفاه بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلا

ثم تسليط اليقين على النفس

في استعدادهم

على القلب

على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فاني ما لم اعرف
ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه فاعلم ان جميع ما ورد به الانبيا من اوله
الى اخره هو مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات
التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في احصايها ولكني اشير الى امهاتها فمن ذلك
التوحيد وهو ان يرى الاشيا كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسايط
بل يرى الوسايط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا مومن فان انتفى عن قلبه
مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه غلبة ازال
منه الغضب على الوسايط والرضا منهم والشكر لهم ونزل الوسايط في قلبه
منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم واليد ولا يغضب
عليهما بل يراهما آلتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف
وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفايدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر
والنجوم والجبال والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بامره حسب
تسخر القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى عليه
التوكل والرضا والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسو الخلق
فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله تعالى بالرزق في
قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك ياتيه
وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب
ولم يشتد حرصه وشرهه وتاسفه على ما فاته واثمر هذا اليقين ايضا جملة
من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب على قلبه ان
من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب
والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع
ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص
على تحصيل الخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات

قليلها وكبيرها وكذا صاحب قليل الاثم وكثيره فهو كالمتجنب قليل المعاصي وكثيرها
وصغيرها وكبيرها واليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المومنين اما المعنى الثاني
فيخص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات
والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين
اغلب كان الاحتراز اشد والتشمر ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله تعالى
مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك
وهذا متيقن عند كل مومن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثاني فهو
عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متادبا في
جميع احواله واعماله كالجالس بين يدي ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا
متادبا متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيبة الادب ويكون في فكرته
الباطنة كهو في اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله تعالى مطلع على سريرته
كما يطلع الخلق على ظاهره فيكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه
لعين الله تعالى الكالئة اشد من مبالغته في تزيين ظواهره للناس وهذا المقام في
اليقين يورث الحيا والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من
الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة واليقين
في كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق في القلب كالاغصان
المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار
والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجاري
واسباب وابواب اكثر مما عددناه وسياتي ذلك في ربع المنجيات وهذا
القدر كاف في تفهيم معنى اللفظ الان ومنها ان يكون حزينا
منكسرا مطرقا صامتا تظهر اثار الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته
وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا ويكون نظره مذكرا لله تعالى وكانت
صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مراته فعلما الاخرة يعرفون بسيماهم
في السكينة

في السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما البس الله تعالى عبدا لبسة احسن
من خشوع في سكينة فهي لبسة الانبيا وسيما الصديقين والحكما فاما التهافت
في الكلام والتشدق والاستغراب في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل
ذلك من اثار البطر والامن والغفلة عن عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو
داب ابنا الدنيا الغافلين عن الله دون العلما به وهذا لان العلما ثلاثة كما قال
سهل التستري عالم بامر الله لا بايام الله وهم المفتون في الحلال والحرام
وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم
عموم المومنين وعالم بالله وبامر الله وبايام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع انما
تغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوباته الغامضة ونقمه الباطنة التي
افاضها على القرون السالفة والاتية فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر
خشوعه قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا
لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلما فلا يقوم
علمكم بجهلكم ويقال ما اتى الله تعالى عبدا علما الا اتاه معه حلما وتواضعا
وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من اتاه الله علما وزهدا
وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر ان من خيار امتي قوما
يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في
الارض وقلوبهم في السما ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الاخرة يتمشون
بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه
والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله
تعالى ببغضه فانه ممقوت في السما والارض وروي في الاسرائيليات ان حكيما
صنف ثلثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل
لفلان قد ملات الارض نفاقا ولم تردني بشي من ذلك واني لا اقبل من نفاقك
شيا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني

العلم
من الحكما

اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله تعالى اليه قل له الان وافقت رضائي
وحكي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله منه
وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوقين الى الرياسة فلا يمقتهم هذا
احق بالمقت من ذلك الشرطي وروي انه قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال
اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله قيل فاي الاصحاب خير قال صاحب
ان ذكرت اعانك وان نسيت ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال صاحب ان نسيت
لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم قال اشدهم لله خشية قالوا
فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رؤوا ذكر الله قالوا فاي الناس شر
قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال عليه السلام
ان اكثر الناس امانا يوم القيامة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في
الاخرة اكثرهم بكاء في الدنيا واشد الناس فرحا في الاخرة اطولهم حزنا
في الدنيا وقال علي رضي الله عنه ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم لا يهيج على التقوى زرع
قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ اصل وان اجهل الناس من لا يعرف قدره وان
ابغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما اغار في اغباش الفتنة سماه اشباه
الناس وارذالهم عالما ولم يعش في العلم يوما سالما تكثر فاستكثر ما قل منه خير
مما كثر حتى اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل جلس للناس مفتيا لتخليص ما
التبس على غيره وان نزلت به احدى المهمات هيأ حشو الرأي من رأيه فهو من
قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اخطأ ام اصاب ركاب جهالات
خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم
تبكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام ولا ملي والله باصدار ما ورد
عليه ولا هو اهل لما فرط به اولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم
النياحة والبكاء ايام الحياة وقال علي رضي الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه
ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة

وقيل اذا

وقيل اذا اجتمع في المعلم خلال تمت النعمة به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن
الخلق واذا اجتمع في المتعلم خلال تمت النعمة به على المعلم العقل والادب وحسن
الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التي ورد بها القران لا ينفك عنها علماء الاخرة
لانهم يتعلمون القران للعمل لا للرياسة قال ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر
وان احدنا ليؤتى الايمان قبل القران وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وامرها
ونواهيها وزواجرها وما ينبغي ان يوقف عنده منها ولقد رايت رجالا من اهل
العلم يؤتى احدهم القران قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري
ما آمره وما زاجره وما ينبغي ان يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر اخر بمثل
معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل القران وسيأتي
بعدكم قوم يؤتون القران قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده ويقولون
قرانا فمن اقرأ منا وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ اخر اولئك شرار
هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هي علامات علماء الاخرة مفهومة من
خمس آيات الخشية والتواضع وحسن الخلق وايثار الاخرة على الدنيا
وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واما
الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا واما
التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك واما حسن الخلق فمن قوله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام قيل ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح
له الصدر وانفسح فقيل هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور
والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها
ان يكون اكثر بحثه عن علم الاعمال وعما يفسدها ويشوش القلب ويهيج الوسواس
ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قال الشاعر

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان
وانما الشان في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه
وكل ذلك مما تغلب مسيس الحاجة اليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الاخرة
واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرايب التفريع في الاقضية والحكومات ويتعبون في
وضع صور يمضي الدهور ولا تقع وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقع
كان في القايمين به كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم اناء الليل واطراف النهار في خواطرهم
ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره
النادر ايثارا للقبول والتقرب من الخلق على الله تعالى وشرها في ان يسميه
البطالون من ابنا الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقايق وجزاوه من الله ان لا
ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوايب الزمان ثم يرد القيامة
مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران
المبين ولقد كان الحسن البصري اشبه الناس كلاما بكلام الانبيا واقربهم هديا من
الصحابة اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب
وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات
النفس وقد قيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة
فمن اين اخذته فقال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام
لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان الناس يسالونه عن الخير وكنت اساله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت
ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير
وفي لفظ اخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسالونه
عن فضايل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رايتني اسال عن
افات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة ايضا قد خص بعلم المنافقين وافرد

بمعرفة

بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقايق الفتن وكان عمر وعثمان واكابر الصحابة رضي الله عنهم
يسالونه عن الفتن الخاصة والعامة وكان يسال عن المنافقين فيخبر باعداد من بقي
ولا يخبر باسمايهم وكان عمر يساله عن نفسه هل يعلم به شيا من النفاق فبراه
من ذلك وكان عمر رضي الله عنه اذا دعي الى جنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها
والا ترك وكان يسمى صاحب السر والعناية بمقامات القلب واحواله داب علما
الاخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا
مندرسا واذا تعرض العالم لشي منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين
فاين التحقيق ومن التحقيق في دقايق المجادلات ولقد صدق من قال

الطرق شتى وطرق الحق واحدة ... والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا يدرون مقصدهم ... فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم ... فجلهم عن طريق الحق رقاد

وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق
مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة
صفات القلب وتطهيرها عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام
وصاحبه ينزل منزلة شارب الدوا ويصبر على مرارته رجا الشفا وينزل منزلة من
جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدايد ليكون فطره عند الموت ومتى يكثر الراغب
في مثل هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في
الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن
الا ثلاثة مثل سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس الى اوليك الخلق
الكثير الذي لا يحصى والى هولا عدد يسير قلما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز
لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم فامره قريب ومن شانها ان يكون
اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفا قلبه لا على الصحف والكتب ولا
على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فيما امر به

وقال وانما يقلد الصحابه من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على
فهم اسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان الرسول عليه السلام فعله والرسول صلى الله عليه وسلم
فعله لا بد ان يكون لسر فيه فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال
فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال له كان وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك كان يقال فلان
من اوعية العلم وكان لا يسمى عالما اذا كان من شانه الحفظ من غير اطلاع
على الحكم والاسرار ومن انكشف عن قلبه الغطا واستنار بنور الهدايه صار
في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه
ما من احد الا يوخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان ابن
عباس تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرا على ابي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراه
وقال بعض السلف ما جانا من رسول الله صلى الله عليه قبلناه على الراس وما
جانا عن الصحابه فناخذ ونترك وما جانا عن التابعين فنحن رجال وهم رجال
وانما فضل الصحابه لمشاهدتهم قراين الاحوال من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعتلاق قلوبهم امورا ادركت بالقراين فسددهم ذلك الى الصواب من حيث
لا يدخل في الروايه والعباره اذ فاض عليهم من نور النبوه ما يحرسهم في الاكثر
عن الخطا واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي فالاعتماد
على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب والتصانيف محدثه لم يكن شي منها في زمان
الصحابه وصدر التابعين وانما حدثت بعد مايه وعشرين من الهجره وبعد
وفاه جميع الصحابه وجلة التابعين وبعد وفاه سعيد بن المسيب والحسن وخيار
التابعين بل كان الاولون يكرهون تصنيف الكتب والاحاديث لئلا يشتغل الناس
عن الحفظ وعن القران وعن التدبر والتفكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك
كره ابو بكر رضي الله عنه وجماعه من الصحابه تصحيف القران في مصحف وقالوا كيف
نفعل شيا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف

وقالوا

وقالوا نترك القران يتلقاه بعضنا من بعض بالتلقين والاقرا ليكون هو شغلهم وهمتهم
حتى اشار عمر وبقيه الصحابه بكتبة القران خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم
وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة او قراة من المتشابهات
فانشرح صدر ابي بكر لذلك فجمع القران في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل
ينكر على مالك تصنيفه الموطا ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابه وقيل
اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الاثار وحروف التفسير عن مجاهد
وعطا واصحاب ابن عباس بمكه ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع
فيه سننا ماثوره نبوية ثم كتاب الموطا بالمدينه لمالك بن انس ثم جامع سفين
الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال
والغوص في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ بها
فاخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم
القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن
ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف
كلامه بالعبارات المسجعه عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم فكان
لا يتميز لهم حقيقه العلم عن غيره ولم تكن سيره الصحابه وعلومهم ظاهره عندهم
حتى كانوا يعرفون بها مباينه هولا لهم فاستمر اسم العلما وتوارث اللقب
خلف عن سلف واصبح علم الاخره مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام
الا عن الخواص منهم كان اذا قيل لهم فلان اعلم ام فلان فكانوا يقولون فلان
اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم والقدره على
الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفه فكيف الظن في زمانك هذا وقد انتهى الامر
الى ان مظهر الانكار يستهدف للنسبه الى الجنون فالاولى ان يشتغل المرء
بنفسه ويسكت ومنها ان يكون شديد التوقي في محدثات الامور
وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما احدث بعد الصحابه وليكن

حرصا على التسمير احوال الصحابه وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اهتمامهم اكان في
التدريس والتصنيف والمناظره والقضا والولايه وتولي الاوقاف والوصايا
ومال الايتام ومخالطه السلاطين ومجاملتهم في العشره او في الخوف والحزن
والتفكر والمجاهده ومراقبه الباطن والظاهر واجتناب دقايق الاثم وجلايله
والحرص على ادراك خفايا الشهوات للنفس ومكايد الشيطان الي غير ذلك من
علوم الباطن واعلم تحقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم
بالصحابه واعرفهم بطرق السلف فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا
اتبعنا لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا ولا ينبغي ان يكترث بمخالفه اهل العصر
في موافقه اهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس لما راوا ما هم فيه تميل
طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب حرمانهم عن الجنه
فادعوا انه لا سبيل للجنه سواه ولذلك قال الحسن محدثان احدثا في الاسلام رجل
ذو راي سو زعم ان الجنه لمن يرى مثل رايه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب
ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار وان رجلا اصبح في هذه الدنيا
بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه قد عصمه الله تعالى
منهما يحن الى السلف الصالح يسال عن افعالهم ويقتص اثارهم معرض لاجر عظيم
فكذلك فكونوا وقد روي عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا انه قال انما هما اثنان
الكلام والهدي فاحسن الكلام كلام الله تعالى واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدث بدعه وان
كل بدعه ضلاله الا لا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم الا كل ما هو آت
قريب الا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبه النبي صلى الله عليه وسلم طوبى
لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصيه وخالط
اهل الفقه والحكمه طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل
عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله

ووسعه

ووسعته السنه ولم يعدها الى بدعه وكان ابن مسعود يقول حسن الهدى في اخر
الزمان خير من كثير من العمل وقال انتم في زمان خيركم فيه المسارع الى الامور
وسياتي زمان خيركم فيه المتثبت المتوقف لكثره الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت
في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم فيه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا
وقال حذيفه اعجب من هذا اني وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان
العالم منكم غير مستخف به ولقد صدق فاكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في
عصر الصحابه اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتجصيصها وانفاق الاموال
العظيمه في دقايق عمارتها وفرش البسط الرفيعه فيها وقد كان يعد فرش
البواري في المسجد بدعه وقيل انه كان من محدثات الحجاج فقد كان الاولون
قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقايق الجدل
والمناظره من اجل علوم الزمان ويزعمون انه من اعظم القربات وقد كان
ذلك من المنكرات ومن ذلك التلحين في الاذان والقران ومن ذلك
التقشف في النظافه والوسوسه في الطهاره وتقدير الاسباب البعيده في
نجاسه الثياب مع التساهل في حل الاطعمه وتحريمها الى نظاير ذلك ولقد
صدق ابن مسعود حيث قال انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسياتي عليكم
زمان يكون العلم تابعا فيه للهوى وكان احمد يقول تركوا العلم واقبلوا على
الغرايب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن الناس
فيما مضى يسالون عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم ولم يكن العلما يقولون حرام
ولا حلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب ومعناه انهم كانوا ينظرون في دقايق
الكراهيه والاستحباب فاما الحرام فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروه
يقول لا تسلوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنه
فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمن الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيا من
الخير ان يعمل به حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذا وافق ما في نفسه وانما قال

هذا الان ما ابدع من الارا قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب فربما يشوش صفا القلب
فتخيل بسببه الباطل حقا فحتاط فيه بالاستظهار بشواهد الاثار ولهذا لما
احدث مروان المنبر في صلاه العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري وقال
يا مروان ما هذه البدعه فقال انها ليست بدعه هي خير مما تعلم ان الناس قد
كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تاتون بخير مما اعلم
ابدا والله لا صليت وراك اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يتوكا في خطبه العيد والاستسقا على قوس او عصا لا على المنبر وفي الحديث
المشهور من احدث في امرنا هذا ما ليس فيه فهو رد وفي خبر اخر من غش
امتي فعليه لعنه الله والملايكه والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك
قال ان يبتدع بدعه يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا
ينادي كل يوم من خالف سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته ومثال
الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنه بالنسبه الى من يذنب ذنبا مثال
من عصى الملك في قلب دولته بالنسبه الى من خالف امر الملك في خدمه معينه
وذلك قد يغفر فاما قلب الدوله فلا وقال بعض العلما ما تكلم فيه السلف
فالسكوت عنه جفا وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال اخر
الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال
عليه السلام عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه الغالي ويرتفع اليه القالي
وقال ابن عباس ان الضلاله لها حلاوه في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا
دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فكل ما احدث بعد
الصحابه مما جاوز قدر الضروره والحاجه فهو من اللعب واللهو وحكي عن ابليس
لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابه فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم فقالوا
ما راينا مثل هولا ما نصيب منهم شيا وقد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد
صحبوا نبيهم وشاهدوا تنزيل ربهم ولكن سياتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم

فلما جاء

فلما جا التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما راينا اعجب من
هولا نصيب منهم الشي بعد الشي من الذنوب فاذا كان اخر النهار اخذوا
في الاستغفار فتبدل سياتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هولا شيا
لصحه توحيدهم واتباعهم سنه نبيهم ولكن سياتي بعد هولا قوم تقر اعينكم
بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمه اهوايهم كيف شيتم ان استغفروا
لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل سياتهم حسنات فجا قوم بعد القرن الاول
فبعث فيهم الاهوا وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون
ولا يتوبون فسلط عليهم الاعدا وقادتهم اين شا فان قلت
من اين عرف قايل هذا ما قاله ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان
ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تاره على سبيل الالهام بان
يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتاره على سبيل
الرويا الصادقه وتاره على سبيل الكشف عن المعاني بمشاهده الامثله كما
يكون في المنامات وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوه العاليه كما
ان الرويا الصادقه جزو من سته واربعين جزوا من النبوه واياك ان يكون
حظك من العلم انكار ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من
العلما الزاعمين انهم احاطوا بعلوم المعقولات والجهل خير من عقل يدعو
الى انكار مثل هذه الامور لاوليا الله تعالى ومن انكر ذلك للاوليا لزمه
ذلك للانبيا ان شا وكان خارجا عن الدين بالكليه وقال بعض العارفين انما انقطع
الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون
النظر الى علما العصر لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند
الجاهلين علما وقال سهل التستري ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل
والنظر الى العامه واستماع كلام اهل الغفله وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي
ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب

ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه الايه والعوام العصاه اسعد حالا من الجهال بطريق
الدين المعتقدين انهم من العلما لان العامي العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب
وهذا الجاهل الظان انه عالم وان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسايله
الى الدنيا من سلوك طريق الاخره والدين لا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه
الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله وانقطع
الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزله والانفراد عنهم
كما سياتي في كتاب العزله بيانه ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى
حذيفه المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تعالى معه الا كان
اثما او كانت مذاكرته معصيه وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان
مخالطة الناس لا تنفك عن غيبه او سماع غيبه او عن سكوت على منكر
واحسن احواله ان يفيد علما او يستفيد ولو تامل وعلم ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك
اله في طلب الدنيا ووسيله الى الشر صار هو معينا له وردءا وظهيرا ومهيئا
لاسبابه كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه
للخير كصلاح السيف للغزو وذلك لا يرخص في البيع ممن يعلم بقراين الاحوال
انه يريد به الاستعانه على قطع الطريق فهذه اثنا عشر علامه من علامات علما
الاخره يجمع كل واحده منها جملا من اخلاق علما السلف فكن احد رجلين
اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون
الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل اله الدنيا بالدين وتشبه سيره البطالين بسيره
العلما الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمره الهالكين نعوذ بالله من خدع
الشيطان فبها هلك الجمهور ونسال الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحيوه الدنيا
ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع
في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف

[margin: علامات]

بيان شرف العقل اعلم ان العقل مما لا يحتاج الى تكلف في اظهاره ولا سيما وقد
ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه
مجرى الثمره من الشجره والنور من الشمس والرويه من العين وكيف لا يشرف
ما هو وسيله السعاده في الدنيا والاخره او كيف يستراب فيه والبهيمه مع
قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهايم بدنا واشدها ضراوه
واقواها سطوه اذا راى صوره الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلايه
عليه بما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه
كالنبي في امته وليس ذلك لكثره ماله ولا لكبر شخصه ولا لزياده قوته بل
لزياده تجربته التي هي ثمره عقله ولذلك ترى الاكراد والاتراك واجلاف العرب وسائر
الخلق مع قرب رتبتهم من البهايم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك قصد كثير من
المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا
بغرته الكريمه هابوه وتراءى لهم ما كان يتلالا على ديباجه وجهه من نور
النبوه وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضروره
وانما القصد ان نورد ما وردت به الايات والاخبار في ذكر شرفه وقد
سماه الله نورا في قوله الله نور السموات والارض وسمى العلم المستفاد
منه روحا وحياه في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال تعالى
اومن كان ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمه اراد به العلم والجهل
كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور وقال عليه السلم اعقلوا عن ربكم
وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم
عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر
دني المنزله رث الهيئه وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم
الخطر شريف المنزله حسن الهيئه فصيحا نطوقا فالقرده والخنازير اعقل
عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانهم من الخاسرين

وقال عليه السلم اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر
ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي وبك اثيب
وبك اعاقب فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل
الاجسام وكيف يكون جوهرا قايما بنفسه ولا يتحيز فاعلم ان هذا من علم
المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس بن مالك
رضي الله عنه قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال
عليه السلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير
وتسلنا عن عقله فقال عليه السلم ان الاحمق يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر
وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن
عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب الرجل مثل فضل عقل يهدي
صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى
يكمل عقله وقال عليه السلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم القايم
ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى
عدوه ابليس وعن ابي سعيد الخدري انه عليه السلم قال لكل شي دعامة ودعامة
المومن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفاجر لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير وعن عمر انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال
العقل قال صدقت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سالتك فقال كما قلت
ثم قال سالت جبريل ما السودد فقال العقل وعن البرا قال كثرت المسايل يوما
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان لكل شي مطية واحسنكم
دلالة ومعرفة بالحجة افضلكم عقلا وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة احد سمع الناس يقولون فلان اشجع من فلان وفلان
ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال عليه السلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذاك يا رسول الله
قال انهم قاتلوا على قدر عقولهم وما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على

قدر عقولهم

وان كان جوهرا

كيف

قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة
اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وعلى قدر عقولهم وعن البرا بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال جد الملايكة واجتهدوا في طاعة الله تعالى بالعقل وجد المومنون من
بني ادم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله اوفرهم عقلا وعن عايشة
رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله باي شي يتفاضل الناس في الدنيا
قال بالعقل قلت وفي الاخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم
فقال يا عايشة وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله تعالى من العقل فبقدر
ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون وعن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي آلة وعدة وان آلة المومن العقل ولكل شي
مطية ومطية المرء العقل ولكل شي دعامة ودعامة الدين العقل ولكل
تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين
العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الاخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب
اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل
سفر فسطاط وفسطاط المومنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب
المومنين الى الله تعالى من نصب في طاعة الله تعالى ونصح لعباده وكمل عقله
ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح وقال عليه السلم اتمكم عقلا
اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا

بيان حقيقة العقل واقسامه اعلم ان الناس اختلفوا في حد
العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان
مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطا فيه ان اسم العقل
بالاشتراك يطلق على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان
عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد
بل يفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول الوصف الذي به يفارق الانسان ساير

العقل غريزة

البهايم وهو الذي استعد لقبول العلوم النظريه وتدبير الصناعات الخفيه الفكريه
وهو الذي اراده الحرث المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزه يتهيا بها ادراك
العلوم النظريه وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشيا ولم
ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضروريه فان الغافل عن
العلوم والنايم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزه فيهما مع فقد العلوم وكما
ان الحياه غريزه يتهيا بها الجسم للحركات الاختياريه والادراكات الحسيه فكذلك
العقل غريزه يتهيا بها بعض الحيوانات للعلوم النظريه ولو جاز ان يسوي
بين الانسان والحمار في الغريزه ويقال لا فرق الا ان الله تعالى بحكم اجرا العاده
يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار والبهايم لجاز ان يسوى بين الحمار
وبين الجماد في الحيوه ويقال لا فرق الا ان الله تعالى يخلق في الحمار حركات مخصوصه
بحكم اجرا العاده فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بان كل حركه
تشاهد منه فالله قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان
يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركات الا بغريزه اختصت به عبر عنها بالحياه
فكذا مفارقه الانسان للبهايم في ادراك العلوم النظريه بغريزه يعبر عنها
بالعقل وهو كالمراة التي تفارق غيرها من الاجسام في حكايه الصور والالوان
بصفه اختصت بها وهي الصقاله وكذا العين تفارق الجبهه في هيات وصفات
بها استعدت للرويه فنسبه هذه الغريزه الى العلوم كنسبه العين الى الرويه
ونسبه القران والشرع الى هذه الغريزه في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبه
نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغي ان تعرف هذه الغريزه **الثاني**
هو العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجايزات واستحالة
المستحيلات وهو انما يصح في نفسه لان هذه العلوم موجوده وتسميتها عقلا ظاهر
وانما الفاسد ان ننكر تلك الغريزه ويقال لا موجود الا هذه العلوم **الثالث**
علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب

يقال انه

يقال انه عاقل في العاده ومن لا يتصف به يقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع
اخر من العلوم يسمى عقلا **الرابع** ان ينتهي قوه تلك الغريزه الى ان يعرف
عواقب الامور فيعرفها ويقمع الشهوه الداعيه الى اللذه العاجله ويقهرها
فاذا حصلت هذه القوه سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب
ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوه العاجله وهذه ايضا من خواص
الانسان التي بها يتميز عن ساير الحيوانات فالاول هو الاس والسنخ والمنبع
والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوه الغريزه
والعلوم الضروريه تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمره الاخيره وهي الغايه
القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي رضي الله عنه كرم الله وجهه
ان العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع
كما لا ينفع الشمس وضو العين ممنوع والاول هو المراد بقوله عليه السلم ما خلق
الله خلقا اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله عليه السلم اذا تقرب الناس
بانواع البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقوله عليه السلم لابي الدردا ازدد عقلا تزدد
من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله وادّ فرايض
الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعه وكرامه
وتنل بها من ربك القرب والعز وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريره
دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل قالوا
من اعبد الناس قال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل
من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلم ان كل
ذلك لما متاع الحيوه الدنيا والاخره عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان
في الدنيا دنيا خسيسا وقال في حديث اخر انما العاقل من امن بالله وصدق
رسله وعمل بطاعته ويشبه ان يكون الاسم في اصل اللغه لتلك الغريزه وكذا
في الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشي بثمرته فيقال

لكن

العلم هو الخشيه والعالم من يخشى الله فان الخشيه ثمره العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزه
وليس الغرض البحث عن اللغه والمقصود ان هذه الاقسام الاربعه موجوده والاسم
يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول والصحيح وجودها
بل هي الاصل وهذه العلوم كانها مضمنه في تلك الغريزه بالفطره ولكن تظهر الى
الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست بشي وارد
عليها من خارج وكانها كانت مستكنه فيها فظهرت ومثاله الما في الارض فانه
يظهر بحفر القني ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليه شي جديد وكذلك الدهن
في اللوز وما الورد في الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من
ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم
لا اقرار الالسنه فانهم انقسموا في اقرار الالسنه حيث وجدت الالسنه
والاشخاص ولذلك قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم فطره الله التي فطر
الناس عليها اي كل ادمي فطر على الايمان بالله بل على معرفه الاشيا على ما هي عليه
اعني انها كالمضمنه فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا
في النفوس بالفطره انقسم الناس الى من اعرض فنسي وهم الكفار والى من اجال
خاطره فتذكر وكان كمن حمل شهاده فنسيها بغفله ثم تذكرها ولذلك قال لعلهم يتذكرون
وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمه الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به ولقد
يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وتسميه هذا النمط تذكرا ليس ببعيد
فالتذكر ضربان احدهما ان يذكر صوره كانت حاضره الوجود في القلب لكن غابت بعد
الوجود والاخر ان يذكر صوره كانت متضمنه فيه بالفطره وهذه حقايق ظاهره للناظر
بنور البصيره ثقيله على من مستروحه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط
في مثل هذه الايات ويتعسف في تاويل التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات
ويتخايل اليه في الاخبار والايات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه

حتى ينظر



حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي
يدخل دارا فيعثر فيها بالاواني المصفوفه في الدار فيقول ما لهذه الاواني لا
ترفع عن الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها في مواضعها وانما الخلل في
بصرك وكذلك خلل البصيره يجري مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس
والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس ولمشابهه بصيره الباطن لبصر
الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفواد ما راى وقال وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات والارض وسمى ضده عمى فقال انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخره اعمى واضل
سبيلا وهذه الامور التي كشفت للانبيا بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيره
وسمي الكل رويه وبالجمله من لم تكن بصيرته الباطنه ثاقبه لم يعلق به من
الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقايقه فهذه اقسام ما ينطلق اسم العقل
عليه

بيان تفاوت الناس في العقل

قد اختلف الناس في تفاوت
العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى المبادره الى
التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعه
سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجايزات واستحاله المستحيلات
فان من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحاله كون شخص في
مكانين وكون الشي الواحد قديما حادثا وكذا ساير النظاير وكل من يدركه
ادراكا محققا من غير شك فاما الاقسام الثلثه فالتفاوت يتطرق اليها
اما القسم الرابع وهو استيلا القوه على قمع الشهوات لا يخفى تفاوت الناس فيه
بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد وهذا التفاوت تاره يكون لتفاوت
الشهوه اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور
عليه فان الشاب يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوه الريا
والرياسه تزداد قوه بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت في العلم

المعرفه لغايله تلك الشهوه ولهذا اقدر الطبيب على الاحتما عن بعض الاطعمه
المضره وقد لا يقدر من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجمله
فيه مضره ولكن اذا كان علم الطبيب اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا
للعقل وعده في قمع الشهوه وكسرها ولذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصي
من العامي لقوه علمه بضرر المعاصي واعني به العالم الحقيقي دون ارباب الطيالسه
واصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهه الشهوه لم يرجع تفاوت العقل
وان كان من جهه العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا فانه يقوي غريزه
العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسميه اليه وقد يكون بمجرد التفاوت في
غريزه العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوه لا محاله اشد واما القسم
الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثره
الاصابه وبسرعه الادراك ويكون سببه اما تفاوت في الغريزه واما التفاوت
في الممارسه اما الاول وهو الاصل اعني الغريزه فالتفاوت فيه لا سبيل
الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي اشراقه عند سن
التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين
ومثاله نور الصبح فان اوايله تخفى خفا يشق ادراكه ثم يتدرج الى ان يتكامل بطلوع
قرص الشمس وتفاوت نور البصيره تفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الاعمش وبين
الحاد البصر بل سنه الله جاريه في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان
غريزه الشهوه لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعه واحده وبغته بل تظهر شيا
شيا على التدريج وكذا جميع القوى والصفات ومن انكر تفاوت الناس في هذه
الغريزه فكانه منخلع عن ربقه العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل السواديه
واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من احاد السواديه وكيف ينكر تفاوت
الغريزه ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم الا
بالتفهيم بعد تعب طويل من المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز واشاره والى كامل

ينبعث

ينبعث من نفسه حقايق التعليم يكاد زيته يضي ولو لم تمسسه نار وذلك مثل
الانبيا عليهم السلم اذ يتضح لهم في باطنهم امور غامضه من غير تعلم وسماع
ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر ﷺ حيث قال ان روح القدس
نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شيت فانك ميت واعمل
ما شيت فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملايكه للانبيا يخالف الوحي
الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسه الاذن ومشاهده الملك بحاسه البصر
ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيره والخوض فيها لا
يليق بعلم المعامله بل هو من علم المكاشفه ولا تظنن ان معرفه درجات الوحي
يستدعي منصب الوحي اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الصحه
ويعرف الفاسق درجات العداله وان كان خاليا منها فالعلم شي ووجود
المعلوم شي اخر فلا كل من عرف النبوه والولايه كان نبيا او وليا ولا كل من عرف
الورع والتقوى ودقايقه كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم
والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعلم والى من لا ينفعه التعليم ولا التنبيه كانقسام
الارض الى ما يجتمع فيه الما فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا والى ما يحتاج الى الحفر
ليخرج الى القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر
الارض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزه العقل ويدل على تفاوت
العقل من جهه النقل ما روي ان ابن سلام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث
طويل في اخره وصف عظم العرش وان الملايكه قالت يا رب هل خلقت شيا اعظم
من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل
لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل
فمن الناس من اعطي حبه ومنهم من اعطي حبتين ومنهم الثلث والاربع ومنهم
من اعطي فرقا ومنهم من اعطي وسقا ومنهم اكثر من ذلك فان قلت
فما بال اقوام من المتصوفه يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس

الهام
روح القدس
وحي
وكذلك هذا اختلاف النفوس في غريزه العقل

فنقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان ينكروا عليهم لانهم اخطاوا في التسمية اذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الالسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى عندهم فاما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذي بعده يحمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما ولا يلتفت الى قول من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الادمي عن البهائم حتى ادرك حقائق الامور واكثر هذه التخبيطات انما ثارت من جهل اقوام طلبوا الحقائق من الالفاظ فتخبطوا لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله اعلم بالصواب

تم كتاب العلم وهو الكتاب الاول من كتب احياء علوم الدين
ويتلوه كتاب قواعد العقائد وهو الكتاب الثاني من ربع العبادات
ان شاء الله تعالى وبه التوفيق

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم

كتاب قواعد العقائد

وفيه اربعة فصول الفصل الاول في ترجمة عقيدة اهل السنة وجملة في كلمتي الشهادة وهي احدى مباني الاسلام فنقول وبالله التوفيق

الحمد لله المبدي المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفا صحبه الاكرمين المكرمين بالتاييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من القى السمع وهو شهيد المعرف اياهم في ذاته انه واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له متفرد لا ند له وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا اخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دايم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضا بتصرم الاماد وانقراض الاجال بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن

التنزيه وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر وانه ليس بعرض ولا تحله الاعراض وانه لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شي ولا هو مثل شي لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وانه مستو على عرشه على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استوا منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شي الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسما بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما هو رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى

العبيد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا
يماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن ان يحويه مكان كما
تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الان على ما عليه
كان وانه باين بصفاته من خلقه ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس
عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت
جلاله منزها عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وانه في
ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار في
دار القرار واتماما للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم **القدرة** وانه
حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تاخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه
فنا ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له القدرة والقهر
والخلق والامر السموات مطويات بيمينه والخلايق مقهورون في قبضته وانه
المتفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم
وقدر ارزاقهم واجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا تعزب عن قدرته تصاريف
الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته **العلم** وانه عالم بجميع
المعلومات محيط بما يجري في تخوم الارضين الى اعلى السموات لا يعزب عن
علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة
الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع
على هواجس الضماير وحركات الخواطر وخفيات السراير بعلم ازلي قديم لم يزل
موصوفا به في ازل الازال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال
الارادة وانه مريد للكاينات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك
والملكوت قليل او كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر
عرفان او نكر فوز او خسران زيادة او نقصان طاعة او عصيان الا بقضايه وقدره
وحكمه ومشيته فما شاء كان وما لم يشا لم يكن لا يخرج عن مشيته لفتة ناظر

السلطان

ولا فلتة

ولا فلتة خاطر بل هو المبدي المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه
ولا مهرب لعبد من معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا
بمشيته وارادته لو اجتمع الجن والانس والملايكة والشياطين على ان يحركوا
ذرة في العالم او يسكنوها دون ارادته ومشيته لعجزوا عنها وان ارادته قايمة بذاته في جملة
صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشيا في اوقاتها التي قدرها
فوجدت في اوقاتها كما اراده في ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه
وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار ولا تربص زمان فلذلك
لم يشغله شان عن شان **السمع والبصر** وانه تعالى سميع بصير يسمع
ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رويته مرئي وان
دق لا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رويته ظلام يرى من غير حدقة واجفان
ويسمع من غير اصمخة واذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق
بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق
الكلام وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلي قديم قايم بذاته لا
يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال الهوا او اصطكاك الاجرام
ولا بحرف ينقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القران والتوراة والانجيل
والزبور كتبه المنزلة على رسله وان القران مقرو بالالسنة مكتوب في المصاحف
محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قايم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال
والفراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى سمع كلام الله تعالى بغير صوت
ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له
هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والعلم والقدرة
والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات **الافعال** وانه لا
موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفايض من عدله على احسن الوجوه واكملها واتمها
واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد

العبيد يتصور منهم الظلم بتصرفهم في ملك غيرهم ولا يتصور الظلم من الله سبحانه
فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن
وانس وملك وشيطان وسما وارض وحيوان وجوهر وعرض ومدرك
ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشا بعد ان لم يكن
شيا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعده
اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته
لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف
لا عن وجوب ومتطول بالانعام والافضال لا عن لزوم فله الفضل
والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده
انواع العذاب ويبتليهم بضروب الالام والاوصاب ولو فعل ذلك
لكان عدلا ولم يكن قبيحا ولا ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم
الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا
يتصور منه ظلم ولا يجب لاحد عليه حق وان حقه في الطاعات
وجب على الخلق بايجابه على لسان انبيائه لا بمجرد العقل ولكنه بعث
الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده
ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاوا به ومعنى
الكلمة الثانية وهي شهادة الرسول وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله
عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرائع
الا ما قرره وفضله على سائر الانبيا وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان
بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو
قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه في الدنيا
والاخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يومن بما اخبر به بعد الموت واوله
سوال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا

روح

روح وجسد فيسالانه عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك
وهما فتانا القبر وسوالهما اول فتنة بعد الموت وان يومن بعذاب القبر وانه حق
وحكمه عدل على الجسم والروح كما يشا ويومن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم
انه مثل طباق السموات والارض يوزن فيه الاعمال بقدرة الله تعالى والصنج يوميذ
مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحايف الحسنات في صورة حسنة
في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله تعالى بفضل الله وتطرح
صحايف السيات في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى ويومن بان الصراط
حق وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر تزل عنه اقدام
الكافرين بحكم الله تعالى فتهوي بهم الى النار وتثبت عليه اقدام المومنين فيساقون
الى دار القرار ويومن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المومنون
قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا عرضه
مسيرة شهر اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عدد نجوم السما تصب
فيه ميزابان من الكوثر ويومن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب
والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسال من شا
من الانبيا عن تبليغ الرسالة ومن شا من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسال المبتدعة
عن السنة ويسال المومنين عن الاعمال ويومن باخراج المومنين من النار بعد
الانتقام حتى لا يبقى منهم في جهنم موحد بفضل الله تعالى ويومن بشفاعة الانبيا
ثم العلما ثم الشهدا ثم سائر المومنين كل على حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من
المومنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله تعالى فلا يخلد في النار مومن بل يخرج
منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم
وان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم اجمعين
وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما اثنى الله ورسوله عليهم فكل ذلك
مما وردت به الاخبار وشهدت به الاثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل

الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله تعالى كمال
اليقين والثبات لنا ولكافة المسلمين

الفصل الثاني في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد

اعلم أن ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم
إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا
فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل
في الصبي بغير برهان فمن فضل الله تعالى على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوه
للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام
مباديها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد
غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقي
إليه فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل
وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن
وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده
يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد
الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها وبما يسري
إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيئاتهم في الخضوع
لله تعالى والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كإلقاء البذر في الأرض
وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة
طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي أن يحرس سمعه من
الجدل والكلام غاية الحراسة فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده وما يفسده
أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء
تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب
والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة
أهل الصلاح والتقوى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين ترى

اعتقاد

اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة
المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح
مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس
الاعتقاد تقليدا إذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول فتلقن الدليل
شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي إذا وقع نشوه على هذه
العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد
أهل الحق إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه
العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا وإن أراد
أن يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم
التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب
من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة
تحقيقا لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي
هو غاية إيمان الصديقين والمقربين وإليه الإشارة بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر
رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات
بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى
الله تعالى وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطب
والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في
الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه فإن قلت
فتعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه فاعلم أن للناس
في هذا غلوا وإسرافا في أطراف فمن قائل إنه بدعة وحرام وإن العبد أن يلقى الله
بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض
إما على الكفاية وإما على الأعيان وإنه من أفضل الأعمال وأعلى القربات فإنه تحقيق
لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل

ابو حفص وجميع اهل الحديث من السلف قال ابن عبد الاعلى سمعت الشافعي رحمه الله يوم ناظر
حفص الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لان يلقى الله تعالى العبد بكل ذنب ما
خلا الشرك خير له من ان يلقاه بشي من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا اقدر
ان احكيه وقال ايضا قد اطلعت من اهل الكلام على شي ما ظننته قط ولان يبتلى
العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام وحكى الكرابيسي
ان الشافعي سئل عن شي من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفص الفرد واصحابه
اخزاهم الله ولما مرض الشافعي دخل عليه حفص الفرد فقال من انا فقال حفص الفرد
لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما في هذا
الكلام من الاهوا لفروا منه فرارهم من الاسد وقال ايضا اذا سمعت الرجل يقول
الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد انه من اهل الكلام ولا دين له وقال الزعفراني
قال الشافعي حكمي في اهل الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشاير والقبايل
ويقال هذا جزا من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام وقال احمد بن حنبل
لا يفلح صاحب الكلام ابدا ولا تكاد ترى احدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل
وبالغ فيه حتى هجر الحارث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في
الرد على المبتدعة وقال ويحك الست تحكي بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست تحمل الناس
بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الراي
والبحث وقال احمد علما الكلام زنادقة وقال مالك ارايت ان جاءه من هو
اجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعني ان اقوال المتجادلين تتفاوت
وقال مالك لا تجوز شهادة اهل البدع والاهوا وقال بعض اصحابه في تاويله انه
اراد باهل الاهوا اهل الكلام على اي مذهب كانوا وقال ابو يوسف من طلب
العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجالسوا اهل الاهوا ولا تجادلوهم ولا
تسمعوا منهم وقد اتفق اهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم
من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع انهم اعرف بالحقايق وافصح بترتيب

الالفاظ

الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال عليه السلام هلك المتنطعون
هلك المتنطعون هلك المتنطعون اي المتعمقون في البحث والاستقصا واحتجوا
ايضا بان ذلك لو كان من الدين لكان اهم ما يامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم
طريقه ويثني على اربابه فقد علمهم الاستنجا وندبهم الى حفظ الفرايض واثنى عليهم
ونهاهم عن الكلام في القدر وقال امسكوا وعلى هذا استمر الصحابة فالزيادة على الاستاذ
طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة واما
الفرقة الاخرى فانهم احتجوا بان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ الجوهر
والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تعهدها الصحابة فالامر فيه قريب اذ ما
من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه
ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا
يفهمونه فاحداث عبارة للدلالة على مقصود صحيح كاحداث انية على هيئة جديدة
لاستعمالها في المباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة الدليل
على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن اين تحرم معرفة
الله بالدليل وان كان المحذور هو التشغب والتعصب والعداوة والبغضا وما
يفضي اليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما ان الكبر والريا وطلب
الرياسة مما يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز
عنه ولكن لا يمنع من العلم لاجل ادايه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة
والبحث عنها محظورا وقد قال تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين
وقال تعالى ليهلك من هلك عن بينة وقال تعالى هل عندكم من سلطان اي حجة
وبرهان وقال تعالى قل فلله الحجة البالغة وقال تعالى الم تر الى الذي حاج
ابرهيم في ربه الى قوله فبهت الذي كفر اذ ذكر احتجاج ابرهيم ومجادلته
وافحامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم وقال تعالى
قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقال تعالى في قصة فرعون وما رب العالمين الى قوله

اولو حنك بشي مبين وعلى الجمله فالقران من اوله الى اخره محاجه مع الكفار فعمدة
ادله المتكلمين في التوحيد قوله تعالى قل يحييها الذى انشاها اول مره الى غير ذلك
من الادله ولم يزل الرسل يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال الله تعالى وجادلهم
بالتي هي احسن والصحابه ايضا كانوا يجادلون ولكن عند الحاجه وكانت الحاجه
اليه قليله في زمانهم واول من سن دعوة المبتدعه الى الحق بالمجادله علي رضي الله عنه
اذ بعث ابن عباس رضي الله عنه الى الخوارج يكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل
ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال الكفار ارايتم لو سبيت عايشه رضي الله عنها
في يوم الجمل فوقعت في سهم احدكم اتستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي
امكم في نص الكتاب فقالوا لا ورجع منهم الى الطاعه بمجادلته الفان وروي
ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي رضي الله عنه رجلا من القدريه وناظر
عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة في الايمان فقال عبد الله لو قلت انا مومن لقلت اني في
الجنه فقال له يزيد يا صاحب رسول الله هذه زله منك ولناذ نوبا لو نعلم انما
تغفر لنا لعلمنا انا من اهل الجنه فمن اجل ذلك نقول انا مومنون ولا نقول انا
من اهل الجنه فقال ابن مسعود صدقت والله انها مني زله فمعنى ان يقال كان
خوضهم قليلا فيه لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجه لا بطريق التصنيف
والتدريس واتخاذه صناعه فقال اما قله خوضهم فكان لقله الحاجه اذ لم تكن
البدعه تظهر في ذلك الزمان واما القصر فقد كان الغايه افحام الخصوم
واعترافهم وانكشاف الحق فلو طال اشكال الخصم او لجاجه لطال لا محاله الزامهم
وما كانوا يقدرون قدر الحاجه حتى لا يحتال بعد الشروع فيها واما عدم
تصديهم للتدريس فهكذا كان في الفقه والتفسير والحديث ايضا فان
جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادره التي لا تتفق الا على الندور اما ادخارا
ليوم وقوعها وان كانت نادره او تشحيذا للخاطر فنحن ايضا نرتب طرق المحاجه
لتوقع وقوع الحاجه بثوران شبهه وهيجان مبتدع او تشحيذ الخاطر او ادخار الحجه

حتى لا يعجز

حتى لا يعجز عنها عند الحاجه على البديهه والارتجال كمن يعد السلاح قبل
القتال ليوم القتال هذا غايه ما يمكن ان يذكر للفريقين فان قلت ... ما المختار
عندك فاعلم ان الحق فيه ان اطلاق القول بذمه في كل حال او بمدحه في كل
حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل واعلم اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر
والميته واعني بقولي لذاته ان علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار او الموت
وهذا اذا سيلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا يلتفت الى اباحه الميته عند
الاضطرار واباحه تجرع الخمر اذا غص من غص بلقمه ولم يجد ما يسيغها به سوى
الخمر وقد يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيك والبيع وقت النداء وكاكل الطين فانه
يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه
بتحريمه كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثره فيطلق القول
عليه بالاباحه كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكاكل الطين وجاز اطلاق
التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفاتا الى اغلب الاحوال فان تصدى
شي تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد عن الالتباس ان نفصل فنعود
الى علم الكلام ونقول ان فيه منفعه وفيه مضره فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع
حلال ومندوب او واجب كما تقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت
الاستضرار ومحله حرام اما مضرته فاثاره الشبهات وتحريك العقايد
وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتدا ورجوعها بالدليل مشكوك
فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر في
تاكيد اعتقاد المبتدعه وتثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على
الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطه التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى
المبتدع العامي يمكن ان يزول اعتقاده باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشو
في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والاخرون لم
يقدروا على نزع البدعه من صدره بل التعصب والهوى وبغض خصومه الكادين فرقة

المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله
لك الغطا فيعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من ان يفرح به
خصمه وهذا هو الدا العظيم الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد
اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره واما منفعته فقد يظن ان فايدته
كشف الحقايق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفا بهذا المطلب
الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته
من محدث او حشوي ربما يخطر ببالك ان الناس اعدا ما جهلوه فاسمع هذا ممن
خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة
المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع الكلام وتحقق
ان الطريق الى حقايق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام
عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور في امور جلية
تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شي واحد وهو حراسة العقيدة
التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل فان
العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد
تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها واجمع
السلف عليها والعلما متعبدون بحفظ ذلك على العوام من تلبيسات المبتدعة
لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم كما تعبد السلاطين بحفظ اموالهم عن تهجمات الظلمة
والغصاب واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان يكون كالطبيب
الحاذق في استعمال الدوا الخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في
وقت الحاجة وتفصيله ان العوام المشغولين بالحرف والصناعات يجب ان
يتركوا على سلامة عقايدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه
فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم
الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح واما العامي المعتقد للبدعة

فينبغي

فينبغي ان يدعى الى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس
المؤثر في القلب القريب من سياق ادلة القران والحديث الممزوج بفن الوعظ
والتحذير فان ذلك انفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين اذ العامي اذا سمع
ذلك اعتقد انه نوع صنعة تعلمها المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز
عن الجواب قدر ان المجادلين من مذهبه ايضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا
ومع الاول حرام وكذا من وقع له شك اذ يجب ازالته بالتلطف والوعظ
والادلة القريبة المقبولة البعيدة عن التعمق في الكلام واستقصا الجدل انما ينفع
في موضع واحد وهو ان يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك
الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الانس بالجدال ما يمنعه
من القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا الى حالة لا يشفيه الا
دوا الجدال فجاز ان يلقى اليه وهذا في بلاد تقل البدعة فيها ولا تختلف فيها المذاهب
فيقتصر على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للادلة ويتربص وقوع
شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة فان كانت البدعة شايعة وكان يخاف
على الصبيان ان يخدعوا فلا باس ان يعلم القدر الذي اودعناه كتاب الرسالة
القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تاثير مجادلات البدعة ان وقعت اليهم وهذا مقدار
مختصر قد اودعناه هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكا وتنبه لموضع سوال
وثار في نفسه شبهة فقد بدت العلة المذمومة المحذورة وظهر الدا فلا باس ان
يرقى منه الى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر
مايه ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقايد الى غير ذلك من مباحث
المتكلمين فان اقنعه ذلك كف عنه وان لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والدا
غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر امكانه وينتظر قضا الله فيه الى
ان ينكشف له الحق بتنبيه من الله تعالى او يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر
الله له والقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه

فأما الخارج منه فقسمان أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن
الاعتمادات والأكوان وعن الإدراكات والخوض في أن الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو
العمى وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب
عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلة والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الأدلة في
غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضلالا
وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الإطناب والتقرير غموضا
ولو قال قائل البحث عن حكم الإدراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ
الخاطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله
لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين وذلك هوس فإن الخاطر يتشحذ
بسائر العلوم الشرعية ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم
والقدر المحمود من الكلام والحالة التي يذم فيها والحالة التي يحمد فيها والشخص
الذي ينتفع به والذي لا ينتفع فإن قلت مهما اعترفت بالحاجة إليه
في دفع المبتدع والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن
يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق
كالقضاء والولاية وغيرهما وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا
يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية تحل شبه المبتدع
ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة
فإن الحاجة لم تكن ماسة إليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل
بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من
الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل الدواء والفقه
مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرناه فيه من أنواع الضرر
فالعالم ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال أحدها التجرد
للعلم والحرص عليه فإن المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا

عرضت

عرضت الثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فإن البليد لا ينتفع بفهمه والفدم
لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه الثالثة أن
يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه
فإن الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد
بينه وبين الملاذ فلا يحرص على إزالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء
التكليف فما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه وإذا عرفت هذه الانقسامات
اتضح لك أن الحجة المحمودة إنما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة
في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا
يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصنعة تعلمها صاحبها
فإذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت أن الشافعي رحمه الله وكافة السلف
إنما منعوا من الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه وأن ما
نقل عن ابن عباس من مناظرته الخوارج وما نقل عن علي رضي الله عنه من مناظرته
في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في
كل حال نعم قد يختلف الاصطلاح في الأعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف
الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها
وحفظها فأما إزالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه
ودرك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة
وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافي عن شوائب
المجادلات وهي رحمة من الله تفيض على من تعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب
التعرض وبقدر قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا
يبلغ ساحله مسألة فإن قلت هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها
ظواهر وأسرار وبعضها جلي يبدو أولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة
والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من أشغال

الدنيا سوى المطلوب وهذا انما يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن
وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فاعلم ان انقسام هذه
العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون الذين
تلقفوا في اوائل الصبى شيئا وجمدوا عليه ولم يكن لهم ترق الى شاو العلى ومقامات
العلما والاوليا وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال النبي عليه السلم ان للقران
ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره
ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال عليه السلم نحن معاشر الانبيا
امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقال ما حدث احد قوما بحديث لم
تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون وقال عليه السلم ان من العلوم كهيئة المكنون لا يعرفه
الا العالمون بالله الحديث الى اخره كما اوردناه في كتاب العلم وقال عليه السلم لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري ان لم يكن ذلك سرا منع من
افشائه لقصور الافهام عن دركه او لمعنى اخر فلم لم يذكره لهم ولا شك في انهم كانوا
يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي لفظ
اخر لقلتم انه كافر وقال عليه السلم ما فضلكم ابو بكر بكثرة صيام ولا صلوة ولكن
بسر وقر في صدره ولا شك ان ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها
وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل بن عبد الله
التستري للعالم ثلثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسع
اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره على احد وقال بعض
العارفين افشا سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو اظهر
بطلت النبوة وللنبوة سر لو اظهر بطل العلم وللعلما بالله سر لو اظهروه
بطلت الاحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق

الضعفاء

الضعفا لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض وان الكامل من لا
يطفي نور معرفته نور ورعه ومدار الورع النبوة مسألة فان قلت
فهذه الايات والاخبار يتطرق اليها تاويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر
والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من
قال ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة
عبارة عن الباطن وان كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام
ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم ان هذا
السوال يحرك خطبا عظيما وينجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود
علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقايد التي ذكرناها من اعمال
القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بان
يتوصل الى ان ينكشف لنا حقايقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا
انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب ولولا انه عمل ظاهر القلب لا عمل
باطنه لما اوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقي هو صفة سر
القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة الظاهر
للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة
او الباطن يخالف الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار
التي يختص المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون في علمها ويمتنعون عن افشائها
عليهم ترجع الى خمسة اقسام الاول ان يكون الشي في نفسه دقيقا
تكل الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير
اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن الدرك واخفا سر
الروح وكف رسول الله صلى الله عليه عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل
الافهام عن دركه وتقصر الاوهام عن تصور كنهه ولا تظنن ان ذلك لم
يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان من لم يعرف الروح فكانه لم يعرف نفسه

فكيف يعرف غيره ولا يبعد ان ذلك كان مكشوفا لبعض الاوليا والعلما وان لم يكونوا
انبيا ولكنهم يتادبون بادب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله تعالى من
الخفايا ما تقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر
للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مقايسة توهموها
الى علمهم وقدرتهم اذ لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع
مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق ما يناسبه بعض المناسبة لم يفهموه بل لذة
الجماع اذا ذكر للصبي او العنين لم يفهمه الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذي
يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وبين علم
الخلق وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه
وصفات نفسه مما هو حاضر له في الحال او مما كان له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم
ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما تفاوتا في الشرف والكمال وليس في قوة البشر الا ان
يثبت لله ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق
بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب
تعالى به من الجلال ولذلك قال عليه السلام لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك
وليس المعنى به اني اعجز عن التعبير عما ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن درك
كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله وقال الصديق
رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل الطريق الى معرفته الا بالعجز عن معرفته
ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام
ما تكل الافهام عن دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى
ولعل الاشارة الى مثله في قوله عليه السلام ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها
لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادركه بصره القسم الثاني من الخفيات التي
يمتنع الانبيا والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه
ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر الانبيا والصديقين وسر القدر الذي منع اهل

العلم به

العلم به عن افشايه من هذا القسم ولا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا لبعض
الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل
وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والمعاصي والزنا بقضا الله تعالى وارادته ومشيته والشرور
حق في نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم دلالة على السفه ونقيض
الحكمة والرضا بالقبح والظلم وقد الحد ابن الراوندي وطايفة من المخذولين
بمثل ذلك وكذلك سر القدر لو افشي لاوهم عند اكثر الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم
عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قايل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وانها
بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من
الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطات النفوس وقت العقاب
قل اكتراثها ولعلها قريبة كانت في علم الله تعالى ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض
الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا
القسم القسم الثالث ان يكون الشي بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن
فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع
اغلب ولهُ مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه
كما لو قال قايل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير وكنى به عن افشا
العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فان المستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره
والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير
تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس في ذلك وقال الشاعر

رجلان خياط واخر حايك متقابلان على السماك الاعزل
لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع
الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومنه قوله عليه السلام
ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة على النار وانت ترى ان ساحة المسجد

لا ينقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد ينقبض ومعناه كونه معظما ورمي النخامه
تحقير فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال الجلدة وقوله عليه السلم اما يخشى
الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصوره
قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كاين اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته
لكونه وشكله بل بخاصيته وهو البلاده والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار
راسه راس حمار في معنى البلاده والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب
المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتدا والتقدم فانهما متناقضان وانما تعرف
هذا السر على خلاف الظاهر اما بدليل عقلي او شرعي اما العقلي بان يكون حمله على
الظاهر غير ممكن كقوله عليه السلم قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن اذ لو فتشنا
عن صدور المومنين فلم نجد فيها اصابع فعلم انه كناية عن القدره التي هي سر الاصبع
وروحها الخفي وكنى بالاصبع عن القدره لان ذلك اعظم وقعا في تفهيم تمام
الاقتدار ومن هذا القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا للشي قبل وجوده
فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن
عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكنايه اوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار
عدل اليه واما المدرك بالشرع فهو ان يكون اجراوه على الظاهر ممكنا ولكنه
يروى انه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى انزل من السما ما
فسالت اوديه بقدرها الايه ان معنى الما القران ومعنى الاوديه القلوب وان
بعضها احتمل شيا كثيرا وبعضها شيا قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر
فانه ان ظهر وطفى على راس الما فانه لا يثبت والهدايه التي تنفع الناس تمكث
وفي هذا القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد في الاخره من الميزان والصراط
وغيرهما وهو بدعه اذ لم ينقل ذلك بطريق الروايه واجراوه على الظاهر غير محال
فيجب اجراوه على الظاهر. القسم الرابع ان يدرك الانسان الشي جملة

ثم يدركه

ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون
الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يتمثل
للانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد فيحصل له به نوع علم فاذا راه بالقرب
او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له
فكذلك في الايمان والعلم والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق
والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع
بل للانسان في العشق والشهوة وساير الاحوال ثلثة احوال متفاوتة وادراكات
متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثاني عند وقوعه والثالث
بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من
علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك
ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الاقسام الاربعة تفاوت الخلق
وليس في شي منه باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر
القسم الخامس ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف
على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقايق يدرك السر فيه وهذا كقول القايل
قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني وراي الحجر الذي ورائي
فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللارض ايتيا
طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين فالبليد يفتقر في فهمه الى ان يقدر لهما حيوة
وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو حرف وصوت يجيب بحرف وصوت ويقول
اتينا طايعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه انبا عن كونهما مسخرة
بالضرورة ومضطرة الى التسخير ومن هذا قوله تعالى وان من شي الا يسبح
بحمده فالبليد يفتقر فيه الى ان يقدر للجماد حيوة وعقلا ونطقا بحرف
وصوت حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق
اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله تعالى

تسبيحه
شاهد يدرك

حمايل وفي كل شي له ايه تدل علي انه واحد وكما ان هذه الصنعة
المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى انها تقول اشهد ولكن بالذات
والحال فكذلك ما من شي الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم
اوصافه ويردده في اطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته
ذوو البصاير دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى ولكن لا تفقهون
تسبيحهم اما القاصرون فلا يفهمون اصلا واما المقربون والعلما الراسخون
فلا يفهمون كنهه وكماله اذ لكل شي شهادات شتى على تقديس الله سبحانه
وتدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم
المعاملة فهذا الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصاير في علمه
وتظهر به مفارقة الظاهر للباطن وفي هذا المقام لارباب المقامات
اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر
او اكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقوله تعالى وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي وكذلك المخاطبات
التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان والحساب ومناظرات اهل النار
واهل الجنة في قولهم افيضوا علينا من الما زعموا ان ذلك كله لسان الحال
وغلا اخرون في حسم الباب منهم احمد بن حنبل حتى منع تاويل قوله تعالى كن
فيكون وزعموا ان ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة
بعدد كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه انه حسم باب التاويل الا في ثلثة
الفاظ قوله عليه السلم الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله عليه السلم قلب المومن
بين اصبعين من اصابع الرحمن وقوله عليه السلم اني لاجد نفس الرحمن من جانب
اليمن ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر والظن باحمد بن حنبل انه علم
ان الاستوا ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التاويل
حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه متى فتح الباب اتسع الخرق على الراقع

وخرج

وخرج الامر عن الضبط وجاوز الاقتصاد اذ حد الاقتصاد لا ينضبط ولا
باس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها كما جات حتى
قال مالك لما سيل عن الاستوا الاستوا معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب
والسوال عنه بدعة وذهب طايفة الى الاقتصاد ففتحوا باب التاويل في كل ما
يتعلق بصفات الله تعالى وتركوا ما يتعلق بالاخرة على ظواهرها ومنعوا من التاويل
وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفات الله تعالى الروية واولوا
كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب القبر
والميزان والصراط وجملة من احكام الاخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة
واشتمالها على الماكولات والمشروبات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار
واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى
هذا الحد زاد الفلاسفة فاولوا كل ما ورد في الاخرة وردوه الى الام عقلية
روحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقا النفوس وانها تكون
اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهولا هم المسرفون وحد
الاقتصاد بين هذا الانحلال وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه
الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشف لهم اسرار
الامور على ما هي عليه نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه
بنور اليقين قرروه وما خالف اولوه واما من ياخذ معرفة هذه الامور من
السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف والاليق بالمقتصر على
السمع المجرد مقام احمد بن حنبل والان فكشف الغطا عن حد الاقتصاد في هذه
الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض بيان
موافقة الباطن للظاهر ومخالفته له وقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة
واذا راينا ان نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون
غير ذلك في الدرجة الاولى الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيترقى في

الدرجه الثانيه الى عقيده فيها لوامع الادله مختصره من غير تعمق فلنورد في هذا
الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرساله
القدسيه وهي مودعه في هذا الفصل الثالث من الكتاب الفصل
الثالث من الكتاب في لوامع الادله للعقيده التي ترجمناها فنقول

الحمد لله الذي ميز عصابه السنه بانوار اليقين واثر رهط الحق بالهدايه الى دعايم
الدين وجنبهم زيغ الزايغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتدا بسيد المرسلين وسددهم
للتاسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفا اثار السلف الصالحين حتى اعتصموا
من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقايدهم بالمنهج المبين
فجمعوا في القبول بين نتايج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان
النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طايل ولا محصول
ان لم تتحقق الاحاطه بما تدور عليه هذه الشهاده من الاقطاب والاصول
وعرفوا ان كلمتي الشهاده على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات
صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول فعلموا ان بنا الايمان على هذه
الاركان وهي اربعه ويدور كل ركن على عشره اصول الركن الاول
في معرفه ذات الله تعالى ومداره على عشره اصول وهي العلم بوجود الله تعالى
وقدمه وبقايه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا بجهه ولا
مستقرا على مكان وانه مرئي وانه واحد الركن الثاني في صفاته
ويشتمل على عشره اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا سميعا بصيرا مريدا
متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والاراده الركن
الثالث في افعاله تعالى ومداره على عشره اصول وهي ان افعال
العباد مخلوقه لله وانها مكتسبه للعباد وانها مراده لله وانه متفضل بالخلق
وان له تكليف ما لا يطاق وله ايلام البري ولا يجب عليه رعايه الاصلح وانه لا واجب
الا بالشرع وان بعثه الانبيا جايز وان نبوه نبينا صلى الله عليه ثابته مويده بالمعجزات

الركن



الركن الرابع في السمعيات ومداره على اثبات الحشر والنشر وعذاب القبر
وسوال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنه والنار واحكام الامامه
فالركن الاول من اركان الايمان معرفه ذات الله تعالى ومداره على عشره
اصول الاصل الاول معرفه وجوده تعالى واولى ما يستضا به من الانوار
ويسلك من طريق الاعتبار ما ارشد اليه القران فليس بعد بيان الله تعالى بيان
وقد قال تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا
وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا
فوقكم سبعا شدادا الى قوله وجنات الفافا وقال تعالى ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر
بما ينفع الناس الى قوله لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم
من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى افرايتم ما تمنون
انتم تخلقونه ام نحن الخالقون الى قوله ومتاعا للمقوين فليس يخفى على
من معه ادنى مسكه اذا تامل بادنى فكره مضمون هذه الايات وادار
نظره على عجايب خلق الله في الارض والسموات وبدايع فطره الحيوان
والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم الغريب لا يستغني عن
صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطره النفوس تشهد بكونها مقهوره
تحت تسخيره ومصرفه بمقتضى تدبيره ولذلك قال تعالى افي الله شك فاطر السموات
والارض ولهذا بعث الانبيا كلهم لدعوه الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا
الله وما امروا ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في
فطره عقولهم من مبدا نشوهم وعنفوان شبابهم ولذلك قال تعالى ولين سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا
فطره الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذا

فى فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغنى عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل
الاستظهار والاقتدا بالعلما النظار نقول من بدايه العقول ان الحادث
لا يستغنى فى حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغنى
فى حدوثه عن سبب اما قولنا ان الحادث لا يستغنى عن سبب فجلى فان كل
حادث فهو مختص بوقت يجوز فى العقل تقدير تقديمه وتاخيره فاختصاصه
بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا
العالم حادث فبرهانه ان الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهما
حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففى هذا البرهان ثلث
دعاوى الاولى ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه
مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيها الى تامل وافتكار فان من
عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا
الثانية قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض
منهما بعد البعض فالطارى منهما حادث لطريانه والسابق حادث لانه
لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سياتى بيانه وبرهانه فى اثبات بقاء الصانع
تعالى وتقدس الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث
وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها وما لم
ينقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهى النوبة الى وجود الحادث الحاضر فى
الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال لانه لو كان للفلك دورات لا نهاية
لها لكان لا يخلو عددها من ان يكون شفعا او وترا او شفعا ووترا جميعا
او لا شفعا ولا وترا ومحال ان يكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا
فان ذلك جمع بين النفى والاثبات اذ فى اثبات احدهما نفى الاخر وفى نفى
احدهما اثبات الاخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة
واحد وكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا لان الوتر

يصير

[illegible] الاجسام [illegible] فانه يجوز ان يسكن [illegible]

يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع انها لا نهاية لها فتحصل من هذا ان
العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره
الى المحدث من المدركات بالضرورة الاصل الثانى العلم بان
البارى تعالى قديم لم يزل ازلى ليس لوجوده اول بل هو اول كل شى وقبل كل
ميت وحى وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى المحدث
وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل
او ينتهى الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذى سميناه صانع
العالم وبارئه ومحدثه ومبدئه الاصل الثالث العلم بانه مع كونه
ازليا ابدى ليس لوجوده اخر بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن لان
ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم
بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شى يتصور دوامه بنفسه لجاز ان
يوجد شى بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذا يحتاج طريان
العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما
لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان
وجوده فى القدم ومعه ضده وان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث
فى مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم فى مضادته للحادث
حتى يدفع وجوده اذ الدفع اهون من القطع والقديم اقوى واولى من الحادث
الاصل الرابع العلم بانه تعالى ليس بجوهر متحيز بل يتعالى ويتقدس عن
مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان
يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان
وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لجاز ان
يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسم جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطيا
من حيث اللفظ لا من حيث المعنى الاصل الخامس العلم بانه تعالى

ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤتلف من الجواهر واذا بطل
كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز ومركب
من جوهر وجوهر ويستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون
والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدث ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم
لجاز ان يعتقد الالهية للشمس والقمر او لشيء آخر من اقسام الاجسام فان
تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التاليف كان غالطا في
الاسم مع نفي معنى الجسم الاصل السادس العلم بانه ليس بعرض قائم
بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم وكل جسم فهو حادث ويكون
محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل
وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر
مريد خالق كما سياتي بيانه وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل
الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول انه موجود
قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واجسام واعراض
فاذا لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء واني يشبه
المخلوق خالقه والمقدور مقدره والمصور مصوره والاجسام والاعراض كلها
من خلقه فاستحال القضاء بمماثلته ومشابهته الاصل السابع
العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق
واما اسفل واما يمين واما شمال واما قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي
خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على
الارض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى راسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة
الراس واسم السفل لما يلي جهة الارض حتى ان النملة التي تدب منكسة تحت
السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق له
اليدين واحداهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى والشمال

لما يقابله

لما يقابله وسمي الجهة التي تلي اليمين يمنة والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من
احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما
يقابله فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل
خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا
بجهة والجهة حادثة او كيف صار مختصا بجهة بعد ان لم يكن له ابان خلق العالم بجهة
تعالى عن ان يكون له تحت اذ تعالى عن ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل كل
ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول من كونه مختصا بجهة انه مختص بحيز اختصاص
الجوهر او مختص بالجوهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا او عرضا
فاستحال كونه مختصا بجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم
مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم
فاما ان يكون مثله او اصغر منه او اكبر وكل ذلك تقدير محوج الى مقدر ويتعالى
عنه الخالق المدبر فاما رفع الايدي عند السؤال الى جهة السماء فهو لانها
قبلة الدعاء وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها
بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء
الاصل الثامن العلم بانه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي اراده
تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا تتطرق اليه سمات الحدوث والفناء
وهو الذي اريد بالاستواء الى السماء حيث قال ثم استوى الى السماء وهي دخان
وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر

استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

واضطر اهل الحق الى هذا التاويل كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله
تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ حمل ذلك بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله
عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله
عليه السلام الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على

ظاهره للمزهر منه المحال وكذلك الاستوا لو نزل على الاستقرار والتمكن لزم منه
كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر او اصغر وذلك محال وما يودي
الى المحال فهو محال **الاصل التاسع** العلم بانه تعالى مع كونه منزها
عن الصورة والاقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار
في الدار الاخرة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا
تصديقا لقوله تعالى لا تدركه الابصار ولقوله في خطاب موسى عليه السلم لن تراني
وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب الارباب ما جهله موسى عليه السلم
ام كيف سال موسى الروية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهواء
من الجهلة الاغبيا اولى من الجهل بالانبيا اما وجه اجرا اية الروية على الظاهر
انه غير مود الى المحال فان الروية نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح من العلم
فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الروية به وليس في جهة
وكما يجوز ان يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير
مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز ان يرى من غير كيفية
وصورة **الاصل العاشر** العلم بان الله تعالى واحد لا شريك له
فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل
له يساميه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين واراد احدهما امرا فالثاني
ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا فلم يكن الها
قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول
ضعيفا قاصرا فلم يكن الها قادرا

الركن الثاني

العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول**
العلم بان صانع العالم قادر وانه تعالى في قوله وهو على كل شيء قدير صادق لان
العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن راى ثوبا من ديباج حسن النسج

والتاليف

والتاليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه من ميت لا استطاعة
له او انسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك اهل
الغباوة والجهل **الاصل الثاني** العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات
ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض والسموات
صادق في قوله وهو بكل شيء عليم ومرشد الى صدقه بقوله تعالى الا يعلم من
خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم لانك لا
تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشي الحقير
الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله تعالى
هو المنتهى في الهداية والتعريف **الاصل الثالث** العلم بكونه حيا فان
من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر دون
ان يكون حيا لجاز ان يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات
والسكنات بل في حياة ارباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة
الجهالات **الاصل الرابع** العلم بانه تعالى مريد لافعاله فما من موجود
الا وهو مستند الى مشيته وصادر عن ارادته فهو المبدي المعيد الفعال لما يريد
وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن
ان يصدر منه ذلك بعينه قبله او بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة
واحدة فلا بد من ارادة صارفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة
في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز
ان يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده
الاصل الخامس انه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رويته هواجس الضمير
وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء
على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس
بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اشرف واتم من الصانع وكيف تعتدل

الشبه فهو قبح النقص في جبلته والجمال في خلقته وصنعه او كيف يستقيم حجة
ابرهيم عليه السلام على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغباوة فقال لم تعبد ما لا
يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا ولو انقلب عليه ذلك في معبوده لاضحت حجته
داحضه ودلالته ساقطه ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه
وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحه وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة
وسميعا بلا اذن اذ لا فرق بينهما الاصل السادس انه تعالى متكلم بكلام
وهو وصف قايم بذاته ليس بحرف ولا صوت بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه
وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات قطعت حروفا
للدلالات كما تدل عليه تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طائفة
من العلما ولم يلتبس على جهلة الشعرا حتى قال قايلهم

ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا

ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه
بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم
يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شي وان البا قبل السين في قوله بسم الله فلا يكون
السين المتاخر عن البا قديما نزه عن الالتفات اليه قلبك فلله سر في ابعاد
بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد ان يسمع موسى في
الدنيا كلاما ليس بصوت فليستنكر ان يرى في الاخرة موجودا ليس بجسم ولا لون
وان عقل ان يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو الى الان لم ير غيره
فليعقل في حاسة السمع ما عقل في حاسة البصر وان عقل ان يكون له علم واحد
هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه
العبارات وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة
ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وان كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة
من غير ان تحل ذات السموات والجنة والنار في الحدقة والورقة فليعقل كون الكلام

مقروا

مقروا بالالسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام
فيها اذ لو حلت ذات النار بكتبة اسمها في الورق لاحترق الاصل السابع
ان كلامه القايم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث
داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات
ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في ابده
كذلك منزها عن تغير الحالات لان ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا
يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدوث للاجسام من حيث تعرضها
للتغير وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وبني على
هذا ان كلامه قديم قايم بذاته وانما الحادث هي الاصوات الدالة عليه وكما عقل
قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق
الله تعالى له علما بما في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذي
قام بذات ابيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذي
دل عليه قوله تعالى اخلع نعليك بذات الله تعالى وصير موسى مخاطبا به بعد وجوده اذ
خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم الاصل الثامن
ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات
لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم
زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد
عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم اخر فهكذا ينبغي ان يفهم
قدم علم الله تعالى الاصل التاسع ان ارادته قديمة وهي في القدم تعلقت
باحداث الحوادث في اوقاتها اللايقة بها على وفق سبق العلم الازلي اذ لو كانت حادثة
لصار محلا للحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا بها كما لا تكون انت متحركا
بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذلك الارادة
الاخرى تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز ان تحدث ارادة

بغير ارادته لجاز ان يخلق العالم بغير ارادته الاصل العاشر ان الله تعالى عالم
بعلم حي بحياة قادر بقدرة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله
هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غني بلا
مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والعالم والمعلوم متلازمة كالقتل
والمقتول والقاتل فكما لا يتصور قاتل بلا قتل وقتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل
وقتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم وعلم بلا معلوم ومعلوم بلا عالم بل هذه الثلثة
متلازمة في العقل لا ينفك بعضها عن بعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم
فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاضافات

الركن الثالث العلم بافعال الله تعالى ومداره على عشرة اصول

الاصل الاول العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه
لا خالق سواه ولا محدث الا اياه خلق الخلق وصنعهم واوجد قدرتهم وحركتهم
فجميع افعال عباده مخلوقة ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تعالى خالق كل شي
وفي قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون وفي قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو
اللطيف الخبير امر العباد بالتحرز في اقوالهم واسرارهم واضمارهم لعلمه
بموارد افعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته
تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركة ابدان العباد فالحركات متماثلة
وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع
تماثلها او كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر
الحيوانات من لطائف الصناعات ما تتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف
انفردت هي باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من
الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الارض
والسموات الاصل الثاني ان انفراد الله تعالى باختراع حركات العباد
لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة

والمقدور

والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار فاما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب
وليست بكسب له واما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة
بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار
تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة
المقدورة والرعدة الضرورية او كيف تكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل
اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد
في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على
وجه اخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة
بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله تعالى في الازل كانت متعلقة
بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا اخر
من التعلق فظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها الاصل الثالث
ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله تعالى فلا يجري
في الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله
وقدرته وبارادته ومشيئته ومنه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر
والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك
والايمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا
يسئل عما يفعل وهم يسئلون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء
الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى ولو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى
ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ويدل من جهة العقل ان المعاصي والجرائم ان كان الله
يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة ابليس مع انه عدو الله فالجاري على
وفق ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته فليت شعري كيف يستجيز المسلم ان يرد
ملك الجبار ذي الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت رياسة زعيم ضيعة لاستنكف
منها اذ لو كان ما يستتب لعدو الزعيم في القرية اكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته

اكثر من ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على
خلاف ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين
علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله صح انها مرادة له فان قيل
فكيف ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب
السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فاراد
اظهار الحجة بان يامر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال اسرج هذه الدابة بمشهد
من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن امرا لما كان عذره عند
السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال
الاصل الرابع ان الله متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف
ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما
فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب والامر والناهي وكيف يتهدف
لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل الذي
في تركه ضرر اما اجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله تعالى او ضرر عاجل كما
يقال يجب على العطشان ان يشرب الماء كي لا يموت واما ان يراد به الذي
عدمه يؤدي الى محال كما يقال وجود المعلوم واجب اذ عدمه يؤدي الى محال
وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله تعالى
المعنى الاول فقد عرضه للضرر وان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم
اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم
وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصالح العباد لم
يكن للوجوب في حقه معنى ثم ان مصلحة العباد في ان يخلقهم في الجنة فاما ان
يخلقهم في دار البلا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض
والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب الاصل الخامس
انه يجوز على الله تعالى ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز

ذلك لا

ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سالوا ذلك فقالوا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
ولان الله تعالى اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم ان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان
يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في
انه لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده الاصل السادس ان الله
تعالى ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا
للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه ملكه والظلم
عبارة عن التصرف في ملك الغير وهو محال على الله تعالى فانه لا يصادف
لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح
البهايم ايلام لها وما صب عليها من انواع العذاب من جهة الادميين
لم يتقدمها جريمة فان قيل ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما
قاسته من الالام ويجب على الله ذلك فنقول من زعم انه يجب على الله
احياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على الامها فقد خرج
عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان
المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد غيره فقد سبق انه غير مفهوم
اذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب الاصل السابع انه
يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرناه من انه
لا يجب عليه شي بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
وليت شعري بم يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب عليه في مسئلة
نفرضها عليه وهو ان نفرض مناظرة في الاخرة بين صبي مات مسلما وبين بالغ
مات مسلما فان الله تعالى يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب
بالايمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال
الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعات فيقول
انت امتني في الصبا فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ واجتهد فقد عدلت

عن العرك في الفعل عليه بطول العمر دوني فلم فضلته فيقول الله تعالى لاني
علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك الموت في الصبي هذا
عذر المعتزلي عن الله وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون
اما علمت اننا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبا فانا رضينا بدون
منزلة الصبي المسلم فبماذا اجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا الا القطع بان
الامور الالهية تعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال
فان قيل مهما قدر على رعاية صلاح العباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب
كان ذلك قبيحا غير لايق بالحكمة قلنا معنى القبيح ما لا يوافق الغرض
حتى يكون الشي قبيحا عند شخص حسنا عند شخص اخر اذ وافق غرض احدهما دون
الاخر حتى يستحسن قتل الشخص اعداوه ويستقبحه اولياوه فان اريد بالقبيح
ما لا يوافق غرض الباري فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبح كما لا
يتصور منه ظلم اذ لا يمكنه التصرف في ملك غيره وان اريد بالقبيح ما لا يوافق
غرض الغير فلم قلتم ان ذلك محال وهل هذا الا مجرد تشهي يشهد بخلافه
ما فرضناه من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الاشيا
والقادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهذا من اين يوجب رعاية
الاصلح وانما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثنا
وفي الاخرة ثوابا او يدفع عن نفسه به رحمة ورقة وكل ذلك محال على الله
تعالى **الاصل الثامن** ان معرفة الله تعالى وطاعته واجبة
بايجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلي لان العقل ان
اوجب الطاعة فلا يخلوا اما ان يوجبها لغير فايدة وغرض وهو محال فان
العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبه لفايدة وغرض وذلك لا يخلوا
اما ان يرجع الى المعبود وذلك محال فانه متقدس عن الاغراض والفوايد
بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان واما ان يرجع

الى غرض

الى غرض العبد وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن
الشهوات بسببه وليس في المال الا الثواب ومن اين يعلم ان الله تعالى يثيب
على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما اذ المعصية والطاعة في حقه سيان
اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص وانما عرف تمييز
ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق
المخلوق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والالتذاذ والاهتزاز باحدهما
دون الاخر فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع
لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب
علي والشرع لا يستقر الا بالنظر ولست اقدم على النظر ادى الى افحام الرسول
قلنا هذا يضاهي قول القايل للواقف في موضع ان وراك سبعا ضاريا فان
لم تبرح عن المكان قتلك وان التفت وراك ونظرت عرفت صدقي فيقول
الواقف لا يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القايل وتهدفه للهلاك ولا ضرر
فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي يقول وراكم الموت ودونه السباع
الضارية والنيران المحرقة ان لم تاخذوا منها حذركم وتعرفوا صدقي بالالتفات
الى المعجزة فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى
ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم وانما علي البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود
السباع الضارية بعد الموت والعقل يفهم كلامه والاحاطة بامكان ما
يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشي
واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشي موجبا انه معرف للضرر المتوقع فان
العقل لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى
الشرع والعقل وتاثيرهما في تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به
لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الاخرة
الاصل التاسع انه ليس يستحيل بعثة الانبيا خلافا للبراهمة حيث

قالوا لا فايده في بعثتهم اذ في العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدي الى الاعمال
المنجيه في الاخره كما لا يهدي الى الادويه المفيده للصحه فحاجة الخلق الى الانبيا
كحاجتهم الى الاطبا ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربه ويعرف صدق النبي
بالمعجزه الاصل العاشر ان الله تعالى قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم
خاتما للمرسلين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وايده
بالمعجزات الظاهره والايات الباهره كانشقاق القمر وتسبيح الحصا
وانطاق العجما وما تفجر من بين اصابعه من الما ومن اياته الباهره التي تحدى
بها مع كافه العرب القران فانهم مع تميزهم بالفصاحه والبلاغه تهدفوا
لسبيه ونهبه وقتله ولم يقدروا على معارضته بمثله اذ لم يكن في قدرة البشر
الجمع بين جزالة القران ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا
غير ممارس الكتب والانبا عن الغيب في امور تحقق صدقه فيها في المستقبل كقوله
تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين محلقين رووسكم ومقصرين
وكقوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
ووجه دلالة المعجزه على صدق الرسل ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعل الله
تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل
القايم بين يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك
ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك
ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت

الركن الرابع في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عنه
ومداره على عشره اصول الاصل الاول الحشر والنشر وقد ورد
بهما الشرع وهو حق والتصديق به واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعاده
بعد الافنا وذلك مقدور لله تعالى كابتدا الانشا قال الله تعالى قل يحييها الذي
انشاها اول مره فاستدل بالابتدا على الاعاده وقال تعالى ما خلقكم ولا

بعثكم

بعثكم الا كنفس واحده والاعاده ابتدا ثان فهو ممكن كالابتدا الاول
الاصل الثاني سوال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق به
لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحياه الى جزء من الاجزا الذي به فهم
الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون اجزا
الميت وعدم سماعنا للسوال فان النايم ساكن بظاهره ويدرك من باطنه من
الالام واللذات ما يحس باثره عند التنبه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع
كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشي
من علمه الا بما شا فاذا لم يخلق لهم السمع والبصر لم يدركوه الاصل الثالث
عذاب القبر وقد ورد به الشرع قال الله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الايه
واشتهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن السلف الصالحين الاستعاذه من عذاب
القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزا الميت
في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لالم العذاب من الحيوان
اجزا مخصوصه يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها الاصل الرابع
الميزان قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامه وقال تعالى فمن ثقلت
موازينه ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحايف الاعمال وزنا بحسب مقادير
درجات الاعمال عند الله تعالى فتصير اعمال العباد معلومة حتى يظهر لهم العدل
في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب الاصل الخامس
الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد من السيف وادق من الشعر قال الله تعالى
فاهدوهم الى صراط الجحيم وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير
الطير في الهوا قادر على ان يسير الانسان على الصراط الاصل السادس
ان الجنه والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين فقوله اعدت دليل على انهما مخلوقتان فيجب اجراوه على ظاهره
اذ لا استحاله فيه ولا يقال لا فايده في خلقهما قبل يوم الجزا لان الله تعالى لا يسال

عما يفعل وهم يسئلون الفصل السابع ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابو بكر ثم عمر ثم عثمن ثم علي رضي الله عنهم اجمعين ولم ينص رسول الله صلى الله عليه وسلم على امام اصلا
اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصب احاد الولاه والامرا على الجنود في البلاد ولم
يخف ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما
الا بالاختيار والبيعه واما تقدير النص على غيره فهو نسبه للصحابه كلهم الى مخالفه
الرسول وخرق للاجماع وذلك مما لا يستجري على اختراعه الا الروافض واعتقاد
اهل السنه تزكيه جميع الصحابه والثنا عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم وما
جرى بين علي رضي الله عنه ومعويه كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعه من معويه في
الامامه اذ ظن علي رضي الله عنه ان تسليم قتله عثمن مع كثره عشايرهم واختلاطهم
بالعسكر يودي الى اضطراب امر الامامه في بدايتها فراى التاخير اصوب وظن
معويه ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم يودي الى الاغرا بالايمه وتعريض الدما
للسفك وقد قال افاضل العلما كل مجتهد مصيب وقد قال قايلون المصيب واحد
ولم يذهب الى تخطيه علي ذو تحصيل الفصل الثامن ان فضل الصحابه
على ترتيبهم في الخلافه اذ حقيقه الفضل ما هو فضل عند الله تعالى وذلك لا يطلع عليه
الا الرسول عليه السلام وقد ورد في الثنا عليهم اجمعين اخبار وانما يدرك دقايق الفضل
والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتنزيل بقراين الاحوال فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا
الامر كذلك اذ كانوا لا ياخذهم في الله لومه لايم ولا يصرفهم عن الحق صارف الفصل
التاسع ان شرايط الامامه بعد الاسلام والتكليف خمسه الذكوريه
والورع والعلم والكفايه ونسب قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الايمه من
قريش فاذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له
البيعه من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد الى الحق الفصل
العاشر انه لو تعذر وجود العلم والورع فيمن يتصدى للامامه وكان في صرفه
اثاره فتنه لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك فتنه بالاستبدال

ومايلقى

وما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت
لمزيد المصلحه فلا نهدم اصل المصلحه شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا
وبين ان نحكم بخلو البلاد عن الامام وفساد الاقضيه وذلك محال ونحن نقضي
بنفوذ قضا اهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحه الامامه
عند الحاجه والضروره فهذه الاركان الاربعه الحاويه للاصول الاربعين
هي قواعد العقايد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنه ومباينا لرهط البدعه
والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعه جوده

الفصل الرابع من قواعد العقايد في
الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال
وما يتطرق اليه من الزياده والنقصان ووجه استثنا
السلف فيه وفيه ثلث مسايل

مسئله

اختلفوا في ان الاسلام هو الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل عنه يوجد دونه
او مرتبط به يلازمه فقيل انهما شي واحد وقيل انهما شيان لا يتواصلان وقيل انهما
شيان ولكن يرتبط احدهما بالاخر وقد اورد ابو طالب المكي في هذا كلاما شديد
الاضطراب كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا
تحصيل له فنقول في هذا ثلث مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغه
وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا والاخره
فالبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي البحث الاول
في موجب اللغه والحق فيه ان الايمان عباره عن التصديق قال الله تعالى وما انت
بمومن لنا اي بمصدق والاسلام عباره عن التسليم والاستسلام والاذعان
والانقياد وترك التمرد والابا والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان
ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب
هو تسليم وترك للابا والجحود وكذلك الطاعه والانقياد بالجوارح فموجب اللغه

ان الاسلام اعم والايمان اخص وكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فاذا
كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا البحث الثاني عن اطلاق
الشرع والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما على طريق الترادف والتوارد وورد
على سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى ان
كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال عليه السلام بني الاسلام على خمس
وسئل مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت
الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر
فاراد بالايمان هاهنا تصديق القول فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا
باللسان والجوارح وفي حديث جبريل لما سأله عن الايمان قال ان تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله وباليوم بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره
فقال الاسلام فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول
والعمل وفي حديث سعد انه عليه السلام اعطى رجلا عطاء ولم يعط الاخر فقال له
سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه وعاد عليه السلام
وروي ايضا انه سئل عليه السلام اي الاعمال افضل فقال الاسلام فقال اي الاسلام افضل
فقال الايمان وهذا يدل على الاختلاف والتداخل وهو اوفق الاستعمالات
للغة لان الاسلام عمل من الاعمال وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب
واما باللسان واما بالجوارح وافضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي سمي ايمانا
والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله
غير خارج عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان
عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم
ظاهرا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم لبعض محال التسليم ينطلق عليه اسم
التسليم وليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان

من لبس

من لبس غيره بعض بدنه يسمى لابسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام
على التسليم الظاهر عند تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله
تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وفي حديث سعد او مسلم
لانه فصل احدهما عن الاخر ويريد بالاختلاف تفاصيل المسميين واما التداخل
فموافق ايضا للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقول والقلب والعمل
جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو القلب وهو الذي عنيناه
بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا
خرج قوله الايمان في جواب قول السائل اي الاسلام افضل لانه جعل الايمان
خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما استعماله على سبيل الترادف بان
يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان ذلك تسليم وكذا
الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر
في معناه وهو جائز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن
ونتيجته وقد يطلق اسم الشجرة ويراد به الشجرة مع الثمرة على سبيل التسامح
فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه
ولا ينقص وعليه خرج قوله تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين البحث
الثالث عن الحكم الشرعي والايمان والاسلام حكمان اخروي ودنياوي اما
الاخروي فالاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال عليه السلام يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد اختلفوا في ان هذا الحكم على ماذا يترتب
وعبروا عنه بان الايمان ماذا فمن قائل انه مجرد العقد ومن قائل انه عقد بالقلب
وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول
من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف ان مستقره الجنة وهذه درجة الدرجة
الثانية ان يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب
صاحبه كبيرة او بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بها عن الايمان ولم يدخل في الكفر

بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل كما
سنذكره الدرجة الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة
باللسان دون الاعمال والجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال ابو طالب المكي
العمل من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بادلة تشعر
بنقيض غرضه لقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اذ هذا يدل على
ان العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد
والعجب انه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم
لا يكفر احد الا بجحوده لما اقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب
الكباير والقايل [بهذا] قايل بعين مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه
ومات في الحال فهل هو في الجنة ولا بد ان يقول نعم وفيه حكم بوجود الايمان
دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها
ومات او زنا فمات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال
لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا في نفس الايمان ولا شرطا في وجوده ولا في
استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم
على شي من الاعمال الشرعية فما ضبط تلك المدة وما عدد تلك الطاعات التي
بتركها يبطل الايمان وما عدد الكباير التي بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا
يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صاير اصلا الدرجة الرابعة ان يوجد
التصديق بالقلب قبل ان ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال ومات فهل نقول مات
مومنا بينه وبين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان
يقول هذا مات قبل الايمان وهذا فاسد اذ قال عليه السلام يخرج من النار من
كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد
ولم يشترط في حديث جبريل للايمان الا التصديق بالله وملايكته واليوم الاخر
كما سبق الدرجة الخامسة ان يصدق بالقلب ويساعده

من العمر

من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبهما ولكنه لم ينطق بها فيحتمل
ان يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلوة ونقول هو مومن غير مخلد
في النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد ان
يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو
الاظهر اذ لا مستند له الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان ان
الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وقال يخرج من النار من في قلبه مثقال
ذرة من الايمان ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب
كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قايلون القول ركن اذ ليس
كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشا عقد وابتدا شهادة والتزام والاول
اظهر وقد غلا في هذا طايفة المرجية فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا
ان المومن وان عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم الدرجة
السادسة ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق
بقلبه فلا نشك ان هذا في حكم الاخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا
نشك انه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالولاة والايمة من المسلمين لان قلبه لا يطلع
عليه وعلينا ان نظن به انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه بقلبه وانما
نشك في امر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بان يموت
له في هذه الحالة قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك [بالقلب] ثم يستفتي ويقول كنت غير
مصدق حالة الموت والميراث الان في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى او نكح
مسلمة ثم صدق هل تلزمه اعادة النكاح هذا في محل النظر فيحتمل ان يقال
احكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل ان يقال يناط
بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في
نفسه بينه وبين الله فالاظهر والعلم عند الله انه لا يحل له ذلك الميراث
ويلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة لا يحضر جنازة من يموت من

المنافقين وعمر كان يراعي ذلك منه ولا يجوز اذا المرء حضر حذيفه والصلاه فعل ظاهر في
الدنيا وان كان من العبادات والتوقي عن الحرام في حمله ما يجب لله على الملوك
وليس هذا مناقضا لقولنا ان الاعمال من الاسلام وهو استسلام بل الاستسلام
التام ما يشغل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهيه ظنيه مبني على
ظواهر الالفاظ والعمومات والاقيسه فلا ينبغي ان يظن القاصر في
العلوم ان المطلب فيه القطع من حيث جرت العاده بايراده في فن الكلام
الذي يُطلب فيه القطع فما افلح من نظر الى العبارات والرسوم في العلوم
فان قلت فما شبهة المعتزله والمرجيه وما حجه بطلان قولهم فاقول
شبههم عمومات القران اما المرجيه فقالوا لا يدخل المومن النار
وان اتى بكل المعاصي لقوله تعالى ومن يومن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا
ولقوله والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون ولقوله تعالى كلما
القي فيها فوج سالهم خزنتها الى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي
فقوله تعالى كلما القي عام فينبغي ان يكون كل من القي مكذبا ولقوله تعالى
لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات ونفي
ولقوله من جا بالحسنه فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون والايمان
راس الحسنات ولقوله والله يحب المحسنين ولقوله انا لا نضيع اجر
من احسن عملا ولا حجه فيه فانه حيث ذكر الايمان في هذه الايات
اريد به الايمان مع العمل اذ بينا ان الايمان قد يطلق ويراد به التصديق باللسان
وهو الموافقه بالقول والقلب والعمل ودليل هذا التاويل اخبار كثيره في
معاقبه العاصين ومقادير العقاب وقوله يخرج من النار من كان في
قلبه مثقال ذره من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القران قوله
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فالاستثنا بالمشيه
يدل على الانقسام وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وتخصيصه

باللكفر

٩٤

بالكفر تحكم وقال الا ان الظالمين في عذاب مقيم وقال من جا بالسيئه فكبت
وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضه عموماتهم ولا بد من التخصيص
والتاويل على الجانبين لان الاخبار مصرحه بان العصاه يعذبون بل قوله
وان منكم الا واردها كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مومن
عن ذنب يرتكبه وقوله لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى اراد به
من جماعه مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا وقوله كلما القي
فيها فوج اي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب وعن هذه الايه
وقع الاشعري وطايفه من المتكلمين انكار صيغ العموم فان هذه الالفاظ
يتوقف فيها الى ان ترد قرينه تدل على معناها واما المعتزله
فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا وقوله تعالى
والعصر ان الانسان لفي خسر الى اخرها وقوله وان منكم الا واردها الى قوله
ثم ننجي الذين اتقوا وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل ايه
ذكر العمل الصالح مقرونا بالايمان وقوله ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه
جهنم خالدا فيها وهذه العمومات ايضا مخصوصه بدليل قوله ويغفر ما
دون ذلك لمن يشا فينبغي ان يبقى له مشيه في مغفره ما سوى الشرك وكذلك
قوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذره من الايمان وقوله ان الله
لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصيه
واحده وقوله ومن يقتل مومنا متعمدا اي لايمانه وقد ورد على مثل هذا
السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون
العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان قول وعقد وعمل فما معناه
قلنا لا يبعد ان يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم له كما يقال الراس
واليدين للانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعدم الراس ولا يخرج
عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك التسبيحات والتكبيرات من الصلاه وان كانت

لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب الايمان كالقلب من وجود الانسان اذ
ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف بعضها اعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم
لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن والصحابه ما اعتقدوا مذهب المعتزله في الخروج
من الايمان بالزنا ولكن معناه غير مومن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز
المقطوع الاطراف ليس هذا بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانيه

مسئله فان قلت قد اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعه
وينقص بالمعصيه واذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زياده ولا نقصان فاقول
السلف هم الشهود العدول وليس لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشان
في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان واركان وجوده بل هو مزيد
عليه والزايد موجود والناقص موجود والشي لا يزيد بذاته ولا يجوز ان يقال الانسان
يزيد براسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلاه تزيد بالركوع
والسجود بل تزيد بالاداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد
الوجود يختلف حاله بالزياده والنقصان فان قلت فالاشكال قايم في ان
التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصله واحده فاقول اذا تركنا المداهنه
ولم نكترث بتشغب من تشغب وكشفنا الغطا ارتفع الاشكال فاقول الايمان اسم
مشترك يطلق من ثلثه اوجه الاطلاق الاول انه يطلق للتصديق بالقلب
على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام
بل الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقده على القلب تاره يقوى وتاره
يضعف ويسترخي كالعقده على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبر اليهودي
في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ
ولا تحقيق وبرهان وكذا النصاري والمبتدعه ومنهم من يمكن تشكيكه
بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استماله او تخويف مع انه
غير شاك في عقده كالاول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في

الاعتقاد

تزايد الايمان

الاعتقاد الحق ايضا والعمل يوثر في نما هذا التصميم وزيادته كما يوثر سقي الما في نما
الاشجار ولذلك قال تعالى فزادتهم ايمانا وقال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
وقال عليه السلم فيما روي في بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير الطاعات
في القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبه على العباده
والتجرد لها بحضور القلب مع اوقات الفتور وادراك التفاوت في السكون الى
عقايد الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصا على من يريد حله بالتشكيك
بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمه اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف
به ادرك من باطنه تاكد الرحمه وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد
التواضع اذا عمل بموجبه مقبلا او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع
عند اقدامه على الخدمه وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها اعمال الجوارح
ثم تعود اثار الاعمال عليها فتوكدها وتزيدها وسياتي هذا في ربع المنجيات
والمهلكات عند بيان وجه تعلق الظاهر بالباطن والاعمال بالعقايد والقلوب
فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعني بالملك عالم الشهاده المدرك
بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيره والقلب من عالم الملكوت
والاعضا واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط بين العالمين ودقته انتهى
الى حد ظن بعض الناس اتحاد احدهما بالاخر وظن الاخرون انه لا عالم الا
عالم الشهاده وهو هذه الاجسام المحسوسه ومن ادرك الامرين وادرك تعددهما
ثم ارتباطهما عبر عنه وقال رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر
ولنرجع الى المقصود فان هذا العلم خارجا عن علم المعامله ولكن بين العلمين
ايضا اتصال وارتباط وكذا ترى علم المكاشفه تتسلق كل ساعه على علوم المعامله
الى ان تنكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعه بموجب هذا
الاطلاق ولهذا قال علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو لمعه بيضا فاذا عمل العبد

الصالحات لمعة فإذا زاد حتى يبيض القلب كله وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك
الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا كلا بل
ران على قلوبهم الآية الإطلاق الثاني أن يراد به التصديق والعمل جميعا
كما قال الإيمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني وهو مؤمن حين يزني
وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الإيمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل
يؤثر ذلك في زيادة الإيمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا إلى أنه
يؤثر فيه الإطلاق الثالث أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف
وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة ولكني
أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس
إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث وإن كان
لا شك في واحد منهما بل اليقينيات تختلف في درجات الإيضاح ودرجات
طمأنينة النفس إليه وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب
علما الآخرة فلا حاجة إلى الإعادة وقد ظهر في جميع الإطلاقات أن ما قالوا
من زيادة الإيمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الأخبار أنه يخرج من النار من
في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وفي بعض المواضع في حكم آخر مثقال دينار
فأي معنى لاختلاف مقاديرها إن كان ما في القلب لا يتفاوت مسألة
فإن قلت ما وجه قول السلف أنا مؤمن إن شاء الله والاستثناء شك والشك في
الإيمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالإيمان ويحترزون منه قال
سفيان الثوري رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة
فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا كان مؤمنا عند الله
كما أن من كان طويلا أو سخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله تعالى
وكذا من كان مسرورا أو حزينا أو سميعا أو بصيرا ولو قيل للإنسان أنت حيوان
لم يحسن أن يقول أنا حيوان إن شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فما نقول قال قولوا

آمنا بالله

آمنا بالله وما أنزل إلينا وأي فرق بين أن يقول آمنا وبين أن يقول أنا مؤمن
وقيل للحسن أمؤمن أنت فقال إن شاء الله فقيل له تستثني يا أبا سعيد في الإيمان
فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول
ما يؤمنني أن يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت
لك عملا فأنا أعمل في غير معمل وقال إبراهيم إذا قيل لك أمؤمن أنت فقل لا
إله إلا الله وقال مرة قل أنا لا أشك في الإيمان وسؤالك إياي بدعة وقيل
لعلقمة أمؤمن أنت فقال أرجو إن شاء الله وقال الثوري نحن مؤمنون بالله
وملائكته ورسله ولا ندري ما نحن عند الله تعالى فما معنى هذه الاستثناءات
والجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان يستندان
إلى الشك لا في أصل الإيمان ولكن في خاتمته أو كماله ووجهان لا يستندان إلى الشك
الوجه الأول الذي لا يستند إلى الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه
من تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم وقال ألم تر إلى الذين يزكون
أنفسهم وقال انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق
القبيح فقال ثناء الإنسان على نفسه والإيمان من أعلى صفات المجد والجزم به
تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للإنسان أنت
طبيب أو فقيه أو مفسر فيقول نعم إن شاء الله لا في معرض التشكيك ولكن
لإخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس
الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل لو
سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء الوجه الثاني التأدب بذكر
الله تعالى في كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله تعالى فقد أدب الله نبيه
فقال ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما
لا يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله الآية وكان الله عالما بأنه يدخل
لا محالة وأنه شاء ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل الأخبار

معلوما ان او مشكوكا حتى قال لما دخل المقابر السلام عليكم دار قوم مومنين
وانا ان شا الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله تعالى
وربط الامور به وهذه الصيغة داله عليه حتى صار يعرف الاستعمال عبارة عن
اظهار الرغبة والتمني واذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شا الله فيفهم
منه رغبتك فقد صارت الكلمة معدوله عن معنى التشكك الى معنى الرغبة وكذلك
العدل الى معنى التادب بذكر الله كيف ما كان الامر الوجـــه الثالث
ومستنده الشك ومعناه انا مومن حقا اذ انقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك
في كمال الايمان لا في اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك
في كمال الايمان حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو
خفي لا يتحقق البراءة منه والثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدرى وجودها
على الكمال اما العمل فقال الله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اوليك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق
وكذلك قال ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر فشرط عشرين وصفا كالوفا
بالعهد والصبر على الشدايد ثم قال اوليك الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله
الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح الاية وقال تعالى هم درجات عند الله وقال عليه السلام الايمان
عريان ولباسه التقوى الحديث وقال الايمان بضع وسبعون بابا ادناها
اماطة الاذى عن الطريق فهذا يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال واما
ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله عليه السلام اربع من كن فيه فهو منافق
خالص وان صام وصلى وزعم انه مومن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر وفي حديث
ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المومن وقلب
مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق

فيه كمثل

فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المدتين غلبت عليه حكم له بها وفي
لفظ اخر غلبت عليه ذهبت به وقال عليه السلام اكثر منافقي امتي قراوها وفي
حديث اخر الشرك اخفى في امتي من دبيب النملة على الصفا وفي حديث حذيفة
كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا
الى ان يموت واني لاسمعها اليوم من احدكم عشر مرات وقال بعض العلما اقرب
الناس من النفاق من يرى انه بري منه وقال حذيفة المنافقون اليوم اكثر
منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه
وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفي وابعد الناس عنه من يتخوفه
واقربهم منه من يرى انه بري منه
الامر اسيا فاردت ان اكرم خفت ان يامر بقتلي ولم اخف من الموت ولكن
حسبت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكرهت وهذا من النفاق
وهذا النفاق يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاه لا اصله فالنفاق
نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في
النار والثاني يفضي الى النار الى مدة او ينقص من درجات عليين ويحط من
رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه فلذلك حسن الاستثنا واصل هذا النفاق
تفاوت السر والعلانية والامن من مكر الله والعجب وامور اخر لا يخلو عنها
الا الصديقون الوجـــه الرابع وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من
خوف الخاتمة ولا يدرى ايسلم الايمان عند الموت ام لا فان ختم بالكفر حبط
الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الاخر ولو سيل الصائم ضحوة النهار عن
صحة صومه فقال انا صائم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة
على التمام الى غروب الشمس وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات
تمام الصحة ووصفه بالصحة قبل اخره بنا على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة
مخوفة ولاجلها كان اكثر بكا الخايفين لاجل انها ثمرة القضية السابقة والمشية

للازليه التي لا تظهر الا بظهور المقضي به ولا يطلع عليه بشر فخوف الخاتمه بخوف
السابقه وانما يظهر في الحال ما سبقت الكلمه فمن الذي يدري انه سبقت له من الله الحسنى
وقيل في قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق اي بالسابقه يعني اظهرتها وقال بعض السلف
انما توزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد امن ان يسلب ايمانه الا
سلبه وقال ان من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمه نعوذ بالله منه وقيل هي عقوبه
دعوى الولايه والكرامه بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت علي الشهاده عند باب
الدار والموت علي التوحيد عند باب الحجره وخيرت بينهما لاخترت الموت علي الشهاده
لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت
واحدا على التوحيد خمسين سنه ثم حال بيني وبينه ومات لم احكم انه مات على التوحيد
وفي الحديث من قال انا مؤمن فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل وقيل في قوله تعالى وتمت كلمه
ربك صدقا وعدلا صدقا لمن مات علي الايمان وعدلا لمن مات علي الشرك وقد قال تعالى
ولله عاقبه الامور فمهما كان الشك بهذه المثابه كان الاستثناء واجبا لان
الايمان عباره عما يفيد الجنه كما ان الصوم عباره عما يبري الذمه والذي فسد قبل
الغروب لا يبري الذمه فيخرج عن كونه صوما وكذلك الايمان بل يبعد ان يسأل
عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال له اصمت بالامس فيقول
نعم ان شاء الله تعالى اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والقبول غايب عنه لا يطلع عليه
ظاهر فمن هذا يحسن الاستثناء في جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول اذ يمنع من
القبول بعد جريان شروط الصحه اسباب خفيه لا يطلع عليها الا رب الارباب الذي
هو عالم الغيب والشهاده دون الادميين فيحسن الشك فيه لذلك فهذه وجوه حسن
الاستثناء في الجواب عن الايمان حين يقول عند السوال عن الايمان انا مؤمن ان شاء الله
تعالى وهي اخر ما نختم به كتاب قواعد العقايد والله اعلم بالصواب
والحمد لله العلي وصلى الله على سيدنا محمد واله الطاهرين وسلم

كتاب اسرار الطهاره

كتاب أسرار الطهارة

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافه وافاض على قلوبهم تزكيه لسرايرهم
انواره والطافه واعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقه واللطافه
والصلاه على محمد المستغرق بنور الهدى اطراف العالم واكنافه وعلى اله الطيبين
الطاهرين صلاه تنجينا بركاتها يوم المخافه وتنتصب جنه بيننا وبين كل افه
اما بعد فقد قال صلى الله عليه بني الدين على النظافه وقال مفتاح الصلاه
الطهور وقال الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم
ففطن ذوو البصاير بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السراير اذ
يبعد ان يكون المراد بقوله الطهور نصف الايمان عماره الظاهر بالتنظيف
بافاضه الماء وتخريب الباطن وابقاوه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات
والطهاره لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث
والاخباث والفضلات الثانيه تطهير الجوارح عن الجرايم والاثام
الثالثه تطهير القلب عن الاخلاق المذمومه والرذايل الممقوته الرابعه
تطهير السر عما سوى الله وهي طهاره الانبيا والصديقين والطهاره في كل رتبه
نصف العمل الذي فيها فان الغايه القصوى في عمل السراير ان ينكشف له جلال الله
وعظمته ولن تحل معرفه الله تعالى على الحقيقه في السر ما لم يرتحل عما سوى الله
ولذلك قال تعالى قل الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل
قلبين في جوفه واما عمل القلب فغايته القصوى عمارته بالاخلاق المحموده
والعقايد المشروعه ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقايضها من العقايد الفاسده
والرذايل المذمومه فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط
في الثاني فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن
المناهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات فهذه مقامات الطهاره ولكل
مقام طبقه ولن ينال العبد الطبقه العاليه الا ان يجاوز الطبقه السافله

ولا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة من لم يفرغ من طهارة
القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ من طهارة
الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب
مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى
وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب
الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب
المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجا
وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم
الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة الشريفة هي هذه فقط وجهلا
بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلوب وتساهلهم في امر
الظاهر حتى ان عمر رضي الله عنه مع علو منصبه توضا بما في جرة نصرانية
وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد عن الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم
باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض
في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب
حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجا وقال
ابو هريرة وغيره من اهل الصفة كنا ناكل الشوا فيقام الصلاة فندخل اصابعنا في
الحصبا ثم نفركها في التراب ونكبر وقال عمر ما كنا نعرف الاشنان في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بواطن ارجلنا كنا اذا اكلنا
الغمر مسحنا به وقال اول ما ظهر من البدع اربع المناخل والاشنان والموائد
والشبع وكان عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة في النعلين افضل
اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعله في صلاته اذ اخبره جبريل ان عليه نجاسة
وخلع الناس نعالهم قال عليه السلام لم خلعتم نعالكم قال النخعي في الذين يخلعون
نعالهم وددت لو ان محتاجا جا واخذ منكرا لخلع النعل فهكذا كان تساهلهم

في هذه الامور بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون
في المساجد على الارض وياكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليها
ولا يحترزون من عرق الابل والفرس مع كثرة تمرغها في النجاسات ولم ينقل
قط عن احد منهم سوال في دقائق النجاسات وهكذا كان تساهلهم وقد انتهت
النوبة الان الى طائفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى الدين فاكثروا
ادواتهم في تزيين الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون
بخبائث الكبر والعجب والجهل والريا والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون
منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجا بالحجر او مشى على الارض حافيا او صلى على
الارض او بواري المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف
للقدم من ادم او توضا من انية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا عليه القيامة وشددوا
النكير ولقبوه بالقذر واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مواكلته ومخالطته
فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر
معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه
فان قلت افتقول ان هذه العادات التي احدثها الصوفية في هياتهم ونظافتهم
من المحظورات او المنكرات فاقول حاش لله ان اطلق القول فيه من غير تفصيل
ولكني اقول هذه التنظفات باعداد الاواني والالات واستعمال غلاف القدم
والازار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر على
ذاتها على سبيل التجرد فهو من المباحات وقد يقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة
بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونها مباحا في نفسه فلا يخفى اذ صاحبه متصرف
في ماله وبدنه وثيابه فيفعل به ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف واما مصيره
منكرا بان يجعل ذلك اصل الدين ويفسر قوله عليه السلام بني الدين على النظافة حتى
ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الاولين او ان يكون القصد به تزيين الظواهر
للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الريا المحظور فيصير منكرا بهذين

الاعتبارين واما كونه معروفا فبان يكون القصد منه التجمل للناس وان لا ينكر
على من ترك ذلك ولا يوخر بسببه الصلاة عن اول الاوقات ولا يشتغل به
عن عمل هو افضل منه او عن دراسة علم او غيره فاذا لم يقترن به شي من ذلك فهو
مباح يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا
بصرف الاوقات لاشتغلوا بنوم او حديث فيما لا يعني فيصير اشتغالهم به اولى
لان الشاغل بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا باس اذا لم يخرج
الى منكر او اسراف واما اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرفوا من اوقاتهم
اليه الا قدر الحاجة والزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع للعمر الذي هو انفس
الجواهر واعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فان حسنات
الابرار سيئات المقربين ولا ينبغي للبطال ان يترك النظافة وينكر على المتصوفة
ويزعم انه يتشبه بالصحابة اذ التشبه بهم في ان لا يتفرغ له الا لما هو اهم منه كما قيل
لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك فقال اني اذا لفارغ فلهذا لا ارى للعالم ولا
للعامل ان يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من ان يلبس الثياب المقصورة وتوهما
بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون في الفرا المدبوغة
ولم يعلم منهم الفرق بين المدبوغ والمقصور في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون
النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة
بل كانوا يتاملون في دقائق الريا والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان
يمشي معه فنظر الى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا
اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه معين له على الاسراف
وكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا لاحتمال النجاسات
ولو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو افضل فانه
بالاضافة الى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة
بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحالة والنفس ان لم تشتغل

شغلت

شغلت صاحبها واذا قصد به التقرب الى العالم صار ذلك عنده من افضل القربات
فوقت العالم اشرف من ان يصرف الى مثله فينبغي محفوظا عليه واشرف وقت
العامي ان يشتغل بمثله فيتوفر الخير من الجوانب وليستفطن بهذا المثال لنظائره
من الاعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم بعضها على بعض فتدقيق الحساب في
حفظ لحظات العمر بصرفها الى الاهم افضل من التدقيق في اموال الدنيا
بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة واستيقنت ان الطهارة لها اربع مراتب
فاعلم انا في هذا الكتاب لسنا نتكلم الا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر
لانا في الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر فنقول
طهارة الظاهر ثلثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة
عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة
والختان وغيره القسم الاول في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق
بالمزال والمزال به والازالة الطرف الاول في المزال وهي النجاسات
والاعيان ثلثة جمادات وحيوانات واجزا حيوانات اما الجمادات فطاهرة
كلها الا الخمر وكل منتبذ مسكر واما الحيوانات طاهرة الا الكلب والخنزير
وما تولد منهما او من احدهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة الادمي والسمك
والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل من الاطعمة وكل ما ليس له نفس
سائلة كالذباب والخنفسا وغيرهما ولا ينجس الما بوقوع شي فيه منها
واما اجزا الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر
لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس الثاني الرطوبات الخارجة من
باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب
والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الادمي وغيره كالمني
والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات ولا يعفى عن
هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة الاول اثر النجو بعد الاستجمار

بالاحجار ما لم يعد من المخرج الثاني طين الشوارع وغبار الروث يعفى عنه
مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به
الى تفريط او سقطة الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا تخلو
الطرق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع دم البراغيث ما
قل منه او كثر الا اذا جاوز حد العادة سوا كان في ثوبك او ثوب غيرك فلبسته
الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد دلك ابن عمر
رضي الله عنهما بثرة على وجهه وخرج منه الدم فصلى ولم يغسل وفي معناها
لطخات الدماميل التي تدوم غالبا وكذا اثر الفصد الا ما يقع نادرا من
خراج او غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو
الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع في هذه الطهارة يعرفك ان امر
الطهارات على التساهل وما ابدع فيها وسوسة لا اصل لها الطرف
الثاني في المزال به وهو اما جامد او مايع اما الجامد فحجر الاستنجاء
وهو مطهر تطهير تجفيف بشرط ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم واما
المايعات فلا تزال النجاسة بشي منها الا بالماء ولا بكل ماء بل بالماء الطاهر
الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان
يتغير بملاقاة النجاسة طعمه او لونه او ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من خمسمائة
رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم اذا كان الماء قلتين لم يحمل خبثا
وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد اما الجاري
اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات
الماء متفاصلة وكذا النجاسة الجارية اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها
من الماء وعن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين وان كان جري الماء
اقوى من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما تحتها نجس وان تباعد
عنها وان كثر الا اذا اجتمع في حوض قدر قلتين فاذا اجتمع قلتان من ماء

نجس



نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي رضي الله عنه وكنت اود ان
يكون مذهبه كمذهب مالك في ان الماء وان قل لا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة
ماسة اليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك
وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله ومما لا اشك فيه انه لو
كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة ولا تكثر فيهما
المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخر عصر
الصحابة لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سوال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسة
وكانت اواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاما والذين لا يحترزون عن
النجاسات وتوضى عمر بماء في جرة نصرانية كالصريح في انه لم يعول الا على عدم
تغير الماء والا فنجاسة النصرانية وانائها غالب يعلم بظن قريب فاذا
عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السوال في تلك الاعصار دليل اول
وفعل عمر دليل ثاني والدليل الثالث اصغا رسول الله صلى الله عليه وسلم للهرة
وعدم تغطيتهم الاواني منها بعد ان يرى انها تاكل الفارة ولم يكن في بلادهم
حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل في الابار الرابع ان
الشافعي نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير نجسة اذا تغيرت
واي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه واي
معنى لقول القايل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة
النجاسة وان احيل ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا ماسة الى هذا ولا فرق
بين طرح الماء في اجانة فيها ثوب نجس او طرح الثوب النجس في الاجانة وفيها
ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني الخامس انهم كانوا
يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي
انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير انه يجوز التوضي به وان كان قليلا
واي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على عدم التغير اولى او على

الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة اتجري في المياه الجارية في انابيب الحمامات ام لا
فان لم تجر فما الفرق وان جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء على
الابدان من الاواني وهي ايضا جارية ثابتة اذ قضى بان ما يجري عليها وان لم يبلغ
الا ان يجتمع في مستنقع قلتان واي فرق بين الجامد والمائع والماء والحد
وهل اختلاط اشد من الجوار السادس انه اذا وقع رطل من البول في
قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه
وقليل وليت شعري هل تعليل طهارته بعدم التغير اولى او بقوة هذا الماء بعد انقطاع
الكثرة وزوالها مع تحقق اجزا النجاسة وبقائها فيها السابع ان [illegible]
لم تزل في الاعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الايدي
والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي النجسة والطاهرة
كانت تتوارد عليه فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس انهم
كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله عليه السلام خلق الماء طهورا لا
ينجسه شي الا ما غير طعمه او لونه او ريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل
مائع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما
نرى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا فيحكم بطهارته بصيرورته ملحا
وزوال صفة الكلبية عنه وكذلك الخل يقع في الماء واللبن يقع فيه وهو قليل
فيبطل صفته ويصير بصفة الماء وينطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب
وتعرف غلبته بغلبة طعمه او لونه او ريحه فهذا المعيار وقد اشار الشرع
اليه في الماء القوي على ازالة النجاسة فهو جدير بان يعول عليه فيندفع به الحرج
ويظهر معنى كونه طهورا اذ يغلب غيره فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين
وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الاناء للهرة ولا تظنن ذلك
عفوا اذ لو كان كذلك لكان كاثر الاستنجا ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي
له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ العصفور في الماء القليل فاما قوله

لا يحمل

لا يحمل خبثا في نفسه مبهم لانه يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن
ان يقال اراد به انه في الغالب لا يتغير بالنجاسة المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم
فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل من الادلة التي ذكرناها ممكن وقوله
لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل اي يقلبه الى صفة نفسه كما يقال المملحة لا تحمل
كلبا ولا غيره اي يقلب وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة
ويغمسون الاواني النجسة فيها ثم يترددون في انها تغيرت تغيرا مؤثرا ام لا
فبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات فان قلت قال لا يحمل
خبثا ومهما كثرت فهذا ينقلب عليك فانه مهما كثرت حمله حكما الا
انه لا يحمله حسا ولا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا
ميلي في امر النجاسات الى المساهلة فيها الا في الاولين وحسما لمادة الوسواس
ولذلك افتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه من هذه المسائل الطرف
الثالث في كيفية الازالة والنجاسة ان كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم
محسوس فيكفي اجرا الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة
العين وبقا الطعم يدل على بقا العين وكذا بقا اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو
عنه الا اذا كان الشي له رائحة يعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متوالية
يقوم مقام الحت والقرص في اللون والمزيل للوسواس ان يعلم ان الاشيا
خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليها نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلي معها
ولا ينبغي ان يتوصل بالاستنباطات الى تقدير النجاسات القسم
الثاني طهارة الاحداث ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجا
فلنورد كيفيتها على الترتيب مع ادابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وهو قضا الحاجة
اداب قضا الحاجة ينبغي ان يبعد عن اعين الناظرين في الصحراء
وان يستتر بشي ان وجده وان لا يكشف عورته قبل الانتها الى موضع الجلوس وان
لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان

في بنا والعدول عنهما في البنا افضل وان يستتر في الصحرا براحلته وكذا بذيله
جاز وان يتقي الجلوس في متحدث الناس ولا يبول في الما الراكد وتحت الشجره المثمره
وفي الجحر وان يتقي الموضع الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه
وان يتكي في جلوسه على الرجل اليسرى فان كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى
في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قايما قالت عايشه رضي الله عنها من
حدثكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قايما فلا تصدقوه وقال عمر رضي الله عنه راني النبي
وانا ابول قايما فقال يا عمر لا تبل قايما وفيه رخصه اذ روى حذيفه رضي الله عنه
انه عليه السلام بال قايما فاتيته بوضو فتوضا ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل
قال عليه السلام عامه الوسواس منه قال ابن المبارك ان كان الما جاريا فلا باس به
ولا يستصحب شيا عليه اسم الله ورسوله ولا يدخل بيت الما حاسر الراس وان
يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الخبث المخبث الشيطان الرجيم
وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يوذيني وابقى علي ما ينفعني وان
يعد النبل قبل الجلوس وان لا يستنجي بالما في مواضع الحاجه وان يستبري
من البول بالتنحنح والنتر ثلثا وامرار اليد على اسفل القصب ولا يكثر التفكر
في الاستبرا فيتوسوس ويشق عليه الامر وما يحس به من بلل فليقدر انه بقيه الما
فان كان يوذيه ذلك فليرش الما عليه حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط
عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر ان النبي عليه السلام فعله اعني رش الما
وكان اخفهم استبرا افقههم فتدل الوسوسه على قله الفقه وفي حديث سلمان
علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شي حتى الخراه ان لا نستنجي بعظم ولا روث
ونهانا ان نستقبل القبله لغايط او بول وقال رجل لبعض الصحابه من الاعراب
وقد خاصمه لا احسبك تحسن الخراه فقال بلى وابيك اني لها لحاذق ابعد
الاثر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعا الظبي واجفل
اجفال النعام الشيح نبت طيب الرايحه بالباديه والاقعا هاهنا ان يستوفز

على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ومن الرخصه ان يبول الانسان
قريبا من صاحبه مستترا عنه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شده حيايه
ليبين للناس **آداب الاستنجا** ثم يستنجي لمقعدته
بثلثه احجار فان انقى كفى والا استعمل رابعا فان انقى استعمل خامسا لان الايتار
مستحب قال النبي عليه السلام من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره ويضعها على
مقدم المقعده قبل موضع النجاسه ويمرها بالمسح والاداره الى المؤخر ويأخذ
الثانيه ويضعها على المؤخر كذلك ويمرها الى المقدمه ويأخذ الثالثه ويديرها
حول المسربه اداره وان عسرت الاداره ومسح من المقدمه والمؤخره اجزاه
ثم ياخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك
اليسار فيمسح ثلثا في ثلثه مواضع او في ثلثه احجار او في ثلثه مواضع من
جدار الى ان لا يرى الرطوبه في محل المسح فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثه
ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعه استحب الخامسه
ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع اخر ويستنجي بالما بان يفيضه باليمنى
على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك
الاستقصا فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم ان
كل ما لا يصل اليه الما فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسه للفضلات الباطنه حتى
تبرز وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسه فحد طهوره ان يصل الما اليه ويزيله
فلا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجا اللهم طهر قلبي من النفاق
وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحايط او بالارض ازاله للرايحه
ان بقيت والجمع بين الما والحجر مستحب يروى انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال
يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا ما هذه
الطهاره التي اثنى الله تعالى عليكم بها قالوا انا نجمع بين الما والحجر
كيفيه الوضو اذا فرغ من الاستنجا اشتغل بالوضو فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم

قطخارجا من الغايط الا توضا وسعى بالسواك فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان افواهكم
طرق القران فطيبوها بالسواك وينبغي ان ينوي عند السواك تطهير فيه لقراة
الفاتحة وذكر الله في الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم صلاة على اثر السواك افضل من خمس
وسبعين صلاة بغير سواك وقال عليه السلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك
عند كل صلاة وقال ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان
وكان صلى الله عليه وسلم يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ما زال يامرنا
بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شي وقال عليكم بالسواك فانه مطهرة
للفم مرضاة للرب وقال علي رضي الله عنه السواك يزيد في الحفظ ويذهب
البلغم وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على اذانهم وكيفيته
ان يستاك بخشب الاراك وغيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح
ويستاك عرضا وطولا فان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة
وعند كل وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم او طول الازم
او اكل ما يكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء ويقول بسم الله
الرحمن الرحيم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى اي لا وضوء
كاملا ويقول عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان
يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الانا ويقول اللهم اني اسالك
اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث او استباحة الصلاة
ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجزه ثم ياخذ
غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلثا ويغرغر بان يرد الما الى الغلصمة الا ان يكون
صايما فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم ياخذ غرفة
لانفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الما بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيه
ويقول في الاستنشاق اللهم ارحني رايحة الجنة وانت عني راض وفي الاستنثار
اللهم اني اعوذ بك من روايح النار وسو الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار

ازالة

ازالة ثم يغترف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدا تسطيح الجبهة الى منتهى ما يقبل
من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في الوجه النزعتان
على طرفي الجبينين فهما من الراس ويوصل الما الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد
النسا تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف
الخيط على راس الاذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الما الى منابت
الشعور الاربعة الحاجبين والشاربين والاهداب والعذارين لانها خفيفة في
الغالب والعذاران هما ما يوازي الاذنين من مبتدا اللحية ويجب ايصال الما
الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا وحكم العنفقة
حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا ويفيض الما على ظاهر ما استرسل
من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل
وينقيهما فقد روي انه عليه السلم فعل ذلك ويامل عند ذلك خروج الخطايا من
عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه
اوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك ويخلل
اللحية عند غسل الوجه فهو مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلثا ويحرك الخاتم
ويطيل الغرة ويرفع الما الى اعالي العضد فانهم يحشرون يوم القيامة غرا
محجلين من اثار الوضو كذلك ورد الخبر قال عليه السلم من استطاع ان يطيل غرته
فليفعل وروي ان الحلية تبلغ مبلغ الوضو ويبدا باليمين ويقول اللهم اعطني
كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني
اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري ثم يستوعب راسه بالمسح
بان يبل يديه ويلصق رووس اصابع اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الراس
ويمدهما الى القفا ويردهما الى المقدمة فهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول
اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا
ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بما جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخي

اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذن استظهارا ويكرره ثلثا
ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي
الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله عليه السلم مسح الرقبة امان من الغل ويقول
اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى
ثلثا ويخلل باليد اليسرى من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدا بالخنصر من اليسرى
ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل
اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام في النار ويرفع
الما الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع راسه الى السما وقال اشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت
عملت سوا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب
الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين
واجعلني عبدا صبورا شكورا واجعلني اذكرك ذكرا كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال
هذا بعد الوضو ختم على وضوءه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله
تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة ويكره في الوضو ان يزيد
على الثلث وان يسرف في الما توضا النبي عليه السلم ثلثا وقال من زاد فقد ظلم واسا
وقال ايضا سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعا والطهور ويقال
من علم الرجل ولوعه في الطهور بالما وقال ابرهيم بن ادهم اول ما يبتدا الوسواس
من قبل الطهور وقال الحسن ان شيطانا يضحك بالناس في الوضو يقال له الولهان
ويكره ان ينفض اليد فيرش الما وان يتكلم في اثنا وضوءه وان يلطم وجهه بالما لطما
وكره قوم التنشيف وقالوا الوضو يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري لكن روي معاذ
انه عليه السلم مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عايشة رضي الله عنها انه كان له منشفة
ولكن طعن في الرواة عن عايشة ويكره ان يتوضا من انا صفر وان يتوضا بالمشمس
وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وابي هريرة كراهة انا الصفر

قال بعضهم

قال بعضهم اخرجت لشعبة ما في انا صفر فابى ان يتوضا ونقل كراهة ذلك عن ابن عمر
رضي الله عنهما ومهما فرغ من وضوءه واقبل على الصلاة ينبغي ان يخطر بباله ان طهر ظاهره
وهو موضع نظر الخلق فينبغي ان يستحيي من مناجاة الله من غير تطهير قلبه
وهو موقع نظر الرب وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق
الذميمة اولى وان من اقتصر على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه
مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما اجدره
بالتعرض للبوار فضيلة الوضو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من توضا فاسبغ الوضو وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشي من الدنيا خرج من
ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ اخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه
وقال ايضا الا انبيكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات اسباغ الوضو في
المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط
وتوضا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مرة فقال هذا وضو لا يقبل الله الصلاة الا به
وتوضا مرتين مرتين وقال من توضا مرتين اتاه الله اجره مرتين وتوضا ثلثا ثلثا
وقال هذا وضوي ووضو الانبيا من قبلي ووضو خليلي ابرهيم عليه السلم وقال
صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوءه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر
منه الا ما اصاب الما وقال من توضا على طهر كتب الله له به عشر حسنات
وقال الوضو على الوضو نور على نور وهذا حث على تجديد الوضو وقال اذا توضا
العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا
من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من اشفار
عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من اظفار يديه
فاذا مسح براسه خرجت الخطايا من راسه حتى تخرج من اذنيه فاذا غسل
رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه
الى المسجد وصلاته نافلة له ويروى ان الطاهر كالصائم وقال النبي صلى الله عليه وسلم

من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء
وقال عمر رضي الله عنه إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع
أن لا يبيت إلا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت
عليه.

كيفية الغسل

وهي أن يضع الإناء عن يمينه ثم يسمي الله
تعالى ويغسل يده ثلاثا ثم يستنجي كما ذكرناه ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت ثم يتوضأ
وضوءه للصلاة كما سبق إلا غسل القدمين فإنه يؤخرهما فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض
كان إضاعة للماء ثم يصب الماء على شقه الأيمن ثلاثا ثم على شقه الأيسر ثلاثا ثم على
رأسه ثلاثا ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ويخلل شعر الرأس ويوصل الماء إلى
منابتها ما كثف منه أو خف وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا
يصل إلى خلال الشعر ويتعهد معاطف البدن وليتق أن يمس ذكره في أثناء ذلك فإن
فعل فليعد الوضوء وإن توضأ قبل الغسل فلا يعيده إن توضأ بعد الغسل فهذه سنة
الوضوء والغسل ذكرنا منهما ما لا بد لسالك الآخرة من علمه وعمله وما عداه من
المسائل يحتاج إليها في عوارض الأحوال فيرجع فيها إلى كتب الفقه والواجب
من جملة ما ذكرناه في الغسل أمران النية واستيعاب البدن بالغسل وفي الوضوء
النية وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من
الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب أما الموالاة فليست بواجبة والغسل
الواجب أربعة الغسل لخروج المني ولالتقاء الختانين والحيض والنفاس وما
عداه من الأغسال سنة كغسل الجمعة والعيدين والإحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة
ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر إذا
أسلم غير جنب والمجنون إذا أفاق ومن غسل ميتا فكل ذلك مستحب.

كيفية التيمم

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو لمانع
له من الوصول إليه من سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أو

أو لعطش

لعطش رفيقه أو كان ملكا لغيره ولم يبع منه إلا بأكثر من ثمن مثله أو كان به جراحة
أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنى فينبغي أن يصبر حتى
يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر لين يتحرك منه
غبار فيضرب عليه كفيه ضاما بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة
وينوي عنده استباحة الصلاة ولا يتكلف إيصال الغبار إلى ما تحت الشعور
خف أو كثف ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة
الواحدة فإن عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب
الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين أصابعه ثم يلصق
ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لا تجاوز أطراف
الأنامل من إحدى اليدين عرض المسبحة من الأخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث
وضعها على ظاهر ساعده اليمنى إلى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على
باطن ساعده اليمنى ويمرها إلى الكوع ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظهر إبهامه
اليمنى ويفعل باليد اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه والغرض من هذا
التكلف تحصيل الاستيعاب إلى المرفقين بضربة واحدة فإن عسر عليه ذلك فلا
بأس أن يستوعب بضربتين وزيادة فإذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء
وإن جمع بين فرضين فينبغي أن يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة
بتيمم والله أعلم.

القسم الثالث في النظافة

التنظيف عن
الفضلات الظاهرة وهي نوعان أوساخ وأجزاء. النوع الأول الأوساخ
والرطوبات المترشحة وهي ثمانية الأول ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن
والقمل والتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والدهن إزالة للشعث وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويأمر به ويقول ادهنوا غبا
وقال من كانت له شعرة فليكرمها أي ليصنها عن الأوساخ ودخل عليه رجل ثائر
الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه

سطان الـــــــثاني ما يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر
منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان
كثرة ذلك ربما يضر بالسمع الثالث ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات
المنعقدة الملتصقة بجوانبها ويزيلها الاستنشاق والاستنثار الــرابع ما
يجتمع على الاسنان واطراف اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة وقد
ذكرناهما الخــامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب
ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور انه صلى الله عليه وسلم كان لا يفارقه
المشط والمدرى في سفر ولا حضر وهي سنة العرب وفي حديث غريب انه كان يسرح
لحيته في اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية وكذلك كان ابو بكر رضي الله عنه وكان عثمان رضي الله عنه
طويل اللحية رقيقها وكان علي رضي الله عنه عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وفي حديث
اغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج
اليهم فرايته يطلع في الحب يسوي من راسه ولحيته فقلت اوتفعل ذلك يا رسول الله
قال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل ربما يظن
ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على اخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين
وهيهات فقد كان صلى الله عليه وسلم مامورا بالدعوة وكان من وظايفه ان يسعى في
تعظيم امر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته في اعينهم كيلا
تستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا القصد
واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله تعالى وهو ان يراعي من ظاهره ما لا يوجب
نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الامور على النية فانها اعمال في انفسها تكتسب
الاوصاف من القصود والتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية
اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب وهذه
احوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس عليه غير رائج بحال وكم
من جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو ملبس على نفسه وعلى غيره

ويزعم

ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون
ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله تعالى به وهذا امر ينكشف
يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند ذلك تتميز السبيكة
الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر الســادس
وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تغسل اليد عقيب الطعام فيجتمع
في تلك الغضون وسخ فامرهم صلى الله عليه بغسل البراجم الســابع تنظيف الرواجب
امر صلى الله عليه وسلم العرب وهي رؤوس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ
لانها كانت لا تحضرها المقراض في كل وقت فتجتمع فيها الاوساخ فوقت لهم قلم
الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما لكنه امر بتنظيف ما تحت الاظفار
وجاء في الاثر ان النبي صلى الله عليه وسلم استبطا الوحي فلما هبط عليه جبريل قال له
كيف انزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم قلحا لا تستاكون مر
امتك بذلك والاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله تعالى فلا تقل لهما اف
اي لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتاذ بهما كما تتاذى بما تحت الظفر
الثـامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك
يزيله الحمام ولا باس بدخول الحمام دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال
بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك عن ابي الدردا
وابي ايوب الانصاري وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحيا فهذا
تعرض لافته وذاك لفائدته ولا باس بطلب فائدته عند الاحتراز من افته ولكن على
داخل الحمام وظايف من السنن والواجبات فعليه واجبان في عورته وواجبان في
عورة غيره اما الواجبان في عورته فهو ان يصونها عن نظر الغير ويصونها عن
مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ
وما بين السرة الى العانة وفي اباحة مس ما ليس بسواة لازالة الوسخ احتمال ولكن
الاقيس التحريم اذ الحق مس السوءتين بالنظر في التحريم فكذلك ينبغي ان تكون بقية العورة

والواجب في عورة الغير ان تغض بصر نفسه عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر حراما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام اخر فاما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر ولا يخلو قلب عن التاثر بسماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك يوثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه ولا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات اذ لا تخلوا عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ الناس لا يعدونها عورة وقد الحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا استحب تخلية الحمام بالسر الحرث ما اعرف رجلا لا يستمال الا دينه ما دفعه لحلي له الحمام ورأى ابن عمر في الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه واما السنن فعشرة الاول النية وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا لاجل هوى بل يقصد التنظف المحبوب تزينا للصلاة ثم يعطي الاجرة الحمامي قبل الدخول فان تسليم الاجرة رفع للجهالة من احد العوضين وتطيب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام وان لم يكن في الحمام الا اهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر الى الابدان المكشوفة فيه شائبة من قلة الحيا وهو مذكر للتامل في العورات ثم لا يخلو الناس في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في اطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ومن اجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل جناحيه عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في البيت الاول وان لا يكثر صب الما بل يقتصر على قدر الحاجة فانه الماذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لا سيما الما الحار فله مؤنة وفيه تعب وان يتذكر حر النار

بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيس الى جهنم فانه اشبه شيء بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله منه بل العاقل لا يغفل عن ذكر الاخرة لحظة فانها مصيره ومستقره ويكون له في كل ما يراه من ما او نار او غيرها عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبنا وحائك دارا معمورة فاذا تفقدتهم رايت البزاز ينظر الى الفرش يتامل قيمتها والحائك ينظر الى الثياب يتامل صنعتها والنجار ينظر الى السقف يتامل كيفية تركيبه والبنا الى الحيطان يتامل كيفية احكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الاخرة لا يرى شيئا من الاشيا الا ويكون له موعظة من الاخرة بل لا ينظر الى شيء الا ويفتح الله له طريق عبرة فان نظر الى سواد يذكر ظلمة اللحد وان نظر الى حية يذكر افاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة يذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا يذكر نفخ الصور وان راى شيئا حسنا يذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة ردا وقبولا في سوق او دار يذكر ما سينكشف له من امر اخرته بعد الحساب من الرد والقبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الاخرة استحقرها ان لم يكن ممن اغفل قلبه واعميت بصيرته ومن السنن ان لا يسلم عند الدخول فان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان احب قال عافاك الله ولا باس بالمصافحة ويبتدي السلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرا القران الا سرا ولا باس بالاستعاذة من الشيطان ويكره الدخول في الحمام بين العشائين وقريبا من المغرب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا باس بان يدلكه غيره فقد نقل عن يوسف بن اسباط انه اوصى ان يغسله رجل لم يكن من اصحابه وقال انه دلكني في الحمام مرة فاردت ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله تعالى على هذه

آداب دخول الحمام

عبرة عاقل وتفاوت همم الطوائف

المنعم فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسأل عنه وقال بعضهم الحمام من
النعيم الذي احدثوه هذا من جهة الشرع اما من جهة الطب فقد قيل الحناء
بعد النورة امان من الجذام وقيل ان النورة في كل شهر مرة تطفي المرار وتنقي
اللون وتزيد في الجماع وقيل بوله في الحمام قائما في الشتاء انفع من شربة دواء
وقيل نومه في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد
الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الراس عند
الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال اما حكم النساء فقد قال عليه السلام لا
يحل للرجل ان يدخل حليلته الحمام وفي النساء نسخ والمشهور حرام على الرجل
دخول الحمام الا بميزر وحرام على المراة دخول الحمام الا نفساء او مريضة
ودخلت عايشة رضي الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل
الا بميزر سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه

النوع الثاني مما يحدث من الاول

شعر الراس ولا باس بحلقه لمن اراد التنظف ولا بتركه لمن يدهن ويرجله الا
اذا تركه قزعا قطعا فهي داب اهل السطارة وارسال الذوائب على هيئة اهل
الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا
الثاني شعر الشارب وقد قال عليه السلام قصوا الشارب وفي لفظ اخر
جزوا الشوارب وفي لفظ اخر حفوا الشوارب واعفوا اللحى اي اجعلوها
حفا الشفة اي حولها وحفاف الشي حوله ومنه قوله تعالى وترى الملايكة
حافين من حول العرش وفي لفظ اخر احفوا وهذا يشعر بالاستيصال
وقوله حفوا يدل على ما دون ذلك قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اي
يستقصي عليكم واما الحلق فلم يرد والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة
ونظر بعض التابعين الى رجل احفى شاربه فقال ذكرتني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال المغيرة بن شعبة نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربي فقال

فقص

فقصه لي على سواك ولا باس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر
وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وقوله اعفوا
اللحى اي كثروها وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم
وكره بعض العلماء الحلق وراه بدعة الثالث شعر الابط ويستحب نتفه
في كل اربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود في الابتداء نتفه فاما من تعود
الحلق يكفيه الحلق اذ في النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا يجتمع
الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق الرابع شعر العانة ويستحب ذلك
اما بالحلق او بالنورة ولا ينبغي ان يتاخر عن اربعين يوما الخامس الاظفار
وقلمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال عليه السلام
يا ابا هريرة اقلم اظفارك فان الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر
وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء اما لانه لا يمنع وصول الماء او لانه يتساهل فيه
للحاجة لا سيما في اظفار الرجل وفي الاوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الرجل
والايدي للعرب واهل السواد وكان عليه السلام يامرهم بالقلم ويلوم ما تحت اظفارهم من
الاوساخ ولم يامرهم باعادة الصلاة ولو امرهم لكان فيه فايدة اخرى وهي
التغليظ والزجر عن ذلك ولم ار في الاخبار امرا مرويا في ترتيب تقليم الاظفار
ولكن سمعت انه بدا عليه السلام بمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدا في
اليسرى بالخنصر الى الابهام وفي اليمنى من المسبحة الى الخنصر وختم بابهام اليمنى
ولما تاملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على ان الرواية صحيحة اذ مثل هذا
المعنى لا ينكشف ابتداء الا بنور النبوة واما العالم المستنبط فغايته ان يستنبط
من الفعل بعد نقل الفعل اليه والذي لاح لي فيه والعلم عند الله لا بد من قلم اظفار
اليد والرجل واليد اشرف من الرجل فيبدا بها واليمنى اشرف من اليسرى فيبدا بها
ثم على اليمنى خمسة اصابع والمسبحة اشرفها اذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة
الاصابع ثم بعدها ينبغي ان يبدا بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور

وغيره على اليمين فان وضعت ظهر اليد على الارض فالابهام من اليمنى وان وضعت
الكف فالوسطى من اليمنى واليد اذا اردت بطبعها كان الكف مائلا الى جهة الارض اذ
جهة حركة اليمنى الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل ظهر الكف على الارض فانما
يقتضيه الطبع اولى ثم اذا وضعت الكف على الارض صارت الاصابع في حكم حلقة
دايرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب من يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فيقع الابتداء
بخنصر اليسرى والختم بابهامها وبقي ابهام اليمنى وانما قدرت الكف موضوعا على الارض
حتى تصير الاصابع كالشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها ولو فرض ذلك اولى من تقدير وضع
الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع واما اصابع الرجل فالاولى
عندي ان لم يثبت فيها نقل ان يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فان
المعاني التي ذكرناها لا تتجه هاهنا اذ لا مسبحة في الرجل وهذه الاصابع
حكم صف واحد ثابت على الارض فيبدأ من جانب اليمين فان تقدير هاحلقة
بوضع الاخمص على الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب
تنكشف بنور النبوة في لحظة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء ربما لم
يخطر واذا ذكرنا لنا فعله عليه السلام وترتيبه ربما يتيسر لنا ما عاينه صلى الله عليه وسلم
بشهادة الحكم وتسمية على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن ان افعاله عليه السلام في
جميع حركاته كانت خارجة عن وزن قانون وترتيب بل جميع الامور الاختيارية
التي يرددها الفاعل بين قسمين او اقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق
بل بمعنى يقتضي الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهايم
وضبط الحركات بموازين المعاني سجية اولياء الله وكلما كانت حركات الانسان وخطراته
الى الضبط اقرب ومن الاهمال سدى ابعد كانت رتبته في الدرجة الاولياء والانبياء اكثر
وكان قربه من الله اظهر اذ الاقرب من النبي وهو قريب من الله لا بد ان يكون قريبا من الله
اذ القريب من القريب قريب بالاضافة الى غيره ونعوذ بالله ان يكون زمام حركاتنا
وسكناتنا في ناصية الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات

بالكحال

بالكحال عليه السلام فانه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين ابتدأ
باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا على الزوج فان
الله وتر يحب الوتر ولا ينبغي ان يخلو العبد عن مناسبة لوصف من اوصاف الله
تعالى ولذلك استحب الايتار في الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلث وهي وتر
لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب ان الواحدة لا يستوعب اصول الاجفان
بالكحل وانما خص اليمين لان التفضيل لا بد منه في الايتار واليمين افضل فهو بالزيادة
احق وان قلت اقتصر على اثنين لليسرى وهو زوج فان الضرورة اذ لو جعل
لكل واحدة وترا لكان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار في مجموع
الفعل وهو في حكم الخصلة الواحدة احب من رعايته في الاحاد ولذلك ايضا وجه
وهو ان يكتحل في كل واحدة ثلثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك
ولو ذهبت استقصي ما راعاه النبي صلى الله عليه في حركاته لطال الامر فقس بما
سمعته ما لم تسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبي الا اذا اطلع على جميع
معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي الا درجة وهي درجة النبوة وهي الدرجة
الفارقة بين الوارث والموروث اذ الموروث هو الذي حصل المال له واشتغل بتحصيله
واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه
بعد حصوله له فامثال هذه المعاني مع سهولة امرها بالاضافة الى الاغوار والاسرار
لا يستقل بدركها ابتداء الا الانبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الانبياء
الا العلماء الذين هم ورثة الانبياء السادسة والسابعة زيادة السرة
وقلفة الحشفة اما السرة فتقطع في اول الولادة واما التطهير بالختان فعادة اليهود
اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير الى ان يثغر الولد احب وابعد عن الخطر
قال عليه السلام الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء وينبغي ان لا يبالغ في خفض المرأة
قال عليه السلام لام عطية اشمي ولا تنهكي فانه اسرى للوجه واحظى عند الزوج اي اكثر لماء
الوجه ودمه واحسن عند جماعها فانظر الى جزالة لفظه في الكناية والى اشراق نور النبوة

من مصالح الاخره التي هي اهم مقاصد النبوه الى مصالح الدنيا حتى انكشف له بعون الله من
هذا الامر النازل قدره ما لو وقعت الغفله عنه خيف ضرره فسبحان من ارسله رحمه
للعالمين ليجمع لهم بين مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم وعلى اله اجمعين ومن السنن
والبدع ما طال من اللحيه وانما اخرناها لنلحق بها ما في اللحيه من السنن والبدع اذ
هذا اقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل ان قبض الرجل
على لحيته واخذ ما تحت القبضه فلا باس فقد فعله ابن عمر وجماعه من التابعين
واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتاده وقالوا تركها عافيه احب
لقوله عليه السلام اعفوا اللحى والامر في هذا قريب اذا لم ينته الى تقصيص اللحيه
وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه الخلقه ويطلق السنه
المغتابين بالنسبه اليه فلا باس بالاحتراز عنه على هذه النسبه وقال النخعي عجبت
لرجل عاقل طويل اللحيه كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط
في كل شي حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحيه تشمر العقل فصل وفي
اللحيه عشر خصال مكروهه وبعضها اشد من بعض وهو خضابها بالسواد
وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزياده
فيها وتسريحها تصنعا لاجل الريا وتركها شعثه اظهارا للزهد والنظر الى سوادها
عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمره والصفره من غير
نيه تشبها بالصالحين اما الاول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم
خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه
بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو
خضاب اهل النار وفي لفظ اخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على
عهد عمر وكان خضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعته المراه الى عمر فرد
نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال
اول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون في اخر

الزمان

الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رايحه الجنه الثاني
الخضاب بالصفره والحمره وهو جايز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان
لم يكن على هذه النيه بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم وقال صلى الله عليه وسلم الصفره
خضاب المسلمين والحمره خضاب المومنين وكانوا يخضبون بالحنا للحمره وبالخلوق والكتم
للصفره وخضب بعض العلما بالسواد لاجل الغزو وذلك لا باس به اذا صحت
النيه ولم يكن فيه هوى وشهوه الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار
علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهاده والتصديق بالروايه عن الشيوخ
وترفعا عن الشباب واظهارا لكثره العلم ظنا ان كثره الايام تعطيه فضلا وهيهات
فلا يزيد كبر السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمره العقل وهو غريزه لا يوثر الشيب
فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المده يوكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون
الشباب بالعلم كان عمر رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على اكابر الصحابه
ويساله دونهم وقال ابن عباس ما اتى الله عبدا علما الا شابا والخير كله في الشباب
ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقوله انهم فتيه امنوا بربهم
وقوله تعالى واتيناه الحكم صبيا وكان انس يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
في راسه ولحيته عشرون شعره بيضا فقيل له يا ابا حمزه وقد اسن قال لم يشنه الله تعالى
بالشيب فقيل او شين هو فقال كلكم يكرهه ويقال ان يحيى بن اكثم ولي القضا وهو
ابن احدى وعشرين سنه فقال له رجل في مجلسه يريد ان يخجله بصغر سنه كم سن القاضي
ايده الله فقال مثل سن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكه وقضاها
فافحمه وروي عن مالك انه قال قرات في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس
له لحيه وقال ابو عمرو بن العلا اذا رايت طويل القامه صغير الهامه عريض اللحيه
فاقض عليه بالحمق ولو كان اميه بن عبد شمس وقال ايوب السختياني ادركت
الشيخ ابن ثمانين سنه يتبع الغلام يتعلم منه وقال علي بن الحسين من سبق الى العلم قبلك
فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك وقيل لابي عمرو بن العلا احسن من الشيخ

ان يعلم من الصبي الصغير قال ان كان الجهل قبيح منه فالعلم احسن منه وقال يحيى بن معين
لاحمد بن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي يا ابا عبد الله تركت حديث سفيان وتمشي
خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال احمد لو عرفت لكنت تمشي في الجانب الآخر
ان علم سفيان ان فاتني بعلو ادركته بنزول وان هذا الشاب ان فاتني لم ادركه
بعلو ولا بنزول الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيب وقد نهى عليه السلام
عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية
ما سبق والشيب نور الله والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس نتفها او نتف
بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة
وهما جانبا العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فرد شهادته ورد عمر بن
الخطاب وابن ابي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته واما نتفها في اول النبات تشبها
بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال ولله ملائكة يقسمون والذي زين
بني آدم باللحى وهي من تمام الخلق وبها يتميز الرجال من النساء وقيل في غريب
التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قال اصحاب الاحنف لحيته
نعتبر ان الفا وقال شريح القاضي وددت لي لحية بعشرة الاف وكيف تكره اللحية
وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس واقبال
الوجوه اليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض باللحية اذا كان
للمشتوم لحية وقيل ان اهل الجنة مرد الا هارون اخي موسى عليهما السلم فان له لحية
الى سرته تخصيصا له وتفضيلا السادس تقصيرها كالعمامة طاقة على طاقة
للتزين للنساء والتصنع وقال كعب يكون في آخر الزمان اقوام يقصون لحاهم كذنب الحمام
ويعرقبون نعالهم كالمناجل اولئك لا خلاق لهم السابع الزيادة فيها وهو ان
يزيد في شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى او ينتهي
الى نصف الخد وذلك يباين هيئة الصلاح الثامن تسريحها لاجل الناس قال بشر في اللحية
شركان تسريحها لاجل الناس وتركها متشعثة لاظهار الزهد التاسع والعاشر

النظر

النظر الى سوادها او بياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع اجزاء البدن بل
في جميع الاخلاق والافعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع
التزين والنظافة وقد حصل في ملة احاديث من سنن الجسد اثنا عشر خمس منها
في الرأس فرق شعر الرأس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشوارب
وثلاثة في اليد والرجل وهو القلم وغسل البراجم وتنظيف الرواجب واربعة
في الجسد وهي نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت
الاخبار بمجموع ذلك وان كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة
دون الباطنة فلنقتصر على هذا ولنتحقق ان فضلات الباطن واوساخها التي
يجب التنظف منها اكثر من ان تحصى وسيأتي تفصيلها في ربع المهلكات مع
تعريف الطرق في ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله تعالى وهو الموفق للصواب

تم كتاب اسرار الطهارة بعون الله ومنه
ولطفه وكرمه

كتاب أسرار الصلاة

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظائفه الذي تنزل
عن عرش الجلال الى السماء الدنيا من درجات الرحمة من احدى عواطفه وفارق
الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال هل من
داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع
الحجاب فرخص للعباد في المناجاة في الصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الخلوات والجماعات
ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح
بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما اعظم شأنه واقوى سلطانه
واتم لطفه واعم احسانه والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله

واصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما   اما بعد فان الصلاة
عماد الدين وعصام اليقين وسيد القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في
الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين جمام العناية
الى تفاريعها النادرة ووقايعها الشاذة لتكون خزانة المفتي منها اقتباسه ومعوله
اليها مفزعه ومرجعه ونحن الان في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من
اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون من دقايق معانيها الخفية في
معاني الخشوع والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكرها في الفقه ومرتبون الكتاب
على سبعة ابواب

الباب الاول في فضايل الصلوات
الباب الثاني في تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلاة
الباب الثالث في تفصيل الاعمال الباطنة منها
الباب الرابع في الامامة والقدوة
الباب الخامس في صلاة الجمعة وادابها
الباب السادس في مسايل متفرقة تعم البلوى بها
الباب السابع في ذكر التطوعات

الباب الاول

في فضايل الصلوات والسجود والجماعة والاذان وغيرها

فضيلة الاذان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يوم القيامة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم حساب
ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القران ابتغاء وجه الله وام بقوم وهم
به راضون ورجل اذن في مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلي
بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الاخرة وقال عليه السلم لا يسمع صوت
المؤذن جن ولا انس ولا شي الا شهد له يوم القيامة وقال عليه السلم يد الرحمن على راس
المؤذن حتى يفرغ من اذانه وقيل في قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
نزلت في المؤذنين وقال عليه السلم اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن
وذلك محبوب الا في الحيعلتين فانه يقول في جوابهما لا حول ولا قوة الا بالله وفي
قوله قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها ما دامت السموات والارض وفي
التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة

والصلاة

والصلاة القايمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي وعدته وقال
سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فاذا اذن
واقام صلى وراءه امثال الجبال من الملايكة

فضيلة المكتوبة

قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس
صلوات كتبهن الله عز وجل على عباده فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيا استخفافا
بحقهن كان له عهد عند الله تعالى ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله
عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس
كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه
قالوا لا قال فان الصلوات الخمس تذهب بالذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال ايضا
ان الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكباير وقال بيننا وبين المنافقين شهود
العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبا الله
بشي من حسناته وقال الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين وسيل
اي الاعمال افضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال من حافظ على الخمس باكمال طهورها
ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون
وهامان وقال مفتاح الجنة الصلاة وقال ما افترض الله على خلقه بعد
التوحيد احب اليه من الصلاة ولو كان شي احب اليه منه لتعبد به ملايكته فمنهم
راكع وساجد وقايم وقاعد وقال من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر اي قارب
ان ينخلع من الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلد انه
بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد بري من ذمة محمد
وقال ابو هريرة من توضا فاحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلاة فانه في صلاة ما
كان يعمد الى الصلاة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى سيئة
فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسع فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم يا ابا هريرة
قال من اجل كثرة الخطا ويروى ان اول ما ينظر فيه يوم القيامة من عمل العبد

الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله
وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة مر اهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا
تحتسب وقال بعض العلماء مثل المصلي كمثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له
راس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يودي الفريضة وكان ابو بكر يقول اذا
حضرت الصلاة قوموا الى ناركم التي اوقدتموها فاطفئوها **فضيلة
اتمام الاركان** قال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات المكتوبة كمثل الميزان من اوفى
استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كانها
موزونة وقال عليه السلام ان الرجلين من امتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما
واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض واشار الى الخشوع وقال عليه السلام
لا ينظر الله الى العبد يوم القيامة لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال عليه السلام
اما يخشى الذي يحول وجهه في الصلاة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقال ايضا
من صلى الصلاة لوقتها واسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت
وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ
وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة
تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق
فيضرب بها وجهه وقال عليه السلام اسوأ الناس سرقة من يسرق من صلاته وقال ابن مسعود
وسلمان الصلاة مكيال فمن اوفى وفي له ومن طفف فقد علم ما قال الله تعالى
ويل للمطففين **فضيلة الجماعة** قال صلى الله عليه وسلم
صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وقال عثمان رضي الله عنه من شهد
العشاء فكانما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وروى ابو هريرة
انه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصلوات فقال لقد هممت ان آمر رجلا يصلي
بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فامر بهم ليحرقوا عليهم بحزم الحطب
بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلاة العشاء وقال عليه السلام

من صلى

من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن
مؤذن منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا
الا ثلاثة اخا ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة
في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها وروي ان ابا عبيدة بن الجراح ام
قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي آنفا حتى رأيت ان لي فضلا على
غيري لا اؤم ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء
وقال النخعي مثل الذي يؤم الناس بغير علم كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته
من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتني جماعة فعزاني ابو اسحق البخاري وحده
ولو مات لي ولد لعزاني اكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس
من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع المنادي ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به
وقال ابو هريرة لان يملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء ثم لا يجيبه
وروي ان ميمون بن مهران اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله
لفضل هذه الصلاة احب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى اربعين يوما
الصلوات في جماعة لا تفوته منها تكبيرة الاحرام كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من
النفاق وقال اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول
لهم الملائكة ما اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا
يشغلنا غيرها ثم يحشر طائفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ
قبل الوقت ثم يحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون بعد السؤال كنا نسمع الاذان
في المسجد وروي ان السلف كانوا يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى
ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة **فضيلة السجود**
قال عليه السلام ما تقرب العبد الى الله بشيء افضل من سجود خفي وقال ما من مسلم يسجد
لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ادع الله ان يرزقني مرافقتك في الجنة قال اعني بكثرة السجود وقيل ان اقرب ما يكون

العبد الى الله تعالى ان يكون ساجدا وهو معنى قوله تعالى واسجد واقترب وقال تعالى
سيماهم في وجوههم من اثر السجود وقيل هو ما يلصق بوجوههم من الارض عند السجود
وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح وقيل هي الغرر
التي في وجوههم يوم القيامة من اثر الوضو وقال عليه السلام اذا قرا ابن ادم السجدة
فسجد اعتزل الشيطان يبكي وقال يا ويلاه امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فعصيت فلي النار وروي عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم
الف سجدة وكانوا يسمونه السجاد ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد الا على
التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشباب بادروا الى الصحة قبل
المرض فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال
سعيد بن جبير ما اسى على شي من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد
احب الى الله من رجل يحب لقا الله وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله من حيث
يخر ساجدا وقال ابو هريرة اقرب ما يكون العبد الى الله اذا سجد فاكثروا الدعا
عند ذلك

فضيلة الخشوع

قال الله تعالى اقم الصلاة لذكري
وقال ولا تكن من الغافلين وقال لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما
تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب ان المراد به ظاهره
ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم
من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي عليه السلام
من صلى ركعتين ولم يحدث فيهما بشي من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وهو منقول في
الصحيح وقال عليه السلام انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتباوس وتنادم وتضع
يديك وتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروي ان الله تبارك وتعالى قال
في الكتب السالفة ليس كل مصل اتقبل صلاته انما اتقبل صلاة من تواضع لعظمتي
ولم يتكبر علي واطعم الفقير الجايع لوجهي وقال صلى الله عليه وسلم انما فرضت
الصلاة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن

في قلبك

في قلبك المذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك
وقال صلى الله عليه وسلم صل صلاة مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره
سايرا الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
وقال واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال عليه السلام من لم تنهه صلاته عن الفحشا
لم يزدد من الله الا بعدا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة قال بكر بن
عبد الله يا ابن ادم اذا شيت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت قالوا وكيف
ذاك قال تسبغ وضوك وتدخل محرابك فاذا انت دخلت على مولاك بغير
اذن تكلمت بغير ترجمان وعن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا
بعظمة الله وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه
مع بدنه وكان ابراهيم الخليل اذا صلى يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان
سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ويروى
ان الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال بيس
الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث وقيل لخلف بن ايوب الا يوذيك
الذباب في الصلاة فتطردها فقال لا اعود نفسي شيا يفسد علي صلاتي قيل وكيف
تصبر على ذلك قال بلغني ان الفساق يصبرون تحت اسواط السلطان ليقال
فلان صبور ويفتخرون بذلك وانا قايم بين يدي ربي افاتحرك لذبابة
ويروى عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلاة قال لاهله تحدثوا انتم فاني
لست اسمعكم ويروى عنه انه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية
من المسجد واجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان علي بن
ابي طالب رضي الله عنه اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير المومنين
فيقول جا وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها

واستفق منها ويروى عن علي بن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا
الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم ويروى عن ابن عباس
انه قال قال داود عليه السلام الهي من يسكن بيتك وممن تقبل الصلاة فاوحى الله اليه يا داود
انما يسكن بيتي واتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه
عن الشهوات من اجلي يطعم الجايع ويؤوي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضي
نوره في السموات كالشمس ان دعاني لبيته وان سالني اعطيته احعل له في الجهل
حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في الجنان
لا ييبس انهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الاصم انه سيل عن صلاته قال
اذا حانت الصلاة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلاة فيه فاقعد فيه
حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الى صلاتي فاجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت
قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت وراي واظنها اخر صلواتي
ثم اقوم بين الرجا والخوف واكبر تكبيرا بتحقيق واقرا قراءة بترسل واركع ركوعا
بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك اليسرى وافرش ظهر قدمها
وانصب القدم اليمنى على الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام
لا وقال ابن عباس رضي الله عنه ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب
ساه

فضيلة المسجد وموضع الصلاة قال الله تعالى
انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر الاية وقال عليه السلام من بنى لله مسجدا
ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال من الف المسجد الفه
الله تعالى وقال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال لا
صلاة لجار المسجد الا في المسجد وقال الملايكة تصلي على احدكم ما دام في
مصلاه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج من المسجد
وقال يأتي في اخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم
الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال قال الله عز وجل ان

بيوتي

بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني
في بيتي فحق على المزور ان يكرم زايره وقال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا
له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما له ان لا يقول
الا خيرا ويروى في الاثر او الخبر الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل
البهايم الحشيش وقال النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة موجب اي
للجنة وقال انس بن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملايكة وحملة العرش
يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه وقال علي بن ابي طالب رضوان الله عليه
اذا مات العبد بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السما ثم قرا فما بكت
عليهم السما والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين
صباحا وقال عطا الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض
الا شهدت بها يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال انس بن مالك ما من بقعة
يذكر الله عز وجل عليها بصلاة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت
بذكر الله الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرف له الارض
ويقال ما من منزل ينزله قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم

الباب الثاني

في تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلاة
والبداية بالتكبير

ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث في البدن والثياب والمكان وستر
العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قايما متوجها الى القبلة ويراوح بين قدميه ولا
يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى عليه السلام عن الصفن
والصفد في الصلاة والصفد هو اقران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين في
الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد
هذا ما يراعى في رجليه عند القيام ويراعى في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب
واما راسه فان شا تركه على استوا القيام وان شا اطرق والاطراق اقرب الى الخشوع

ويغض البصر وليكن بصره مقصوراً على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن مصلى فليقرب من
جدار او ليخط خطاً فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره
ان يجاوز اطراف المصلى وحدود الخط وليدم على هذا القيام كذلك الى الركوع من
غير التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك
فليقرا قل اعوذ برب الناس تحصناً به من الشيطان ثم ليات بالاقامة وان كان يرجو
حضور من يقتدي به فليؤذن اولاً ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر ويقول بقلبه
اودي فريضة الظهر لله ليميزه بقوله اودي عن القضا وبالفريضة عن النفل وبالظهر
عن العصر وغيره ولتكن معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه فانه النية والالفاظ
مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى اخر التكبير حتى لا يعزب
فاذا احضر ذلك في قلبه فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي
بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة اذنيه وبرؤوس اصابعه رؤوس اذنيه ليكون
جامعاً بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلاً بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع
ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجاً ولا ضماً بل يتركها على مقتضى طبعها اذ
نقل في الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى فاذا استقرت اليدان في مقرهما
ابتدا التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت
الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراماً لليمنى بان تكون محمولة وينشر المسبحة
والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالخنصر والبنصر على كوع اليسرى
وقد روي التكبير مع رفع اليد ومع استقرارها ومع الارسال وكل ذلك لا
حرج فيه واراه مع الارسال اليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين
على الاخرى في صورة العقد ومبداه الارسال واخره الوضع ومبدا التكبير
الالف واخره الرا فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد واما رفع اليد
فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يرفع يديه الى قدام رفعاً عند التحرم من
التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضاً ويرسلهما

ارسالا

ارسالاً خفيفاً رفيقاً ويستانف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفي بعض
الروايات انه صلى الله عليه وسلم كان اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد ان يقرا وضع
اليمنى على اليسرى وان صح فهو اولى مما ذكرناه واما التكبير فينبغي ان يضم
الهاء من الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء والالف شبه الواو
وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء اكبر ورائه الفاً كانه يقول اكبار
ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما بعده القراءة ثم يبدا بدعاء
الاستفتاح وحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان
الله بكرة واصيلاً وجهت وجهي الى قوله وانا من المسلمين ثم يقول سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعاً بين متفرقات
ما ورد في الاخبار وان كان خلف الامام ان لم يكن للامام سكتة طويلة يقرا
الفاتحة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرا الفاتحة بتمام تشديداتها
وحروفها ويجتهد في الفرق بين الضاد والظا ويقول امين في اخر الفاتحة
ويمدها مداً ولا يصل امين بقوله ولا الضالين وصلاً ويجهر في القراءة في
الصبح والمغرب والعشا الا ان يكون ماموماً ويجهر بالتامين ثم يقرا السورة
او قدر ثلث ايات من القران فما فوقه ولا يصل اخر السورة بتكبير الهوي بل
يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله ويقرا في الصبح من طوال سور المفصل وفي
المغرب قصاره وفي الظهر والعصر والعشا نحو والسما ذات البروج وما قاربها
وفي الصبح في السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكذلك في ركعتي الفجر
وفي الطواف وفي التحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما
وصفناه في اول الصلاة

الركوع ولواحقه

ثم يركع ويراعي فيه
اموراً وهي ان يكبر الى الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع واصابعه
منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان
يمد ظهره مستوياً وان يكون عنقه وراسه مع ظهره كالصفيحة الواحدة ولا يكون

راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المراه مرفقيها الي
جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلثا والزيادة الي السبعة والي العشرة
حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع
الله لمن حمده ويطمين في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات والارض
وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلاة التسبيح ويقنت
في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات الماثورة **السجود** ثم يهوي الي
السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وانفه مكشوفة ويكبر
عند الهوي ولا يرفع يديه مع غير الركوع وينبغي ان يكون اول ما يقع منه علي
الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه ويضع الانف علي
الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المراه ذلك ايضا وان يكون مخويا
ولا تكون المراه مخويه والتخويه رفع البطن من الفخذين والتفريج بين الفخذين وان
يضع يديه على الارض حذا منكبيه وان لا يفرج اصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام
اليهما وان لم يضم الابهام فلا باس ولا يفترش ذراعيه على الارض كما يفترش الكلب
فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الاعلي ثلثا فان زاد فحسن الا ان يكون اماما
ثم يرفع من السجود فيطمين جالسا معتدلا ويرفع راسه مكبرا ويجلس على رجله
اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا
يتكلف ضمهما ولا تفريجهما ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني
وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح ويأتي بالسجدة
الثانية كذلك ويستوي فيها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا
تشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حالة
الارتفاع ويمد التكبير ما بين وسط ارتفاعه عن القعود الى وسط ارتفاعه
الي القيام بحيث يكون الهاء من الله عند استوايه جالسا وكاف اكبر عند اعتماده على اليد
للقيام وراء اكبر في وسط ارتفاعه الي القيام ويبتدي في وسط ارتفاعه الى القعود

حتى يقع

حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا طرفاه فهو اقرب الي التفهيم
ويصلي الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوذ في الابتدا **التشهد**
ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الاول ثم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويضع
يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض اصابع اليمنى الا المسبحة ولا باس بارسال
الابهام ايضا ويشير بمسبحته وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا اله ويجلس في
هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء
الماثور بعد الصلاة على النبي وسنته سنن التشهد الاول لكن يجلس على وركه الايسر
في التشهد الاخير لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضجع رجله اليسرى
خارجة من تحته وينصب اليمنى ويخرج راس الابهام الي جهة القبلة ان لم يشق
عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من
وراءه من جانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوي بالسلام
الخروج من الصلاة وينوي السلام على من على يمينه من الملايكة والمسلمين في الاولى
وينوي مثل ذلك في الثانية ويحذف السلام ولا يمده مدا فهو السنة هذه هيية
صلاة المنفرد **المنهيات** نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة
عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعا والسدل والكف وعن الاختصار وعن
الصلب وعن المواصلة وعن صلاة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلاة الجايع
والغضبان والملتثم وهو ستر الوجه اما الاقعا فهو عند اهل اللغة ان
يجلس على وركيه وينصب ركبتيه وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا
وليس على الارض الا رووس اصابع الرجلين واما السدل فمذهب اهل
الحديث فيه ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان
هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي ان
يركع ويسجد كذلك ويداه في بدن القميص وقيل معناه ان يضع وسط الازار
على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه والاول اقرب

واما الكف فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه اذا اراد السجود وقد يكون
الكف في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث امرت
ان اسجد على سبعة آراب ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره احمد بن حنبل ان يأتزر فوق
القميص في الصلاة وراه من الكف واما الاختصار فهو ان يضع يديه على خاصرته
واما الصلب فان يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام واما
المواصلة فهي خمسة اثنان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه
بقراءته واثنان على المأموم ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه
بتسليمه وواحدة بينهما ان لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل
بينهما واما الحاقن من البول والحاقب من الغائط والحازق صاحب الخف
الضيق فان كل ذلك يمنع من الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم وفهم معنى
الجائع من قوله عليه السلام اذا حضر العشاء واقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء الا
ان يضيق الوقت او يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخلن احدكم الصلاة وهو
مغضب ولا يصلين احدكم وهو غضبان وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي
الى العقوبة اسرع وفي الخبر سبعة اشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف
والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء وزاد
بعضهم الشك والسهو وقال بعض السلف اربع من الجفاء في الصلاة الالتفات
ومسح الوجه وتسوية الحصى وان يصلي بطريق من يمر بين يديك ونهي ايضا عن
ان يشبك اصابعه او يفرقع اصابعه او يستر وجهه او يضع احدى كفيه على
الاخرى ويدخلهما بين فخذيه في الركوع قال بعض الصحابة كنا نفعل ذلك فنهينا
عنه ويكره ايضا ان ينفخ في الارض عند السجود للتنظيف وان يسوي الحصى
بيده فانها افعال مستغنى عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعهما على فخذه
ولا يستند في قيامه الى الحائط وان استند حيث لو سل سقط فالاظهر بطلان
صلاته   تمييز الفرائض والسنن جملة ما ذكرناه اشتمل

على السنن

على السنن والهيئات والآداب التي ينبغي ان يراعيها مريد طريق الآخرة والفروض
وجملتها اثنا عشر النية وقوله الله اكبر والقيام والفاتحة
والانحناء في الركوع الى ان تنال راحتاه ركبتيه مع الطمانينة والاعتدال عنه
قائما والسجود مع الطمانينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا
والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلاة على رسول الله والسلام
الاول اما نية الخروج فلا تجب وما عداها فليس بواجب بل هي سنن وهيئات
في السنن والفرائض   اما السنن فمن الافعال اربعة رفع اليدين في تكبيرة
الاحرام وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع والجلسة للتشهد الاول واما
ما ذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعهما فهي هيئات تابعة لهذه السنة
والتورك والافتراش هيئة تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيئة القيام
وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من اصول السنن في الافعال
لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة في
نفسها فلذلك لم تفرد بذكر   واما السنن والاذكار فدعاء
الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فانه سنة موكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات
الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الاول
والصلاة فيه على النبي وآله ثم الدعاء في آخر التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية
وهذه ان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ يجبر من جملتها بسجود
السهو اربعة اما من الافعال فواحد وهو الجلسة الاولى للتشهد الاول
فانها موثرة في ترتيب نظم الصلاة في اعين الناظرين حتى تعرف بها انها رباعية
ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يوثر في تغير النظم فعبر عن ذلك بالبعض
وقيل الابعاض تجبر بالسجود   واما الاذكار فكلها لا تقتضي الا ثلاثة
القنوت والتشهد والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات
واذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما مخالف

للعادة ويحصل بهما مزيد العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن جريان الحركات فعدم تلك الاذكار لا ينقص صورة العبادة واما الجلسة للتشهد الاول فعل معتاد وما زيدت الا للتشهد فتركه ظاهر التاثير واما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يوثر مع ان القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها فكذلك الدعاء في التشهد الاخير والقنوت ابعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صار بالتكرر مع التشهد جلسة للتشهد الاول فبقي هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب احترازا عن اصل القيام في الصلاة فان قلت تمييز السنن عن الفرائض معقول اذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب دونها فاما تمييز سنة عن سنة والكل مامور على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل فما معناه فاعلم ان اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتها ولنكشف لك ذلك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا كاملا الا بمعنى باطن واعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر اجسام اعضائه ثم بعض تلك الاعضاء ينعدم الانسان بعدمه كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن تفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا تفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن تفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها اصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سياتي ونحن في اجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الاركان تجري منها مجرى القلب والراس والكبد اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع

اليدين

اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الاول تجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين لا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسببه مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه وكذلك من اقتصر على اقل ما يجزي من الصلاة كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف واما الهيئات وهي ما وراء السنن فيجري مجرى الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون واما لطائف الاداب في تلك السنن فهي مكملات للحسن مثل استقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد عليك في يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة في تحسين صورتها وتقبيحها فان احسنت فلنفسك وان اسات فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك من ممارسة الفقه ان يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من اوصاف السنة الا انه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقء العين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن ان يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان اذا اخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي ان تفهم مراتب السنن والهيئات والاداب وكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الاخبار التي اوردناها في اكمال اركان الصلاة ليظهر وقعها

الباب الثالث
في الشروط الباطنة من اعمال القلب

ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل ركن من الصلاة لتكون صالحة لزاد الاخرة

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى اقم الصلاة لذكري وظاهر الامر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم وقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون تعليل

انهى لسكرانه وهو مطرود في الغافل المستغرق الهم بالوساوس وافكار الدنيا وقوله
صلى الله عليه وسلم ان الصلاة تمسكن وتواضع حصرها بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق
والتوكيد وقد فهم الفقها من قوله انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفي
وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا
وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشا وقال عليه السلم كم من قائم حظه من صلاته التعب
والنصب وما اراد به الا الغافل وقال ايضا ليس للعبد من صلاته الا ما عقل
والتحقيق فيه ان المصلي مناج ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة
البتة وبيانه ان الزكوة مثلا ان غفل الانسان عنها فهي في نفسها مخالفة للشهوة
شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى التي هي آلة
الشيطان عدو الله فلا يبعد ان يحصل منهما مقصود مع الغفلة وكذلك الحج
افعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الايلام كان القلب حاضرا
مع افعاله او لم يكن اما الصلاة فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود
وقيام وقعود اما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله تعالى فاما ان
يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة والمقصود الحروف والاصوات امتحانا
للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك في الصوم وكما يمتحن البدن
بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج المال واقتطاع المال المعشوق ولا
شك ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه على الغافل فليس فيه
امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون
نطقا الا اذا اعرب عما في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاي
سوال في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا وان لم يقصد
كونه تضرعا ودعا فاي مشقة في حركة اللسان به في الغفلة لا سيما بعد الاعتياد
هذا حكم الاذكار بل اقول لو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا واثني عليه
واسله حاجته ثم جرت الالفاظ الداله على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر

في يمينه

في يمينه ولو جرى على لسانه في ظلمة الليل وذلك الانسان حاضر ولا يعرف
حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم
يكن هو حاضرا في قلبه ولو كان تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر الا انه في
بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه
الخطاب عليه عند نطقه لم يكن بارا في يمينه ولا شك ان المقصود من القراءة
والاذكار الحمد والثنا والتضرع والدعا والمخاطب هو الله وقلبه بحجاب الغفلة
محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم
العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد
ذكر الله ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية
لا سبيل الى انكارها في النطق وتمييزه بها عن الفعل واما الركوع والسجود
فالمقصود التعظيم بهما قطعا ولو جاز ان يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو
غافل عنه ان يكون معظما للحائط الذي بين يديه وهو غافل واذا خرج عن كونه تعظيما
لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به فيم
يجعل عماد الدين والفارق بين الكفر والايمان وتقدم على الحج وسائر العبادات ويجب
القتل بسببه على الخصوص ما ارى ان هذه العظمة كلها للصلاة من حيث اعمالها الظاهرة
الا ان يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكوة والحج
وغيرها بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى
لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم اي الصفة التي استولت على القلب
حتى حملته على امتثال الاوامر وهي المطلوبة فكيف الامر بالصلاة ولا ارب في افعالها فهذا
ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فان قلت ان حكمت ببطلان الصلاة
وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها خالفت به اجماع الفقها فانهم لم يشترطوا
حضور القلب الا عند التكبير فاعلم انه قد تقدم في كتاب العلم ان الفقها لا يتصرفون
في الباطن ولا يشقون على القلوب ولا في طريق الاخرة بل يبنون ظاهر احكام الدنيا

على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان
فاما ان ينفع في الاخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعي الاجماع
فقد نقل بشر الحرث فيما رواه عنه ابو طالب المكي عن سفين الثوري انه قال من لم
يخشع فقد بطلت صلاته وروي عن الحسن انه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب
فهو الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل انه قال من عرف من على يمينه وشماله
متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له وروي ايضا مسندا انه قال عليه السلام ان العبد
ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل
منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال الا ما عقل منها
فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس من الفقهاء المتورعين وعن علماء الاخرة
اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والايات ظاهرة
في هذا الشرط الا ان مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق
ولا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه
كل البشر الا الاقلون واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له
الا ان يشترط فيه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة واولى
اللحظات لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون
حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل
ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي يصلي مع الحدث ناسيا صلاته باطلة
عند الله ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجا فيخشى
ان يكون حاله اشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة
ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة واذا تعارض
اسباب الخوف والرجا وصار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة بعده في الاحتياط
والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقها فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة
فان ذلك ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم ان الغفلة

تضادها ولكن قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد ان
قصور الخلق احد الاسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث
فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الاخرة واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الان وحاصل
الكلام ان حضور القلب هو روح الصلاة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان
منه هلاك وبقدر الزيادة ينبسط الروح الى اجزاء الصلاة وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلاة
الغافل في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به

بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة

اعلم ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ستة جمل وهي حضور القلب والتفهم
والتعظيم والهيبة والرجا والحيا فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها
اما التفاصيل فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو
ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والترك مقرونا بهما جميعا ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما
ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شي
فقد حصل حضور القلب واما التفهم لمعنى الكلام فهو امر وراء حضور القلب فربما
يكون القلب حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه
بالتفهم وهذا مقام تتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقران
والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثنا صلاته ولم يكن قد خطر
ذلك بقلبه قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشا والمنكر فانها تفهم
امورا تلك الامور تمنع من الفحشا لا محالة واما التعظيم فهو امر ورا حضور القلب
والفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا معظما له
فالتعظيم زايد عليهما واما الهيبة فزايد على التعظيم بل هي عن خوف منشاه
التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هايبا والمخافة من العقرب وسو خلق العبد وما
يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم
يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدرها الاجلال واما الرجا فلا شك في انه
زايد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف سطوته ولكن لا يرجوا مبرته

والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله تعالى كما انه خايف بتقصيره فيها عقاب الله
واما الحيا فهو زايد على الجمله لان منشاه ومستنده استشعار تقصير وتوهم
ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجا حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب
اما اسباب هذه المعاني فاعلم ان حضور القلب سببه الهمه فان قلبك تابع لهمك فلا
يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شا ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر
فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلاه لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمه
مصروفه اليه من امور الدنيا فلا حيله ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمه
الى الصلاه والهمه لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط به وذلك هو
الايمان والتصديق بان الاخره خير وابقى وان الصلاه وسيله اليها فاذا اضيف هذه
الى حقيقه العلم بحقاره الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاه وبمثل
هذه العله يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك
فاذا كان لا يحضر عند المناجاه مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر
فلا تظنن ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الان في تقويه الايمان وطريقه
يستقصى في غير هذا الموضع واما التفهم فسببه حضور القلب مع الاقبال على
الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغله وعلاج دفع الخواطر الشاغله قطع موادها
اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تنجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد
لا تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيا اكثر من ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضروره
ولذلك ترى ان من احب غير الله لا تصفو له صلاه عن الخواطر واما التعظيم
فهو حاله في القلب تتولد من معرفتين احديهما معرفه جلال الله تعالى وعظمته وهو من
اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن نفسه لتعظيمه الثانيه معرفه
حقاره النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى لا تتولد من المعرفتين الاستكانه
والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفه حقاره النفس
بمعرفه جلال الله تعالى لا تنتظم حاله التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الامن

عن نفسه

على نفسه يجوز ان يعرف من غيره صفات العظمه ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله
لان القرينه الاخرى وهي معرفه حقاره النفس وحاجتها لم تقترن به واما الهيبه
والخوف فحاله للنفس تتولد من المعرفه بقدره الله وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع
قله المبالاه به ولو انه اهلك الاولين والاخرين لم ينقص من ملكه ذره هذا مع مطالعه
ما يجري على الانبيا والاوليا من المصايب وانواع البلا مع القدره على الدفع على خلاف
ما يشاهد من ملوك الارض وعلى الجمله كلما زاد العلم بالله زاد الخشيه والهيبه وستاتي
اسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات واما الرجا فسببه معرفه لطف الله تعالى
وكرمه وعميم انعامه ولطايف صنعه ومعرفه صدقه في وعده الجنه بالصلاه فاذا
حصل اليقين بوعده والمعرفه بلطفه انبعث من مجموعهما الرجا لا محاله واما الحيا
فباستشعاره التقصير في العباده وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله تعالى ويقوى ذلك
بالمعرفه بعيوب النفس وافاتها وقله اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل
في جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على السراير
وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث
منها بالضروره حاله تسمى الحيا فهذه اسباب هذه الصفات وكلما طلب تحصيله فعلاجه
احضار سببه ففي معرفه السبب معرفه العلاج ورابطه جميع هذه الاسباب الايمان واليقين
اعني هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفا الشك واستيلاوها على
القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت
عايشه رضي الله عنها كان عليه السلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاه فكانه لم يعرفنا
ولم نعرفه وقد روي ان الله سبحانه اوحى الى موسى عليه السلم يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت
تنتفض اعضاوك وكن عند ذكري خاشعا مطمينا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من
ورا قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان
صادق وروي انه اوحى اليه قل لعصاه امتك لا يذكروني فاني اليت على نفسي ان من
ذكرني ذكرته واذا ذكروني ذكرتهم باللعنه هذا في عاص غير غافل فكيف اذا اجتمعت

الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب اختلف الناس الى
غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة والى من يتم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان
مستوعب الهم به بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط اسطوانة في
المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه و يساره
ووجيب قلب ابرهيم عليه السلم كان يسمع على ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترعد
فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد في همم الدنيا وخوف ملوك الدنيا
مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على الملك
او وزير ويحدثه بمهمه ولو سئل عمن حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على
الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا
فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر
الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة
من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات
عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلب
تصاغ الصور في دار الاخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ✽

الدواء النافع في حضور القلب اعلم ان المومن لابد وان يكون معظما لله وخائفا
له وراجيا ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها
بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر
وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهي عن الصلاة الا الخواطر
الواردة الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع
الشي الا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا
او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان
ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل
ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت

ربته

رتبته وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لابد ان يتفرق فكره
فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه
ما يشغل فكره ويشغل حسه ويقرب من حايط عند صلاته حتى لا يتسع مسافة بصره
ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش
المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون
ذلك اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به
موضع السجود ويرون كمال الصلاة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن
عمر لا يدع في موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه
اما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت به الهموم في
اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض
البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس
قهرا الى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد
له قبل التحريم به بان يجدد على نفسه ذكر الاخرة وموقف المناجاة وخطر
المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحرم بالصلاة عما يهمه
ولا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال النبي عليه السلم لعثمن بن شيبة اني نسيت ان
اقول لك تخمر القدر الذي في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شي يشغل الناس عن
صلاتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هائج افكاره بهذا الدوا المسكن
فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الدا من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور
الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك انها تعود الى مهماته وانها انما
صارت مهمة بشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق
فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من
اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما روي انه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة التي اتاه
بها ابو جهم وامر عليه السلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في الصلاة اذ كان جديدا فامر ان

ورد الشراك الخلق وكان عليه السلم قد احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت
لربي كيلا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سايل لقيه ثم امر عليا ان يشتري له نعلين
سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان في يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر
فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وروي ان طلحة صلى في حايط له فيه شجر
فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت
وعن رجل اخر انه صلى في حايط والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدر كم
صلى فذكر ذلك لعثمن وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمن بخمسين الفا وكانوا
يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدوا
القامع لمادة العلة ولا يغني غيره فاما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد
الى فهم الذكر فينفع في الشهوات والهمم الضعيفة التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما
الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك
ثم تغلبك وتنقضي جميع صلواتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة اراد
ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة
في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان
هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة
الشهوة اذا استعلت وتفرعت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير
الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب
كلما ذب اب ولاجله سمي ذبابا وكذا الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما
يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة
واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال
الى شي منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الاخرة فلا يطمعن ان تصفو له لذة المناجاة
في الصلاة فان من فرح بالدنيا لم يفرح بالله ومناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه

فان كان قرة

فان كان قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك
المجاهدة ورد القلب الى الصلاة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدوا
ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الدا عضالا حتى ان
الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون فيهما انفسهم بامور الدنيا فعجزوا
عنها وذلك لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم من صلاتنا شطرها او ثلثها عن
الوساوس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة
الاخرة في القلب مثل الما الذي يصب في قدح فيدخل فبقدر ما يدخل فيه الما يخرج الخل
لا محالة ولا يجتمعان

فصل فيما ينبغي ان يحضر القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلاة

فنقول حقك ان كنت من المريدين للاخرة ان لا تغفل عن التنبيهات التي في شروط الصلاة
واركانها اما الشروط والسوابق فهي الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال
القبلة والانتصاب قايما والنية فاذا سمعت ندا المؤذن فاحضر في قلبك هول
الندا يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين
الى هذا الندا هم الذين ينادون باللطف يوم القيامة فاعرض قلبك على هذا الندا
فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه
ياتيك الندا بالبشرى والفوز يوم القضا ولذلك قال عليه السلم ارحنا يا بلال اي
ارحنا بها وبالندا اليها وكان قرة عينه فيها واما الطهارة فاذا اتيت بها في
مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهي غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك
الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة عما
فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل وطهر بها باطنك فانه موضع نظر معبودك
واما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان
ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما رايك في عورات باطنك وفضايح سرك الذي لا يطلع عليه
الا ربك فاحضر تلك الفضايح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق ان لا يستر عن عين
الله ساتر وانما يكفرها الندم والحيا والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث

وجود الخوف والحياء من كلا منهما فذل به نفسك وتستكين تحت الجلالة قلبك وتقوم بين يدي
الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من
الحياء والخوف واما استقبال القبلة فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات
الى جهة بيت الله افترى ان صرف القلب من سائر الامور الى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات
فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها
بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في التفاتها
وحركاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك
مع وجه بدنك واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلا
ينصرف القلب الى الله الا بالتفرغ عما سوى الله وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى
صلاته وكان هواه ووجهه وقلبه الى الله تعالى انصرف كيوم ولدته امه واما
الاعتدال قائما فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله تعالى فليكن راسك الذي هو ارفع
اعضائك مطرقا متطاطيا منكسا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها على
الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك
ها هنا خطر القيام بين يدي الله تعالى في هول المطلع عند التعرض للسؤال واعلم في الحال
انك قائم بين يدي الله تعالى وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان
ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك انك ملحوظ
ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب في ان يعرفك بالصلاح فانه
يهدأ عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك
ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع فاذا احسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد
مسكين فعاتب نفسك وقل انك تدعين معرفة الله وحبه افلا تستحيين من استجرائك
عليه مع توقيرك عبدا من عباده او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان يخشى ولذلك
لما قال ابو هريرة كيف الحياء من الله فقال عليه السلم ان تستحيي منه كما تستحيي من الرجل
الصالح من اهلك واما النية فاعزم على اجابة الله تعالى في امتثال امره

بالصلاة

بالصلاة واتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله تعالى
رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك في المناجاة
مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف
تناجي وبماذا تناجي وعند ذلك ينبغي ان تعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائصك
من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي
ان لا يكذبه قلبك وان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب
وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه وسلم رسول الله
فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك
وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن
مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم
الله وعفوه واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه وجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة
القبلة والله سبحانه وتعالى مقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه
وانما وجه القلب هو الذي توجه به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه امتوجه
الى امانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل على فاطر السموات
واياك وان تكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه
الى الله الا بالانصراف عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه فان عجزت عنه على الدوام
فليكن قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم
المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال
وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله
فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا انزل فيمن يقصد بعبادته وجه
الله وحمد الناس وكن مستشعرا حذرا من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا
قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن

رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملايما
للحال فاذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن
الله حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها
ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبدله بما يحبه الله لا بمجرد قولك فان
من قصده سبع او عدو ليفترسه او ليقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت
على مكانه ان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبديل المكان وكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب
الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول بل يقرن قوله بالعزم على التحصن
والتعوذ بحصن الله عن شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال لا اله الا الله حصني
والمتحصن به من لا معبود له سوى الله تعالى فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن
الله واعلم ان من مكايده ان يشغلك في الصلاة بذكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم
ما تقرا فاعلم ان كل ما شغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة
بل المقصود معانيها واما القراءة فالناس فيها ثلثة رجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان
فيسمع ويفهم منه كانه يسمع من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه اولا
الى المعاني ثم يخدم اللسان قلبه ليترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب او يكون
معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل ترجمة
المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة بكلام الله تعالى
وافهم ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم هاهنا المسمى واذا كانت الامور
بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله والنعم من الله ومن يرى من غير الله
نعمة او يقصد غير الله بشكر لا من حيث انه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر
التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه لتتضح لك
رحمته لينبعث به رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين
اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزا والحساب الذي هو
مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري عن الحول

والقوة

والقوة بقولك اياك نستعين وحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك
لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين
مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التعوذ وقولك بسم الله ومن التحميد ومن
اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سوالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا
الصراط المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا
وتاكيدا واستشهد بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والصالحين دون
من غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاجابة وقل امين
فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم قسمت الصلاة بيني وبين عبدي
نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العلمين فيقول الله حمدني عبدي واثنى
علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى اخره فان لم يكن لك من صلاتك حظ سوى
ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله
وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقرؤه من السور كما سياتي في كتاب تلاوة القران فلا تغفل عن
امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه ولكل واحد
حق فالرجا حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق
الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبيا وروي ان زرارة بن
اوفى انتهى الى قوله فاذا نقر في الناقور فخر ميتا وكان ابرهيم اذا سمع قوله اذا
السما انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رايت ابن عمر
يصلي مغلوبا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد ذليل مذنب بين
يدي جبار قاهر وتكون هذه المعاني حسب درجات الفهم ويكون الفهم حسب وفور العلم وصفاء
القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها ينكشف اسرار الكلمات
فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعي الهيئة في القراءة فيرتل
ولا يسرد فان ذلك ايسر للتامل ويفرق بين نغماته في اية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد
والتحميد والتعظيم كان النخعي اذا مر بمثل قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله

يغض بصره عن ان ... وقال لصاحب القرآن اقرأ وارق كما كنت ترتل في الدنيا
واما دوام القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله تعالى على نعت واحد من الحضور
قال صلى الله عليه وسلم ان الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات الى الجهات
فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلاة فان التفت الى غيره فذكره باطلاع
الله عليك وبقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع القلب فان الخلاص عن
الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد
رأى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي
ولهذا ورد في الدعا اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضي الله عنه
في صلاته كانه وتد وابن الزبير كانه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث يقع العصافير عليه
كانه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يقتضيه بين يدي ملك
الملوك عند من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا ويضطرب اطرافه
بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره وقال عكرمة
في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه
واما الركوع والسجود فينبغي ان تجدد ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله
من عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك
وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على
تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه اعظم من كل عظيم
وتكرر ذلك على قلبك لتوكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك راجيا انه راحم لك ومؤكدا
للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر
المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض ثم تهوي الى
السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء
وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حائلا وتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخشوع
وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت

الفرع

الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله
وقل سبحان ربي الاعلى واكده بالتكرار فان المرة الواحدة ضعيفة الاثار فاذا
رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاؤك في رحمة ربك فان رحمته تسارع الى الضعف
والذل لا الى التكبر والبطر فارفع راسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر
وارحم وتجاوز عما تعلم او ما اردت من الادعية ثم اكد التواضع بالتكرار وعد الى السجود
ثانيا كذلك واما التشهد فاذا جلست له فاجلس متادبا وصرح بان جميع
ما تاتي به من الصلوات والطيبات اي الاخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله
وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي عليه السلام وشخصه الكريم وقل السلام عليك
ايها النبي وليصدق املك بان جميع ما تاتي به من الصلوات تبلغه ويرد عليك ما هو اوفى
منه ثم سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وتامل ان يرد عليك سلاما
وافيا بعدد عباد الله الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد عليه السلام بالرسالة محمدا
عبد الله باعادة كلمتي الشهادة ومستانفا للتحصين ثم ادع في اخر صلاتك بالدعا الماثور
مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجا بالاجابة واشرك في
دعائك ابويك وسائر المومنين واقصد عند السلام السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم
الصلاة به واستشعر شكر الله تعالى على توفيقه لاتمام الطاعة وتوهم انك مودع
لصلاتك وانك ربما لا تعيش الى مثلها وقال النبي صلى الله عليه وسلم صل صلاة مودع
ثم اشعر قلبك الوجل والحيا والتقصير في الصلاة وخف ان لا تقبل صلاتك وان تكون
ممقوتا بذنب ظاهر او باطن فترد صلاتك في وجهك وترجو مع ذلك ان يقبلها بفضله
وكرمه كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة وكان ابرهيم
يمكث بعد الصلاة ساعة كانه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم على صلاتهم
يحافظون والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم
في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذي يسر منه ينبغي ان
يفرح به وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي ان يجتهد واما صلاة الغافلين فانها

مخطرة الا ان سعة الله برحمته فالرحمة واسعة والكرم فايض فنسأل الله ان يغمرنا برحمته
ويسعنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته واعلم ان
تخليص الصلاة عن الآفات واخلاصها لوجه الله واداها بالشروط الباطنة التي
ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحيا سبب حصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح
علوم المكاشفة فاوليا الله المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما
يكاشفون في الصلاة لا سيما في السجود اذ يتقرب العبد في السجود ولذلك قال
تعالى واسجد واقترب ويكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه من كدورات الدنيا
ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة والجلا والخفا حتى ينكشف لبعضهم
الدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف
ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله وجلاله ولبعضهم من افعاله
ولبعضهم من دقايق علوم المعاملة ويكون لتعيين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية
واشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شي معين كان ذلك اولى
بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تترايا الا في المرايا الصقيلة وكانت المرايا
كلها صدية فاحتجب عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم على
مصب الهداية تسارعت الالسنة الى انكار ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير
الحاضر ولو كان للجنين عقل لانكر امكان وجود الانسان في متسع الهوا ولو كان
للطفل تمييز ما ربما انكر ما يزعم العقلا ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا
الانسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة
وقد خلق الخلق اطوارا فلا ينبغي ان ينكر كل واحد ما ورا درجته نعم لما طلبوا هذا
بالمجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوه من تصفية القلب عما سوى الله فقدوه
فانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة فلا اقل من ان يومن بالغيب ويصدق به الى ان يشاهد
بالتجربة ففي الخبر ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده وواجهه
بوجهه وقامت الملايكة من لدن منكبيه الى الهوا يصلون بصلاته ويومنون على دعايه

وان المصلي



وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السما الى مفرق راسه وينادي مناد لو علم المناجي من
يناجي ما التفت وان ابواب السما تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهي ملايكته بعبده المصلي
ففتح ابواب السما ومواجهة الله تعالى اياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه
وفي التورية مكتوب يا ابن ادم لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي
اقتربت من قلبك وبالغيب رايت نوري قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكا والفتوح التي
يجدها المصلي في قلبه من دنو الرب تعالى من القلب واذا لم يكن هذا الدنو هو القرب
بالمكان فلا معنى له الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب ويقال ان العبد اذا صلى
ركعتين عجب منه عشر صفوف من الملايكة كل صف منهم عشرة الاف ويباهي الله تعالى به مايه
الف ملك فالقايمون لا يركعون الى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون الى القيامة
وهكذا الراكعون والقاعدون فان ما رزق الملايكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر
على حاله واحدة لا يزيد ولا ينقص ولذلك قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق
الانسان الملايكة في الترقي من درجة الى درجات فانه لا يزال يتقرب الى الله تعالى
فيستفيد مزيدا وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل واحد الا رتبته التي هي وقف عليه
وعبادته التي هو بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها ولا يستحسرون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات الصلوات قال الله تعالى قد افلح
المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة
وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلاة ايضا فقال في اخرها والذين
هم على صلاتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات اوليك هم الوارثون الذين
يرثون الفردوس هم فيها خالدون اخرا وما عندي ان ما يدرك به اللسان من
عقد القلب تسمى درجته الى هذا الحد ولذلك قال في اضدادهم ما سلككم في سقر
قالوا لم نك من المصلين فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله والمتمتعون
بقربه ودنوه من قلوبهم نسأل الله ان يجعلنا منهم وان يعيذنا من عقوبة من تزينت اقواله
وقبحت اعماله انه الكريم المنان القديم الاحسان تم ما اوردنا في صلاة الخاشعين

اعلم ان الخشوع ثمره الايمان ونتيجه اليقين الحاصل بجلال الله تعالى ومن رزق ذلك فانه
يكون خاشعا في الصلاه وفي غير الصلاه بل في خلوته وفي بيت الما عند قضا الحاجه فان
موجب الخشوع معرفه اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفه جلاله ومعرفه تقصير العبد فمن
هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصه بالصلاه ولذلك روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه
الى السما اربعين سنه حيا من الله وخشوعا له وكان الربيع بن خثيم من شده غضه لبصره واطراقه
يظن الناس انه اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنه فاذا راته جاريته قالت
صديقك الاعمى قد جا فيضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب خرجت
الجاريه اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر
المخبتين اما والله لو راك محمد لفرح بك وفي لفظ اخر لاحبك ومشى ذات يوم مع
ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب صعق ووقع مغشيا عليه
وقعد ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلاه فلم يفق فحمله الى منزله على ظهره فلم يزل
مغشيا عليه الى الساعه التي افاق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند راسه
يقول هذا والله الخوف وكان الربيع يقول ما دخلت في صلاه قط فاهمني فيها الا
ما اقول وما يقال لي وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين وكان اذا صلى ضربت ابنته
بالدف وتحدث النسا بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات
يوم هل تحدثك نفسك في صلاتك بشي قال نعم وقوفي بين يدي الله ومنصرفي الى احدى
الدارين قيل فهل تجد شيا مما نجد من امور الدنيا فقال لان تختلف الاسنه في احب
الي من ان اجد في الصلاه ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطا ما ازددت يقينا
وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد نقلنا انه لم يشعر بسقوط اسطوانه المسجد وقد تاكل
طرف من اطراف بعضهم واحتيج الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في الصلاه لا يحس بما
يجري عليه فقطعت وهو في الصلاه وقال بعضهم الصلاه من الاخره فاذا دخلت في
الصلاه خرجت من الدنيا وقيل لاخر هل تحدث في الصلاه نفسك بشي من الدنيا
قال لا في الصلاه ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاه شيا فقال وهل

شي احب

شي احب الي من الصلاه فاذكره فيها وكان ابو الدردا يقول من فقه الرجل ان يبدا بحاجته
قبل دخوله في الصلاه ليدخل في الصلاه وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاه
خيفه الوسواس وروي ان عمار بن ياسر صلى صلاه فاخفها فقيل له خففت يا ابا اليقظان
فقال هل رايتموني نقصت من حدودها شيا قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليصلي الصلاه ولا يكتب له نصفها ولا ربعها ولا
خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها
ويقال ان طلحه والزبير وطايفه من الصحابه كانوا اخف الناس صلاه وقالوا نبادر بها
وسوسه الشيطان ويروى ان عمر قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام
وما اكمل لله له صلاه قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله
فيها وسيل ابو العاليه عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذي يسهو
في صلاته ولا يدري على كم ينصرف اعلى شفع ام على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت
الصلاه حتى تخرج وقال بعضهم هو الذي ان صلى بها في اول الوقت لم يفرح وان اخرها
عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها برا ولا تاخيرها اثما واعلم ان الصلاه قد يحسب بعضها
ويهدر بعض بما دلت الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلاه في الصحه
لا تتجزى ولكن ذلك معنى اخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد جبر
نقصان الفرايض بالنوافل في الخبر قال عيسى يقول الله تعالى بالفرايض نجا مني عبدي
وبالنوافل تقرب الي عبدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى لا ينجو مني عبدي
الا باداء ما افترضت عليه وروي ان النبي عليه السلام صلى صلاه فترك من قراتها اية فلما
انفتل قال ماذا قرات فسكت القوم فسال ابي بن كعب فقال قرات كذا وكذا وتركت
اية كذا فما ندري انسخت ام رفعت فقال انت لها يا ابي ثم اقبل على الاخرين فقال ما
بال اقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا يدرون ما يتلو عليهم
من كتاب ربهم الا ان بني اسرايل كذا فعلوا فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل لقومك
تحضروني ابدانكم وتعطوني السنتكم وتغيبون عني باطنا اما ترهبون وهذا يدل

على ان استماع ما يقرا الامام وفهمه بدل عن قراته السوره بنفسه وقال بعضهم ان العبد
ليسجد السجده عنده انه تقرب بها الى الله تعالى ولو قسمت ذنوبه في سجدته على اهل مدينته
هلكوا قيل وكيف ذاك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد باطل
قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فدلت هذه الحكايات والاخبار مع ما سبق على ان
الاصل في الصلاه الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفله قليل الجدوى في المعاد

الباب الرابع في الامامه والقدوه

وعلى الامام وظائف قبل الصلاه وفي القراه وفي اركان الصلاه وبعد السلام اما
الوظائف قبل الصلاه فستة اولها ان لا يتقدم للامامه على قوم يكرهونه فان اختلفوا
كان النظر الى الاكثرين وان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفي
الحديث ثلثه لا تجاوز صلاتهم روسهم العبد الابق وامراه زوجها ساخط عليها
وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن التقدم مع كراهتهم ينهى عنه ان كان وراه
من هو افقه منه واقرا منه الا ان يمتنع من هو اولى به فله التقدم فان لم يكن شي من ذلك
فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامه ويكره عند ذلك المدافعه
فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامه بعد اقامة الصلاه فخسف بهم وما روي من مدافعه
الامامه عن الصحابه فسببه الايثار لمن راوه اولى به او خوفهم على انفسهم السهو وخطر
ضمان صلاتهم فان الايمه ضمنا وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه
الاخلاص حيا من المقتدين لا سيما في جهره بالقران فكان لاحتراز من احترز اسباب
من هذا الجنس الثانيه اذا خير المرء بين الاذان والامامه فينبغي ان يختار الامامه
فان لكل واحد فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي ان يكون الامام غير المؤذن واذا
تعذر الجمع فالامامه اولى وقال قائلون الاذان اولى لما نقلناه في فضيله الاذان
ولقوله عليه السلم الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فيها اذا خطر الضمان وقال ايضا الامام امير
فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فان اتم فله ولهم وان نقص فعليه
ولا عليهم ولانه قال عليه السلم اللهم ارشد الايمه واغفر للمؤذنين والمغفره اولى بالطلب

فان الرشد يراد للمغفره وفي الخبر من اذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنه ومن اذن
اربعين عاما دخل الجنه بغير حساب ولذلك نقل عن الصحابه انهم كانوا يتدافعون الامامه
والصحيح ان الامامه افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر والايمه
نعم فيها خطر الضمان والفضيله مع الخطر كما ان رتبه الاماره والخلافه افضل لقوله عليه السلم
ليوم من سلطان عادل افضل من عباده سبعين سنه ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم
الافضل والافقه قال عليه السلم ايمتكم وفدكم الى الله فان اردتم ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم
وقال بعض السلف ليس بعد الانبيا افضل من العلما ولا بعد العلما افضل من الايمه المصلين لان
هولا قاموا بين الله وبين خلقه هذا بالنبوه وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاه وبهذه
الحجه احتج الصحابه في تقديم ابي بكر للخلافه اذ قالوا نظرنا فاذا الصلاه عماد ديننا
فاخترنا لدنيانا من رضيه صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا بلالا احتجاجا بانه رضيه للاذان
وما روي انه قال له رجل دلني على عمل ادخل به الجنه فقال كن مؤذنا فقال لا استطيع
قال كن اماما قال لا استطيع قال صل بازا الامام فلعله ظن انه لا يرضى بامامته
اذ الاذان اليه والامامه الى الجماعه وتقديمهم ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليه
الثالثه ان يراعي الامام اوقات الصلاه فيصلي في اوايلها ليدرك رضوان الله ففضل
اول الوقت على اخره كفضل الاخره على الدنيا هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث
ان العبد ليصلي الصلاه في اخر وقتها ولم تفته ولما فاته من اول وقتها خير من الدنيا
وما فيها ولا ينبغي ان يوخر الصلاه لانتظار كثره الجمع بل عليهم المبادره لحيازه فضيله
اول الوقت فهي افضل من كثره الجماعه ومن تطويل السوره وقد كانوا اذا حضر
اثنان في الجماعه لم ينتظروا الثالث واذا حضر اربعه في الجنازه لم ينتظروا الخامس
وقد تاخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاه الفجر وكانوا في سفر وانما تاخر للطهاره فلم
ينتظروه وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعه
فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تاخر عن
صلاه الظهر فقدموا ابا بكر حتى جا وهم في الصلاه فقام الى جانبه وليس على الامام انتظار

المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره
الرابعة ان يؤم مخلصا لوجه الله تعالى ومؤديا امانة الله تعالى في طهارته وفي جميع
شروط صلاته واما الاخلاص فبان لا ياخذ عليها اجرة فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عثمان بن ابي العاص الثقفي وقال واتخذ مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا والاذان
طريق الى الصلاة فهي اولى بان لا يؤخذ عليها اجر فان اخذ رزقا من المسجد وقد
وقف على من يقوم بامامته او من السلطان او من احد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه
مكروه والكراهية في الفرائض اشد منها في التراويح ويكون اجرة له على مداومته حضور
الموضع ومراقبته مصالح المسجد في اقامة الجماعة لا على نفس الصلاة واما الامانة
فهي الطهارة باطنا عن الفسوق والكبائر والاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة
ينبغي ان يحترز عن ذلك جهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي ان يكون خير
القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان
تذكر في اثناء الصلاة حدثا او خرج منه ريح فلا ينبغي ان يستحيي بل ياخذ بيد من
يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة في اثناء صلاته واستخلف
واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة وقال سفيان صل خلف كل بر وفاجر الا
مدمن خمر او معلن بالفسوق او عاق لوالديه او صاحب بدعة او عبد آبق
الخامسة ان لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا
امر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى
يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد
الناس ففي الخبر ليتمهل المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من
طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه نهي عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم العشاء
على العشاء طلبا لفراغ القلب السادسة ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام
وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال
الفضل فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة

وهو لا ينال

وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخر المأمومون تكبيرهم عن تكبيرة الامام فيبتدي بعد فراغه
وظائف القراءة ثلاثة فاولها ان يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد
ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح واوليي العشاء والمغرب وكذا المنفرد
ويجهر بقوله آمين في الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين
الامام معا لا تعقيبا ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة
واختيار الشافعي رضي الله عنه الجهر الثانية ان يكون للامام في القيام ثلاث سكتات
هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اولهن اذا كبر
وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء
الاستفتاح فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم
فان لم يقرؤوا الفاتحة في سكتته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه السكتة
الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرأ الفاتحة في السكتة الاولى فاتحته وهو نصف السكتة
الاولى السكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل ان يركع وهي اخفها وذلك قدر
ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الامام الا
الفاتحة فان لم يسكت الامام قرأ الفاتحة معه والمقصر هو الامام فان لم يسمع المأموم
في الجهرية لبعده او كان في السرية فلا بأس بقراءته السورة الثالثة ان يقرأ
في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة
ولا يضر الخروج منها مع الاسفار ولا بأس ان يقرأ في الثانية باواخر السور
نحو الثلاثين او العشرين الى ان يختمها لان ذلك لا يتكرر على الاسماع فيكون ابلغ
في الوعظ وادعى الى التفكر وانما كره بعض العلماء قراءة بعض اول السورة وقطعها
وقد روي انه عليه السلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع
وقد روي انه قرأ في الفجر آية من البقرة وهي قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية
وفي الثانية ربنا آمنا بما انزلت وسمع بلالا يقرأ من ها هنا وها هنا فسأله عن
ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال احسنت ويقرأ في الظهر بطوال المفصل

الى ثمانين اية وفي العصر نصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل واخر صلاة صلاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرا فيها سورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة
التخفيف اولى اذا اكثر الجمع قال عليه السلام في هذه الرخصة اذا صلى احدكم بالناس
فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ما شا
وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشا فقرا البقرة فخرج رجل من الصلاة واتم
لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر صلى الله عليه وسلم
معاذا فقال افتان انت اقرا سورة سبح والسما والطارق والشمس وضحاها وظايف
الاركان ثلثة اولها ان يخفف الركوع والسجود ولا ينقص في التسبيحات على ثلث
فقد روى عن انس رضي الله عنه انه قال ما رايت اخف صلاة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في
تمام نعم روى ايضا ان انس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان اميرا
بالمدينة قال ما صليت وراء احد اشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب
قال وكنا نسبح وراه عشرا عشرا وروى مجملا انهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرا وذلك حسن ولكن الثلث اذا كثر الجمع احسن
فاذا تمحض الا المتجردون للدين فلا باس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات
وينبغي ان يقول الامام عند رفع راسه من الركوع سمع الله لمن حمده الثانية
المأموم ينبغي ان لا يسابق الامام في الركوع والسجود بل يتاخر فلا يهوي للسجود
الا اذا وصلت جبهة الامام الى موضع السجود هكذا كان اقتدا الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يهوي للركوع حتى يستوي الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلاة
على ثلثة اقسام طايفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الامام
وطايفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوقونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون
الامام وقد اختلف في ان الامام في الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال
فضل جماعتهم وادراكهم لتلك الركعة ولعل الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا باس به
اذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم

الثالثة

الثالثة ان لا يزيد في دعا التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص
الدعا نفسه بل ياتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للامام ان
يخص نفسه ولا باس ان يستعيذ في التشهد بالكلمات الخمس الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات
ومن فتنة المسيح الدجال واذا اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين
وقيل سمي مسيحا لانه يمسح الارض بطولها وقيل لانه ممسوح العين اي مطموسها
وظايف التحلل ثلثة اولها ان ينوي بالتسليمتين السلام على القوم
والملايكة الثانية ان يثبت عقيب السلام كذلك فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر
فيصلي النافلة في موضع اخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر
المشهور انه عليه السلام لم يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت
يا ذا الجلال والاكرام الثالثة اذا وثب فينبغي ان يقبل على الناس بوجهه
ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الامام فقد روى عن طلحة والزبير انهما صليا
خلف امام فلما سلما قالا للامام ما احسن صلاتك واتمها الا شيا واحدا انك لما
سلمت لم تقبل بوجهك ثم قالا للناس ما احسن ما صليتم الا انكم انصرفتم قبل ان ينفتل
امامكم ثم ينصرف الامام حيث شا من يمينه وشماله واليمين احب هذه وظيفة
الصلوات اما الصبح فيزيد فيه القنوت فيقول الامام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني
ويؤمن المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق التامين
وهو ثنا فيقرا معه فيقول مثله او يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين او صدقت وبررت وما يشبه
ذلك وقد روى في حديث رفع اليدين في القنوت فان صح الحديث استحب ذلك
وان كان على خلاف الدعوات في اخر التشهد اذ لا يرفع فيها اليد بل التعويل على
التوقيف وبينهما فارق وهو ان لليد وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين
على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لها هاهنا فلا يبعد ان يكون رفع اليدين هو الوظيفة
في القنوت فانه لائق بالدعا والله اعلم فهذه جمل اداب الامامة والقدوة

الباب السادس (الخامس) في فضل الجمعة وآدابها وفروضها وسننها

اعلم ان هذا يوم عظم الله به الاسلام وخص به المسلمين قال تعالى اذا نودي للصلاة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله حرم الاشتغال بامور الدنيا وبكل صارف عن السعي
الى الجمعة وقال عليه السلم من ترك الجمعة ثلثا من غير عذر طبع على قلبه وفي لفظ اخر
فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يساله عن رجل مات لم يشهد
جمعة فقال في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يساله عن ذلك وهو يقول في النار
وفي الخبر ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا
الله له واخره لهذه الامه وجعله عيدا لهم فهم اول الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع
وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل في كفه مراه بيضا وقال هذه
الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت لنا فيها قال لكم فيها
خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم اعطاه الله او ليس له قسم ذخر له ما هو اعظم
او تعوذ من شر هو مكتوب عليه اعاذه الله تعالى من اعظم منه وهو سيد الايام عندنا
ونحن ندعوه في الاخره يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك اتخذ في الجنة واديا افيح من
مسك ابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا
الى وجهه وقال عليه السلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق الله ادم
وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط من الجنة الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله
يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السما وهو يوم النظر الى الله تعالى في الجنة
وفي الخبر ان لله عز وجل في كل جمعة ستمايه الف عتيق من النار وفي حديث
انس انه عليه السلم قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال عليه السلم ان الجحيم تسعر في
كل يوم قبل الزوال عند استوا الشمس في كبد السما فلا تصلوا في هذه الساعة
الا يوم الجمعة فانه صلاه كلها وان جهنم لا تسعر فيها وقال كعب ان الله تعالى
فضل من البلدان مكه ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة ويقال ان الطير
والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فيقول سلام سلام يوم صالح وقال عليه السلم من مات

يوم الجمعة

يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر.

بيان شروط يوم الجمعة

اعلم انها تشارك ساير الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط الاول
الوقت فلو وقعت تسليمة الامام في وقت العصر فاتت الجمعة وعليه ان يتمها ظهرا
والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيره خارجة عن الوقت فيه خلاف الثاني
المكان فلا تصح في الصحارى والبوادي وبين الخيام بل لابد من بقعة جامعة
لا ينفك تجمع اربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط حضور
السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استيذان منه الثالث العدد فلا تنعقد
باقل من اربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون شتا ولا صيفا فان
انفضوا حتى نقص العدد اما في الخطبة او في الصلاه لم تصح الجمعة بل لابد منهم من
الاول الى الاخر الرابع الجماعة فلو صلى اربعون في قريه او بلد متفرقين
لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا ادرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة
الثانية وان لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام
اتمه ظهرا الخامس ان لا تكون الجمعة مسبوقة باخرى في تلك البلدة فان تعذر
اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلثة بقدر الحاجة وان لم تكن حاجة
فالصحيح الجمعة التي وقع التحرم بها اولا واذا تحققت الحاجة فالافضل الصلاه
خلف الافضل من الامامين فان تساويا فالمسجد الاقدم وان تساويا فالاقرب
ولكثرة الناس ايضا فضل يرعى السادس الخطبتان فهما فرضان والقيام
فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى اربع فرايض التحميد واقله الحمد لله
الثانية الصلاة على رسول الله الثالث الوصية بتقوى الله الرابعة قراه اية من
القران وكذا فرايض الخطبة الثانية اربعة الا انه يجب فيه الدعا بدل القراه
واستماع الخطبة واجب من الاربعين واما السنن فاذا زالت الشمس
واذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاه سوى التحية والكلام لا
ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم بوجهه

ويردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه ولا يلتفت ويشغل يديه
بقائمة السيف والعنزة والمنبر كيلا يعبث بهما او يضع احداهما على الاخرى ويخطب خطبتين
بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى ويكون الخطبة قصيرة
بليغة جامعة ويستحب ان يقرا آية في الثانية ايضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب
فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطس ايضا هذه شروط
اما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على ذكر بالغ عاقل حر مسلم مقيم في
بلد يشتمل على اربعين جامعين لهذه الصفات او في قرية من سواد البلد يبلغها
نداء البلد من طرف يليها والاصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى اذا
نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ويرخص لهم في ترك الجمعة
لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم ثم يستحب لهم
تاخير الظهر الى ان يفرغ الناس من الجمعة وان حضر الجمعة مريض او مسافر او عبد
او امراة صحت جمعتهم واجزات عن الظهر

آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جمل

الاول ان يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء
والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة يوم الجمعة قال بعض
السلف ان لله فضلا سوى ارزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل الا من ساله عشية الخميس
ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب ان لم يكن عنده ويفرغ
قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة
فان له فضلا على سائره وليكن مضموما الى يوم الخميس او السبت لا مفردا فانه مكروه
ويشتغل باحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير ويسري عليها فضل
يوم الجمعة ويجامع اهله في هذه الليلة او في يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم
وحملوا عليه قوله عليه السلام رحم الله من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل الاهل على
الغسل وقيل معناه غسل ثيابه وروي بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا تتم آداب
الاستقبال ويخرج عن زمرة الغافلين الذين اذا اصبحوا قالوا ما هذا اليوم قال بعض

السلف

السلف اوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها وراعاها من الامس واخسهم نصيبا
من اذا اصبح يقول ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجلها الثاني
اذا اصبح ابتدا بالغسل بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر فاقربه الى الرواح احب
ليكون اقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلما الى
وجوبه قال النبي صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن
ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل وقال عليه السلام من شهد الجمعة من الرجال والنسا فليغتسلوا
وكان اهل المدينة يتسابون بينهم يقولون لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر
لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال
ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضات وخرجت فقال والوضوء ايضا وقد
علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يامر بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان
رضي الله عنه وبما روي انه عليه السلام قال من توضا يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل
افضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء مرة اخرى على نية الجمعة في غسل الجنابة وقد
دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال للجمعة فقال بل من جنابة فقال اعد غسلا
ثانيا وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وانما امره به لانه لم يكن نواه وكان
لا يبعد ان يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء
ايضا وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم احدث توضا
ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك الثالث الزينة وهي مستحبة
في هذا اليوم وهي ثلاثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة اما النظافة
فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وساير ما سبق في كتاب الطهارة
قال ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وادخل فيه شفاء فان
كان قد دخل الحمام في الاربعاء او الخميس فقد حصل المقصود وليتطيب في هذا
اليوم باطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والراحة
الى مشام الحاضرين في جواره واحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء

ما خفي ريحه وظهر لونه وروي ذلك في الاثر وقال الشافعي من نظف ثوبه قل همه
ومن طاب ريحه زاد عقله واما الكسوة فاحبها البيض من الثياب اذ احب الثياب الى الله
البيض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة
النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم وروى
واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمايم
يوم الجمعة فان كربه الحر فلا باس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزع في
وقت السعي من المنزل الى الجمعة وفي وقت الصلوة وعند صعود الامام المنبر وفي خطبته
السابع البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلثة وليبكر ويدخل
وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا
متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى الصلاة قاصدا المبادرة الى جواب نداء الله
تعالى اياه الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقال عليه السلام من راح الى الجمعة
في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح
في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكانما اهدى
دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت
الصحف واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء
لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء والساعة الاولى الى طلوع الشمس والثانية
الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حتى ترمض الاقدام والرابعة والخامسة
بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل
فيه وقال صلى الله عليه وسلم ثلث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا ركض الابل في طلبهن
الاذان والصف الاول والغدو الى الجمع قال احمد بن حنبل افضلهن الغدو الى
الجمع وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم
صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وجاء في الخبر ان
الملائكة يتفقدون العبد اذا تاخر عن وقته يوم الجمعة فيسال بعضهم بعضا عنه

ما فعل فلان

ما فعل فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان كان
اخره مرض فاشفه وان كان اخره شغل ففرغه وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك
وكان يرى في القرن الاول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوة من الناس يمشون في
السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كايام العيد حتى اندرس ذلك فقيل اول بدعة
احدثت في الاسلام ترك البكور وكيف لا يستحي المؤمنون من اليهود والنصارى وهم
يبكرون الى البيع والكنايس يوم السبت والاحد وطلاب الدنيا يبكرون الى رحاب الجامع
للبيع والربح فلم لا يسابقهم طلاب الاخرة ويقال ان الناس يكونون في قربهم عند النظر
الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمع ودخل ابن مسعود بكرة فراى ثلثة نفر
قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول لنفسه معاتبا اياها رابع اربعة وما
رابع اربعة ببعيد الخامس في هيئة الدخول ينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس
ولا يمر بين ايديهم والبكور يسهل ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو ان يجعل
جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس وروى ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب
يوم الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته
عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا قال يا نبي الله قد جمعت فقال اولم
ارك تتخطى رقاب الناس اشار به الى انه احبط عمله وفي حديث مسند انه قال ما منعك
ان تصلي معنا قال اولم ترني قال رايتك اناْت واذيت اي تاخرت عن البكور واذيت
بالحضور ومهما كان الصف الاول متروكا خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا
حظهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على
ابواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن في المسجد الا من يصلي فينبغي
ان لا يسلم فانه تكليف جواب في غير محله السادس ان لا يمر بين يدي الناس
ويجلس حيث الى قرب اسطوانة او حائط حتى لا يمرون بين يديه اعني بين يدي
المصلي فان ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال عليه السلام لان يقف اربعين
سنة خير له من ان يمر بين يدي المصلي وقال عليه السلام لان يكون الرجل رمادا

بسعيد خ

تذروه الرياح خير له من ان يمر بين يدي المصلي وفي حديث اخر لانه سوى بين المصلي والمار
حيث صلى على الطريق او قصر في الدفع فقال لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما
في ذلك لكان ان يقف اربعين سنة خير له من ان يمر بين يديه والاسطوانة والحائط والمصلي
المفروش حد المصلي من اجتازه ينبغي ان يدفع قال عليه السلم ليدفعه فان ابى فليدفعه
فان ابى فليقاتله فانه شيطان وكان ابو سعيد الخدري يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه
فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك فان لم يجد اسطوانة
فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة لحده السابع ان يطلب
الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه وفي الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا
من الامام واستمع كان له ذلك كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة ايام وفي لفظ اخر غفر
الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا
يغفل في طلب الصف الاول عن ثلثة امور اولها ان كان يرى قرب الخطيب منكرا يعجز
عن تغييره من لبس حرير من الامام او غيره او صلاة في سلاح كثير ثقيل شاغل او سلاح
مذهب او غير ذلك مما يجب الانكار عليه فالتاخر له اسلم واجمع للهم فعل ذلك
جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحارث نراك تبكر وتصلي في اخر الصفوف
فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد واشار به الى ان ذلك اسلم لقلبه
ونظر سفيان الثوري الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الخطبة من ابي جعفر فلما
فرغ من الصلاة قال شغل قلبي قربك من هذا هل امنت ان تسمع كلاما يجب عليك انكاره
فلا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من لبس السواد فقال يا ابا عبد الله اليس في الخبر ادن
واستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر
اليهم كان اقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب ابي الدرداء فجعل
يتاخر في الصفوف حتى كان في اخر صف فلما صلينا قلت له اليس يقال خير الصفوف
اولها قال نعم الا ان هذه امة مرحومة منظور اليها من بين الامم وان الله تعالى اذا نظر
الى عبد في الصلاة غفر لمن وراءه من الناس فانما تاخرت رجاء ان يغفر لي بواحد منهم

ينظر الله اليه وروى بعض الرواة انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تاخر على هذه
النية ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا باس وعند هذا يقال الاعمال بالنيات ثانيها
انه ان لم يكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب
والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن وبكر المزني لا يصليان في المقصورة
وراوا انها قصرت على السلاطين وهي بدعة احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المساجد
والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى انس بن مالك وعمران
ابن الحصين في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص
والمنع واما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع فلا يوجب الكراهة ثالثها ان المنبر
يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على
طرفيه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه
لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع ولا يبعد ان يقال الاقرب الى
القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى ويكره الصلاة في الاسواق والرحاب
الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب
الثامن ان يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام ايضا ثم
يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود
عند قيام المؤذنين ولم يثبت له اصل في اثر ولا خبر لكنه ان وافق سجود تلاوة
فلا باس ان يسجد للدعاء لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب
لتحريمه وقد روي عن علي وعثمان رضي الله عنهما من سمع وانصت فله اجران ومن لم يسمع
وانصت فله اجر واحد ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يسمع ولغا فعليه وزر واحد
وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصاحبه والامام يخطب انصت او صه فقد لغا ومن لغا والامام
يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات ينبغي ان يكون باشارة او رمي حصاة لا بالنطق
وفي خبر ابي ذر لما سال ابيا والنبي عليه السلم يخطب فقال متى انزلت هذه السورة
فاومى اليه ان اسكت فلما نزل عليه السلم قال اذهب فلا جمعة لك فشكاه ابو ذر الى النبي

صلى الله عليه وسلم فقال صدق ابي وان كان بعيدا عن الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم
وغيره بل يسكت فان ذلك يتسلسل ويفضي الى هينمة تنتهي الى المستمعين ولا يجلس
في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب واذا كان تكره
الصلاة في وقت خطبة الامام فالكلام اولى قال علي رضوان الله عليه تكره الصلاة في اربع
ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب التاسع
ان يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى
الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا
والمعوذتين سبعا سبعا فروي عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة
اللهم يا غني يا حميد يا مبدي يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك
عمن سواك فيقال من داوم على هذا الدعا اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا
يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان
يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة اربعا وروى علي وعبد الله ستا والكل
صحيح في احوال مختلفة والاكمل افضل العاشر ان يلازم المسجد حتى
يصلي العصر فان وقف الى المغرب فهو الافضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب
الحج ومن صلى المغرب فله ثواب عمرة فان لم يامن التصنع ودخول الافة عليه من نظر
الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا
لله تعالى مفكرا في الايه شاكرا على توفيقه خايفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه
الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع
وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يكون حديثهم في
مساجدهم امر دنياهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم

بيان الاداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق التي تعم جميع النهار وهي سبعة

الاول ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد الصلاة او بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص
فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان يخلو المريد في يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات
حتى توافيه

حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحضر الحلق قبل الصلاة روى عبد الله بن
عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما بالله
يذكر بايام الله تعالى ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيكون جامعا بين البكور
والاستماع واستماع العلم النافع في الاخرة افضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى
ابو ذر ان حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة قال انس بن مالك في قوله تعالى
فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اما انه ليس بطلب
دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة اخ في الله وقد سمى الله تعالى
العلم فضلا في مواضع قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
وقال ولقد اتينا داود منا فضلا يعني العلم فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من
افضل القربات والصلاة افضل من مجالس القصاص اذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون
القصاص من الجامع بكر ابن عمر الى مجلسه في المسجد فاذا قاص يقص في موضعه
فقال له قم عن مجلسي فقال لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه فارسل ابن عمر الى صاحب
الشرط فاقامه فلو كان ذلك من السنة لما جاز اقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم
اخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل
من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروي ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عايشة
فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد اذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر
عصا على ظهره ثم طرده الثاني ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة
ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى فيها شيا الا
اعطاه وفي خبر اخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل انها عند طلوع
الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الامام المنبر واخذ في الخطبة
وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل اخر وقت العصر اعني وقت الاختيار وقيل
قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتامر خادمها ان تنظر
الى الشمس فيؤذنها بسقوطها فتاخذ في الدعاء والاستغفار الى ان تغرب وتخبر بان

تلك الساعة هي الساعة المنتظرة وتأثره عن ايهما وقال بعض العلماء مبهمة هي جميع
اليوم مثل ليلة القدر هذا هو لا اشبه ولعبرة لا يكون يعلم المعامله ذكره ولهذا ينبغي ان يتعلق
بما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة
من جملة تلك الايام فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا له باحضار القلب
وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشي من تلك النفحات وقد قال
كعب الاحبار انها في اخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال ابو هريرة كيف
تكون اخر ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو في الصلاة فقال بلى
قال فذلك الصلاة فسكت ابو هريرة وكان كعب مايلا الى انها رحمة من الله تعالى
للقايمين بحق اليوم واوان ارسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف
مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعا فيهما الثالث يستحب ان يكثر الصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد قال من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة
غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم
صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة وان قلت اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه ادا واعطه الوسيلة والمقام المحمود
الذي وعدته واجزه افضل ما جزيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين
والصالحين يا ارحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع
جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وان اراد ان يزيد
اتى بالصلوات الماثورة فقال اللهم اجعل فضايل صلواتك ونوامي بركاتك وشرايف
زكواتك ورافتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم
رسل رب العالمين قايد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه
مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والاخرون اللهم
اعطه الفضل والفضيلة والدرجة الرفيعة والشرف والوسيلة والمنزلة الشامخة
المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مامولة واجعله اول شافع واول مشفع اللهم

عظم برهانه

عظم برهانه وثقل ميزانه وابلج حجته وارفع في اعلا المقربين درجته اللهم احشرنا
في زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا
حوضه واسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين
امين رب العالمين وعلى الجملة كلما اتى به من الفاظ الصلوات ولو المشهورة في التشهد كان مصليا
وينبغي ان يضيف اليه الاستغفار فان ذلك مستحب في هذا اليوم الرابع قراءة
القران فليكثر منه وليقرا سورة الكهف خاصة فقد روي ابن عباس وابو هريرة ان من قرا
سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطي نورا من حيث يقراها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى
وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الدا والدبيلة وذات الجنب
والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب ان يختم في يوم الجمعة وليلته ان قدر وان يكون ختمه
للقران في ركعتي الفجر ان قراها بالليل او في ركعتي الفرض ان قراها بالنهار او بين الاذان والاقامة
للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون ان يقرؤا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة
ويقال ان من قراها في عشر ركعات او عشرين فهو افضل من ختمه وكانوا يصلون على النبي عليه السلام
الف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وان قرا المسبحات
الست في يوم الجمعة او ليلة الجمعة فحسن وليس يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقرا سورا باعيانها
الا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرا في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا ايها الكافرون وقل هو
الله احد وكان يقرا في صلاة العشا الاخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين
وروي انه كان يقراهما في ركعتي الجمعة وكان يقرا في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمن
وسورة هل اتى على الانسان الخامس الصلوات يستحب اذا دخل الجامع ان لا
يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرا فيهن قل هو الله احد مايتي مرة في كل ركعة خمسين مرة
فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له
ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك الداخل فزع فقال الاوزاعي ان سكت له الامام صلاهما ويستحب في هذا اليوم
ان يصلي اربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن فيس

وبعده القمر وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور في ليلة الجمعة ففيه
فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو بمنزلة ختمه ويكثر من سورة الاخلاص ويستحب
له ان يصلي صلاة التسبيح كما سياتي في باب التطوعات روي انه صلى الله عليه وسلم قال صلها
في كل جمعة وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة في يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر
عن جلالة فضلها والاحسن ان يجعل وقته الى الزوال للصلوة وبعد الجمعة الى العصر
لاستماع العلم وبعده الى المغرب للتسبيح والاستغفار السادس
الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانه تضاعف الا على من سأل والامام يخطب
وكان يتكلم بكلام الامام فهذا مكروه قال صالح بن احمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام
يخطب وكان الى جنب ابي فاعطى رجل ابي قطعة ولم يعرف لينا وله اياها فلم ياخذ
منه ابي قال ابن مسعود اذا سال الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سال على
القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال الجامع الذين يتخطون رقاب
الناس الا ان يسال قايما او قاعدا في مكان من غير تخطي وقال كعب الاحبار من شهد
الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما
ثم يقول اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله
الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لا يسال الله شيئا الا اعطاه وقال
بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين سلم
الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسالك ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني
من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له السابع ان يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف
فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدئ فيه السفر فقد روي
ان من سافر ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا اذا فاتت
الرفقة ويكره بعض العلماء شرى الماء في المسجد من السقاء ليشربه او يسبله
حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فان البيع والشرى في المسجد مكروه وقالوا لا باس لو
اعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب او سبل في المسجد وبالجملة ينبغي ان يزيد في

الجمعة في

الجمعة في اوراده وانواع خيراته فان الله تعالى اذا احب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة
بفواضل الاعمال واذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيئ الاعمال ليكون اوجع في
عقابه واشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات
وسنذكرها في كتاب الدعوات

الباب السادس في مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد الى معرفتها

فاما المسائل التي تعم ماكره فقد استقصيناها في كتب الفقه مسألة الفعل
القليل وان كان لا يبطل الصلاة فمكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار او قتل العقرب
الذي يخاف ويمكن قتله بضربة او ضربتين فاذا صار ثلاثا فهو بطلت الصلاة وكذلك
القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته الى الحك الذي يشوش عليه
الخشوع كان معاذ ياخذ القملة والبراغيث في الصلاة وكان ابن عمر يقتل القملة حتى
يظهر الدم على يديه وقال النخعي ياخذها ويوهنها ولا شيء عليه ان قتلها وقال ابن المسيب ياخذها
ويخدرها ثم يطرحها وقال مجاهد احب الي ان يدعها الا ان تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر
ما لا تؤذي ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل ولذلك كان بعضهم
لا يطرد الذباب ويقول لا اعود نفسي ذلك فيفسد علي الصلاة وسمعت ان الفساق
يصبرون بين يدي الملوك على اذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا باس ان يضع يده
على فيه وهو الاولى وان عطس حمد الله في نفسه ولم يحرك لسانه وان تجشأ فلا يرفع
رأسه الى السماء ولو سقط رداؤه فلا ينبغي ان يسويه وكذا طرف عمامته فكل ذلك
مكروه الا لضرورة مسألة الصلاة في النعلين جائزة وان كان نزع النعلين سهلا
وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم قالوا رايناك
خلعت فخلعنا فقال ان جبريل اتاني واخبرني ان بهما خبثا فاذا اراد احدكم المسجد
فليقلب نعليه ولينظر فيهما فان راى خبثا فليمسحه بالارض وليصل فيهما وقال بعضهم
الصلاة في النعلين افضل لانه قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة لانه سالهم ليبين لهم سبب
خلعه اذ علم انهم خلعوا على موافقته وقد روى عبد الله بن السائب ان النبي صلى الله عليه وسلم

خلع نعليه فاذا فعل كلا منهما فينبغي ان لا يضع عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف
بل يضعه بين يديه ولا يتركه وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليه ولعل من راى الصلاة فيه افضل
راعى هذا المعنى وهو التفات القلب اليه وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا
تؤذ بهما مسلما ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم على يساره وكان اماما وللامام ان يفعل
ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى ان لا يضعهما بين قدميه فيشغلاه ولكن
قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه
بدعة مسئلة اذا بزق الرجل في صلاته لم تبطل صلاته لانه فعل قليل وما يحصل
به من صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا انه مكروه فينبغي ان يحترز عنه
الا كما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اذ روى بعض الصحابة انه عليه السلام راى في القبلة نخامة
فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ اثرها بزعفران
ثم التفت الينا فقال ايكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا لا اينا فقال ان احدكم اذا دخل
في صلاته فان الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ اخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن
احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله او تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة
فليبصق في ثوبه وليفعل به هكذا ودلك بعضه ببعض مسئلة لوقوف المقتدي
سنة وفرض اما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متاخرا عنه قليلا والمراة الواحدة
تقف خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم يضر ولكن خالفت السنة وان كان معها رجل
فيقف الرجل عن اليمين وهي خلف الرجل ولا يقف احد خلف الصف منفردا بل يدخل
في الصف او يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع
الكراهة اما الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين الامام والمقتدي رابطة جامعة
فانهما في جماعة فان كان في مسجد كفى ذلك جامعا لانه بني له فلا يحتاج الى اتصال
صف بل يجوز ان يعرف افعال الامام صلى ابو هريرة على ظهر المسجد بصلاة الامام واذا
كان المأموم على سطح المسجد او في طريق او في صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء

مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم وهي الرابطة اذ يصل فعل احدهما الى الاخر وانما يشترط
اذا وقف في صحن دار على يمين المسجد او يساره وبابها لاصق بالمسجد فالشرط ان يمتد صف
المسجد في دهليزها من غير انقطاع الى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه
دون من تقدم عليه وهذا حكم الابنية المختلفة فاما البناء الواحد والعرصة الواحدة كالصحراء
مسئلة المسبوق اذا ادرك اخر صلاة الامام فهو اول صلاته فليوافق الامام وليبن عليه
وليقنت في الصبح في اخر صلاة نفسه وان قنت مع الامام وان ادرك مع الامام بعض
القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبتدئ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها
وقدر على لحوقه في اعتداله في الركوع فليتم وان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض
الفاتحة حكم جميعها فيسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو في السورة فليقطعها
وان ادرك الامام في السجود او في التشهد كبر للاحرام وجلس ولم يكبر بخلاف ما اذا
ادركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوي لان ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات
للانتقالات الاصلية في الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة
ما لم يطمئن وهو في الركوع والامام بعد في حد الراكعين فان لم طمانينه الا بعد
مجاوزة الامام حد الراكعين فاته تلك الركعة مسئلة من فاتته الظهر
الى وقت العصر فليصل الظهر اولا ثم العصر فان ابتدأ بالعصر اجزأه ولكن ترك الاولى
واقتحم شبهة الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان
الجماعة بالاداء اولى وان صلى منفردا في اول الوقت ثم ادرك جماعة صلى في الجماعة
والله يحتسب احدهما وان نوى فائتة او تطوعا جاز وان كان قد صلى في الجماعة وادرك
جماعة اخرى فلينو الفائتة او النافلة فاعادة المؤداة بالجماعة مرة اخرى لا وجه له
وانما احتمل ذلك لدرك الجماعة مسئلة من صلى ثم راى على ثوبه نجاسة
فالاحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولو راى النجاسة في اثناء الصلاة رمى الثوب واتم الصلاة
والاحب استئناف الصلاة واصل هذا قصة خلع النعلين حيث اخبر جبريل عليه السلام بان
عليهما نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستانف الصلاة مسئلة من ترك التشهد الاول

ترك الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الاول او فعل فعلا سهوا وود ان يبطل الصلاة
تعمدا او شك فلم يدر اصلى ثلثا او اربعا اخذ باليقين وسجد سجدتي السهو قبل السلام
فان نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب وان سجد بعد السلام والحدث بطلت صلاته
فانه لما رغب في السجود كانه جعل سلامه نسيانا في غير محله فلم يحصل التحلل به
وعاد الى الصلاة ولذلك يستانف السلام بعد السجود وان تذكر سجود السهو بعد
خروجه من المسجد او بعد طول الفصل فقد فات مسئلة الوسوسة في نية
الصلاة سببه خبل في العقل او جهل بالشرع لان امتثال امر الله مثل امتثال امر غيره وتعظيمه
كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت ان انتصب قائما
تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله مقبلا عليه بوجهي سفه في عقله
بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما الا اذا قام
لشغل آخر او في غفلة واشتراط كون الصلاة ظهرا اداء فرضا في كونه امتثالا
كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع اقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث
سواه او قصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه او صبر فقام بعد
ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لابد وان تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها
في النفس في لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا
باللسان واما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكانه لم يفهم
النية فليس فيه الا انك دعيت الى ان تصلي في وقت فاجبت وقمت فالوسوسة
محض الجهل فان هذه المقصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة
ولا تكون مفصلة الآحاد في الذهن بحيث يطالعها الذهن ويتاملها وفرق
بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة
وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم
يتضمن علوما هي حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم
والتقدم والتاخر والزمان وان التقدم للعدم والتاخر للوجود فهذه العلوم منطوية

تحت العلم

تحت العلم بالحادث بدليل ان العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط او التاخر
او العدم او تاخر الوجود او تقدم العدم او الزمان المنقسم الى المتقدم والمتاخر فقال
ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله اني اعلم الحادث ومن الجهل
بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه ان يحضر في قلبه الظهرية
والادائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال
ولو كلف نفسه ذلك في القيام لاجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس
وهو ان يعلم ان امتثال امر الله في النية كامتثال امر غيره ثم ازيد عليه على سبيل الرخصة
والتسهيل واقول لو لم يفهم الموسوس النية الا باحضار هذه الامور في قلبه مفصلة ولم يتمثل
في نفسه الامتثال دفعة واحدة واحضر جملة ذلك في اثناء التكبير من اوله الى آخره
بحيث لم يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه ان يقرن الجميع به
باول التكبير او آخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مامورا به لوقع للاولين سؤال
عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على ان الامر على التساهل
فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغي ان يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة
ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد فيه وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها
من التحقيق في تفصيل العلوم والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العلماء الى معرفتها فاما
العامي فربما ضره سماعها ويهيج عليه الوسواس فلذلك تركناه مسئلة
لا ينبغي ان يتقدم الماموم على الامام في الركوع والسجود وفي الرفع منهما وفي سائر الاعمال
ولا ينبغي ان يساويه بل يتبعه ويقفو اثره فهذا معنى الاقتداء فان ساواه عمدا لم تبطل
صلاته كما لو وقف بجنبه غير متاخر عنه وان تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد
ان يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا اولى لان الجماعة اقتداء في
الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل اهم وانما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلا للمتابعة
في الفعل وتحصيلا لصورة التبعية اذ اللائق بالامام ان يتقدم والتقدم عليه في الفعل لا
وجه له الا ان يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير وقال اما يخشى الذي يرفع

رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو لم ينته بعد إلى حد الراكعين بطلت صلاته وكذلك إن وضع الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول **مسألة** حق على كل من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وإن صدر عن جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والإنكار على من يرفع رأسه قبل الإمام إلى غير ذلك من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود من رأى من يسيء في صلاته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة وجاء في الحديث أن بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر قال تفقدوا إخوانكم في الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فعودوهم وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم والعتاب إنكار على ترك الجماعة ولا ينبغي أن يتساهل فيه فقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى باب من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد يمين الصف فلذلك تزاحم الناس عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال عليه السلام من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرجه إلى خلف ويدخل فيه أعني إذا لم يكن بالغا هذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تعم بها البلوى وسيأتي أحكام الصلاة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى

الباب السابع في النوافل من الصلاة

اعلم أن ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيره لأن السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الأيام والليالي

في الأسبوع

في الأسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل أو الدخول فيه وأمثاله ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله تعالى بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكأنه متبرع به إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وتسمى الأقسام الثلاثة نوافل من حيث أن النفل هي الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا بالاصطلاح عليه تعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاتها في الفضل بحسب ما ورد فيها من الأخبار والآثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك نقول سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ثم الخسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها واعلم أن النوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب كالخسوف والاستسقاء وإلى ما يتعلق بأوقات والمتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة أو بتكرر السنة فالجملة أربعة أقسام القسم الأول ما يتكرر بتكرر الأيام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات الخمس وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد الأولى راتبة الصبح وهي ركعتان قال صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ويدخل وقتهما بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوله إلا أن يتعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإن القمر مع الفجر يطلع ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق إليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فرض الصبح

وهو طلوع الشمس ولكن السنة اداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلاة
فليشتغل بالمكتوبة قال صلى الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة
قام اليهما والصحيح انه اداء ما وقع قبل طلوع الشمس لانه تابع للفرض في وقته وانما
الترتيب بينهما سنة في التقديم والتاخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادف جماعة انقلب الترتيب
وبقي اداء والمستحب ان يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين
التحية ثم يجلس ولا يصلي الى ان يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح الى طلوع الشمس يستحب فيه
الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة الثانية راتبة الظهر وهي ست
ركعات ركعتان بعدها وهي سنة مؤكدة واربع قبلها وهي ايضا سنة وان كانت دون
الركعتين الاخيرتين روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى اربع ركعات بعد
زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون
له حتى الليل وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان
ابواب السماء تفتح في هذه الساعة فاحب ان يرفع لي فيها عمل ورواه ابو ايوب
الانصاري وتفرد به ودل عليه ايضا ما روت ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر واربعا
قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر حفظت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات وذكر ما ذكرته ام حبيبة الا ركعتي الفجر
فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتني اختي حفصة
انه كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد
العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر اكد من جملة الاربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال
والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة مائلا الى المشرق اذ يقع للشخص ظل
عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف
عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون
ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل في

الزيادة

الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال في علم
الله وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل
الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس
اول الجدي ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن
الطرق القريبة من التحقيق لمن احسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على
الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون احد اضلاعه من جانب القطب بحيث لو
توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى
الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اي لا يكون الخط
مائلا الى احد الضلعين ثم ينصب عمودا على الارض نصبا مستويا في موضع علامة
وهو بازاء القطب فيقع ظله في اول النهار مائلا الى جهة المغرب في صوب خط أ
ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على خط ب ج بحيث لو مد راسه لانتهى على استقامته
الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مائل الى احدهما فاذا بطل
ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذي على
اللوح الى جانب المشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب
من اول الزوال في علم الله تعالى ثم تعلم على راس الظل عند انحرافه علامة فاذا
صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا باس بمعرفته
في علم الزوال الثالثة راتبة العصر
وهي اربع ركعات قبل العصر روى ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله عبدا صلى اربعا قبل العصر ففعل ذلك على رجاء الدخول
في دعوة الرسول مستحب استحبابا مؤكدا فان دعوته مستجابة لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة
قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر الرابعة راتبة المغرب وهما ركعتان
بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فقد نقل عن
جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابي ذر وزيد بن ثابت قال عبادة او غيره

كان المؤذن اذا اذن لصلاة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون ركعتين وقال
بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا قد صلينا فيسأل
اصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله بين كل اذانين صلاة لمن شاء وكان احمد رح
يصليهما فعابه الناس فتركهما وقال لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال ان صلاهما
الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة
الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال وان
كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب
المشرق قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من هاهنا وادبر النهار من هاهنا فقد
افطر الصائم وليحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وان اخر واداها قبل
غيبوبة الشفق وقع اداء ولكنه مكروه واخر عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى
طلع نجم فاعتق رقبة واخر ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين الخامسة
راتبة العشاء الاخرة فاربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الاخرة اربع ركعات ثم نام واختار بعض العلماء ان
يكون مجموع الرواتب سبعة عشر كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح واربع قبل الظهر
وركعتان بعدها واربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلث بعد العشاء هو الوتر
ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد قال صلى الله عليه وسلم الصلاة
خير موضوع فمن شاء اكثر ومن شاء اقل فاذن اختيار كل مريد من هذه الصلوات
بقدر رغبته في الخير وقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها اكد من بعض وترك الاكد ابعد
لاسيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك ان لا تسلم له فريضة
من غير جابر السادسة الوتر قال انس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوتر بعد العشاء بثلث ركعات يقرأ في الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل
يا ايها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد وجاء في خبر انه كان صلى الله عليه وسلم
يصلي بعد الوتر جالسا ركعتين وفي بعضها متربعا وفي بعض الاخبار اذا اراد

اذا اراد ان يدخل

ان يدخل الى فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرأ فيهما اذا
زلزلت وسورة الهاكم التكاثر وفي رواية اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز الوتر
موصولا ومفصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بركعة وثلث وخمس وهكذا بالاوتار الى احدى عشرة والرواية مترددة في ثلث عشرة
وفي حديث شاذ سبعة عشر ركعة وكانت هذه الركعات اعني ما سميناه جملتها وترا
صلاته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتي فضلها
في كتاب الاوراد وفي الافضل خلاف قيل ان الايتار بركعة واحدة فردة افضل اذ
صح عنه عليه السلم انه كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل الموصول افضل للخروج
عن شبهة الخلاف لاسيما للامام اذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة صلاة فان
صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء او بعد
فرض العشاء نوى الوتر وصح لان شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا او ان يكون موترا
لغيره مما سبق قبله وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل العشاء لم يصح اي لا ينال فضيلة
الوتر الذي هو خير له من حمر النعم كما ورد به الخبر والا فركعة فردة صحيحة في اي وقت كان وانما
لم يصح لانه خرق اجماع الخلق في الفعل ولانه لم يتقدم ما يصيره وترا فاما اذا اراد
ان يوتر بثلث مفصولة ففي نية الركعتين نظر فانه ان نوى به التهجد او سنة
العشاء لم يكن من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا وانما الوتر ما بعده ولكن
الاظهر انه ينوي الوتر كما ينوي في الثلث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون
في نفسه وترا والاخر ان يصير وترا بما بعده فيكون مجموع الثلثة وترا والركعتان من جملة
الثلثة الا ان وتريته موقوفة على الركعة الثالثة واذا كان هو على عزم ان يوترهما بالثالثة
كان له ان ينوي بهما الوتر فالركعة الثالثة وتر في نفسها وموترة لغيرها والركعتان لا
يوتران غيرهما وليستا وترا في انفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما والوتر ينبغي ان يكون
اخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسيأتي فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب
بينهما في كتاب ترتيب الاوراد السابعة صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم

لا افعال وفي افضلها العدد كما انما فاكثر ما نقل فيه ثمان ركعات روت ام هاني
علي رضوان الله عليه انه صلى الضحى ثمان ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا العدد غيرها
فاما عايشة فانها ذكرت انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله فلم
تحد الزيادة اي انه كان يواظب علي الاربعة ولا ينقص منه وقد يزيد زيادات
وروي في حديث مفرد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات فاما وقتها
فقد روى علي رضوان الله عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ابوا في وقتين اذا
اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو اول الورد الثاني من اوراد النهار
كما سياتي واذا انبسطت [illegible] وكانت في ربع السماء من جانب الشرق وصلى
اربعا فالاول انما يكون اذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني اذا مضى من
النهار ربعه بازاء صلاة العصر فان وقته ان يبقى من النهار ربعه والظهر
على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال
كما ان العصر على منتصف ما بين الزوال الى الغروب هذا افضل الاوقات ومن
وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال الضحى على الجملة الثامنة احيا
ما بين العشائين سنة موكدة ومما نقل عدده من فعله صلى الله عليه وسلم بين العشائين
ست ركعات ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل انها المراد بقوله تتجافى جنوبهم عن
المضاجع وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ما بين المغرب والعشا فانها
من صلاة الاوابين وقال صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشا
في مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة او قران كان حقا على الله ان يبني له قصرين
في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس الله له بينهما غراسا لو طافه اهل
الدنيا لوسعهم وسياتي بقية فضائلها في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى

القسم الثاني ما يتكرر بتكرر الاسابيع وهي صلوات ايام الاسبوع
ولياليه لكل يوم ولكل ليلة اما الايام فنبدأ فيها بيوم الاحد روى ابو هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب

وآمن الرسول

وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات واعطاه ثواب
الف نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطاه الله في الجنة
بكل حرف مدينة من مسك اذفر وروى علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الاحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن
صلى بعد صلاة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة قرا في الركعة الاولى
فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم
تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين اخريين قرا فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة
وسال الله تعالى حاجته كان حقا على الله ان يقضي حاجته **يوم الاثنين**
روى جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين عند
ارتفاع النهار ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واية الكرسي مرة
وقل هو الله احد مرة والمعوذتين مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات
وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها وروى انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة
فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة فاذا فرغ قرا قل هو الله احد اثنتي عشرة مرة واستغفر
اثنتي عشرة مرة ينادي يوم القيامة اين فلان بن فلان ليقم فلياخذ ثوابه من الله فاول
ما يعطى من الثواب الف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة الف
ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور يتلالا
يوم الثلثا عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى يوم الثلثا عشر ركعات عند انتصاف النهار وفي حديث اخر عند
ارتفاع النهار يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة وقل هو الله احد
ثلث مرات لم تكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات
شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة **يوم الاربعا** روى ابو ادريس
الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعا

اثنا عشر ركعة عند ارتفاع النهار تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة
وقل هو الله احد ثلث مرات والمعوذتين ثلث مرات ناداه ملك عند العرش يا عبد الله
استأنف العمل فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله عنه عذاب القبر
وضيقته وظلمته ورفع عنه شدايد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي

يوم الخميس عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب مرة وآية
الكرسي مائة مرة وفي الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله احد مائة مرة ويصلي علي مائة مرة
اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج
البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله وتوكل عليه حسنة

يوم الجمعة
روى علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في يوم الجمعة ما من عبد
مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح او اكثر من ذلك فتوضأ واسبغ
الوضوء وصلى ركعتين سبحة الضحى ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه
مائتي سيئة ومن صلى اربع ركعات رفع الله له في الجنة اربعمائة درجة ومن صلى ثمان
ركعات رفع الله له في الجنان ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشر
ركعة كتب الله له الفا ومائتي حسنة ومحا عنه الفا ومائتي سيئة ورفع له في الجنان الفا
ومائتي درجة وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من دخل الجامع
يوم الجمعة فصلى فيه اربع ركعات قبل صلاة الجمعة وقرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله احد
خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له

يوم السبت
روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرأ في كل
ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب
الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صام نهارها وقام ليلها
واعطاه الله تعالى بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله تعالى مع النبيين
والشهداء واما الليالي

ليلة الاحد روى انس بن مالك رضي الله عنه في ليلة الاحد

انه صلى الله

انه صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة وقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله احد
خمسين مرة والمعوذتين مرة واستغفر الله مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة
وصلى على النبي مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ الى حول الله وقوته ثم قال اشهد ان لا
اله الا الله وان آدم صفوة الله وفطرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى
روح الله ومحمد حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا
وبعثه الله يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين

ليلة الاثنين روى الاعمش عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات قرأ في الركعة الاولى الحمد وقل هو الله احد
احد عشر مرة وفي الركعة الثانية الحمد وقل هو الله احد احد وعشرين مرة وفي الثالثة الحمد مرة
وقل هو الله احد احد وثلثين مرة وفي الرابعة اربعين مرة ثم سلم وقرأ قل هو الله احد خمسا
وسبعين مرة ثم يسأل الله حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سؤله كما سأل وهي تسمى صلاة الحاجة

ليلة الثلثاء تصلي ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين
خمس عشرة مرة وبعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله خمس عشرة مرة

ليلة الاربعاء
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرأ في اول ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الفلق عشر مرات
وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الناس عشر مرات نزل من السماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة
وروت فاطمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ست ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الآية
فاذا فرغ من صلاته يقول سبعين مرة جزى الله محمدا عنا ما هو اهله غفر الله له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار

ليلة الخميس قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب
والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد
خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله خمس عشرة مرة وجعل
ثوابه لوالديه فقد ادى حق والديه عليه ولو كان عاقا لهما واعطاه الله عز وجل ما يعطي
الصديقين والشهداء

ليلة الجمعة قال جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل
هو الله احد احدى عشرة مرة فكانما عبد الله اثنتي عشرة سنة صام نهارها وقام ليلها
وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة

ثم صلى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر
ثلث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكانما احيا ليلة القدر وقال
صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة في الليلة الغرا واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة
ليلة السبت قال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت
بين المغرب والعشا اثنى عشرة ركعة بني له قصر في الجنة وكانما تصدق على كل مؤمن
ومومنة وتبرا من اليهودية وكان حقا على الله ان يغفر له القسم
الثالث في ذكر صلاة السنين وهي اربعة صلاة العيدين وهي سنة موكدة وشعار من
شعار الدين وينبغي ان يراعي فيهما سبعة امور الاول التكبير لما انقضا
فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا
اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويفتتح ليلة الفطر الى الشروع في صلاة
العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى اخر النهار من يوم الثالث
عشر وهذا اكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل ويكون عقيب
الفرائض اكد الثاني اذا اصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما
ذكرنا في الجمعة والردا والعمامة هو الافضل للرجال وليجتنب الصبيان الحرير
والعجائز التزين عند الخروج الثالث ان يخرج من طريق ويرجع من
طريق اخرى هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يامر باخراج العواتق
وذوات الخدور الرابع المستحب الخروج الى الصحرا الا بمكة وبيت المقدس
وان كان يوم مطر فلا باس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم الصحو ان يامر الامام رجلا يصلي بالضعفة
في المسجد ويخرج بالاقويا مكبرين الخامس يراعي الوقت فوقت العيد ما بين طلوع
الشمس الى الزوال ووقت الضحايا ما بين ارتفاع الشمس بعد بعض وخطبتين الى
اخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلوة الاضحى لاجل الذبح وتاخير صلاة الفطر لاجل
تاخير صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم السادس في كيفية
الصلاة فليخرج الناس مكبرين في الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل

وللناس التنفل

وللناس التنفل ثم ينادي مناد الصلاة جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى
سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر ويقول وجهت وجهي عقيب تكبيرة الاستفتاح ويوخر الاستعاذة
الى ما بعد الثامنة ويقرا سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية
والتكبيرات الزوايد في الثانية خمس سوى تكبيرة القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه
ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها السابع
ان يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش وذبح بيده وقال بسم الله والله
اكبر اللهم هذا عني وعمن لم يضح من امتي وقال من راى هلال ذي الحجة واراد ان
يضحي فلا ياخذ من شعره ولا من اظفاره وقال ابو ايوب الانصاري كان الرجل
يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة عن اهل بيته فياكلون ويطعمون
وله ان ياكل من الضحية بعد ثلثة ايام فما فوق وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه
وقال سفين الثوري يستحب ان يصلي بعد عيد الفطر اثنى عشر ركعة وبعد عيد الاضحى
ست ركعات وقال هو من السنة التراويح وهي عشرون ركعة
مشهور وهي سنة موكدة وان كانت دون صلاة العيدين واختلفوا في ان الجماعة فيها
افضل ام الانفراد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلتين او ثلثا للجماعة ثم لم يخرج
وقال اخاف ان توجب عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة
حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحي فقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضي الله عنه
ولان الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرايض ولانه ربما يكسل في الانفراد
وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لان هذه سنة ليست من الشعاير
كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد اولى ولم يشرع فيها جماعة وقد جرت
العادة بان يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم فضل
صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل المكتوبة في المسجد على صلاته في بيته وروي
انه قال صلاة في مسجدي هذا افضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في

المسجد الحرام افضل من الفرض الذي في مسجدي وافضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية ركعتين
لا يعلمهما الا الله وهذا لان الرياء والتصنع ربما يتطرق اليه في الجمع ويامن منه في
الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار ان الجماعة افضل كما راه عمر فان بعض النوافل قد
شرع فيها الجماعة وهذا جدير بان يكون من الشعائر التي تظهر واما الالتفات الى الرياء في الجمع والكسل
في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث انه جماعة وكان قائله يقول الصلاة
خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء فلنفرض المسالة فيمن يثق بنفسه انه لا يكسل لو
انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فايهما افضل له فمدار النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص
وحضور القلب في الوحدة فيجوز ان يكون في تفضيل احدهما على الاخر تردد ويستحب
القنوت في الوتر في النصف الاخير من رمضان   اما صلاة رجب فقد روي باسناد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء
والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب
مرة وانا انزلناه في ليلة القدر ثلث مرات وقل هو الله احد اثنتي عشرة مرة فاذا
فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى اله ثم يسجد ويقول
في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع راسه ويقول سبعين
مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول
فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسال حاجته في سجوده فانها تقضى قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يصلي احد هذه الصلاة الا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل
زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيامة في
سبعمائة من اهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلاة مستحبة وانما اوردناها في
هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كان لا يبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلاة العيد
لان هذه صلاة نقلها الاحاد ولكني رايت اهل القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون
بتركها فاحببت ايرادها   اما صلاة شعبان فليلة الخامس عشر منه
يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة في كل ركعة يقرا بعد الفاتحة قل هو الله احد

عشر مرات

عشر مرات وان شاء صلى عشر ركعات يقرا في كل ركعة بعد فاتحة الكتاب مائة مرة قل هو الله
احد فهذا ايضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمون هذه
الصلاة صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة عن الحسن انه قال حدثني ثلثون
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلاة هذه الليلة نظر الله تعالى اليه
سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة   القسم الرابع
من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة كصلوة الكسوف
والخسوف والاستسقا وصلاة الجنازة وتحية المسجد وركعتا الوضوء وركعتان بعد
الاذان والاقامة وركعتان عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظاير ذلك
فنذكر منها ما يحضر الان   الاولى صلاة الخسوف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فافزعوا
الى ذكر الله والى الصلاة قال ذلك لما مات ولده ابرهيم وكسفت الشمس فقال الناس
انما كسفت الشمس لموته والنظر في كيفيتها ووقتها اما الكيفية فاذا كسفت الشمس
في وقت مكروه او غير مكروه نودي الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين
وركع في كل ركعة ركوعين اوائلها اطول من اواخرها ولا يجهر فيقرا في الاولى من قيام
الركعة الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وال عمران وفي الثالثة
الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة والمائدة او مقدار ذلك من القران
من حيث اراد فان اقتصر على الفاتحة في كل قيام اجزاه ولو اقتصر على سور قصار
فلا باس ومقصود التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء ويسبح في الركوع الاول قدر
مائة اية وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن
السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويامر
الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر الا انه يجهر فيها لانها
ليلية   اما وقتها فعند ابتداء الخسوف الى تمام الانجلاء ويخرج وقتها
بان تغرب الشمس خاسفة ويفوت خسوف القمر بان تطلع قرص الشمس اذ يبطل سلطان

القمر ولا يفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل كله سلطان القمر وان انجلى في اثناء
الصلاة اتمها خفيفة وان ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاته تلك الركعة لان الاصل
هو الركوع الاول السادسة صلاة الاستسقا فاذا غارت الانهار وانقطعت
الامطار او انهارت قناة فيستحب للامام ان يامر الناس اولا بصيام ثلثة ايام وما
اطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم يوم الرابع
وبالعجائز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد
وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتهم في الحاجة ولقوله عليه السلم لولا صبيان رضع ومشايخ
ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج اهل الذمة متميزين لم يمنعوا
فاذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحرا نودي الصلاة جامعة وصلى بهم الامام ركعتين
مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة وليكن الاستغفار معظم
الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة الثانية ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول
رداه في هذه الحالة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجعل اعلاه
اسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس
ويدعون في هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم ويختم الخطبة ويدعون اردئتهم محولة
كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول في الدعا اللهم امرتنا بدعائك
ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا
بمغفرة ما قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة رزقنا ولا باس بالدعا ادبار الصلوات
في الايام الثلثة قبل الخروج ولهذا الدعا اداب وشروط باطنة من التوبة ورد
المظالم وغيرها وسياتي في كتاب الدعوات السابعة صلاة الجنازة وكيفيتها
مشهورة واجمع دعا ماثور ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جنازة فحفظت من دعائه يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم
نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب
الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا

خيرا من زوجه

خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال عوف
تمنيت ان اكون ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة الثانية من صلوة الجنازة فينبغي ان يراعي ترتيب
صلاة نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيره الذي فاته كفعل
المسبوق فانه ان بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلاة معنى والتكبيرات هي
الاركان الظاهرة وجدير ان تقام مقام الركعات في سائر الصلوات هذا هو الاوجه
عندي وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلاة الجنازة وتشييعها
مشهورة فلا نطول بايرادها وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات انما تصير
نفلا في حق من لم يتعين عليه بحضور غيره ثم ينال به فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم
بجملتهم قاموا بما هو فرض واسقطوا الحرج عن غيرهم ولا يكون ذلك نفلا لا يسقط به
فرض عن احد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتماله على ذي
دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما انه مات ابن له فقال يا كريب انظر
ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فاخبرته قال تقول هم
اربعون قلت نعم قال اخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم
يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه واذا
شيع الجنازة فوصل المقابر او دخلها ابتدا قال السلم على اهل الديار من المؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ويرحم الله المستقدمين منا والمستاخرين وانا ان شا الله بكم
لاحقون والاولى ان لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوي على الميت قبره قام عليه
وقال اللهم عبدك رد اليك فارءف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح
ابواب السماء لروحه وتقبله منه وتقول ان كان محسنا فضاعف له في احسانه
وان كان مسيا فتجاوز عنه الرابعة تحية المسجد ركعتين فصاعدا
سنة موكدة حتى انها لا تسقط وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد
وجوب الاصغا الى الخطيب ولو اشتغل بفرض او قضا تادى به التحية وحصل الفضل اذ
المقصود ان لا يخلو ابتدا دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا

يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فإن دخل لعبور أو جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر يقولها أربع مرات إنها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي
أنه لا يكره التحية في أوقات الكراهية وهي بعد العصر والصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع
والغروب لما روي أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما
ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فأفاد هذا الحديث فائدتين إحداهما
أن الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن أضعف الأسباب قضاء النوافل إذ اختلف العلماء
في النوافل هل تقضى وإذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء فإذا انتفت الكراهية بأضعف
الأسباب فبالحري أن تنتفي بدخول المسجد فهو سبب قوي ولذلك لا تكره صلاة الجنازة إذا
حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لأن لها أسبابا الفائدة
الثانية قضاء النوافل إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولنا به أسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة
وقد قال العلماء من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فإذا سلم قضى وأجاب وإن كان
المؤذن قد سكت ولا معنى الآن لقول من يقول إن ذلك مثل الأول وليس بقضاء إذ لو
كان كذلك لما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهية نعم من كان له ورد
فعاقه عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرخص لنفسه في تركها بل يتداركها في وقت آخر
كيلا تميل نفسه إلى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولأنه عليه السلام
قال أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل فيقصد به أن لا يفتر في دوام عمله وروت عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله تعالى فيحذر أن
يدخل تحت هذا الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله بتركه ملالة فلولا المقت
والإبعاد لما سلطت الملالة عليه الخامسة ركعتان بعد الوضوء مستحبة لأن
الوضوء قربة ومقصودها الصلاة والأحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل الصلاة فينتقض
الوضوء ويضيع السعي والمبادرة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف
ذلك بحديث بلال إذ قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم

سبقتني إلى الجنة فقال بلال لا أعرف شيئا إلا أني لا أحدث وضوءا إلا أصلي عقيبه ركعتين
أو كما قال السادسة ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى أبو سلمة
رضي الله عنه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرجت من المنزل فصل ركعتين
تمنعانك مخرج السوء وفي معنى هذا كل أمر يبتدأ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان
عند الإحرام وركعتان عند ابتداء السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل
دخول البيت وكل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الصالحين إذا
أكل أكلة صلى ركعتين وإذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل أمر يحدثه وبداية الأمور
ينبغي أن يتبرك فيها باسم الله تعالى وهي على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالأكل والشرب
فيبدأ فيها باسم الله تعالى قال عليه السلام كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر
الثانية ما لا يتكرر وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة والمستحب فيها
أن يبدأ بحمد الله سبحانه فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت النكاح وكانت
عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد
الثالثة ما لا يتكرر كثيرا وإذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشرى دار جديدة
والإحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول
فإنه نوع سفر خفيف السابعة صلاة الاستخارة فمن هم بأمر وكان لا يدري
عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو الإقدام عليه فقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن
يصلي ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الفاتحة
وقل هو الله أحد فإذا فرغ دعا وقال اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك
فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا
الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي ثم يسره لي وإن
كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني
عنه واصرفه عني واقدر لي الخير أينما كنت إنك على كل شيء قدير ورضني به رواه
جابر عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا

من القرآن وقال اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم يسمي الامر ويدعو بما ذكرناه
وقال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن
اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي
المشورة لم يمنع الصواب الثامنة صلاة الحاجة فمن ضاق عليه الامر ومسته
حاجة في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روي عن وهيب
ابن الورد انه قال ان من الدعا الذي لا يرد ان يصلي العبد ثنتي عشرة ركعة يقرا في
كل ركعة بام القرآن وآية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال
سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف المجد وتكرم به سبحان
الذي احصى كل شي بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن
والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول اسالك بمعاقد العز من
عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك
التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد ثم يسال حاجته التي لا
معصية فيها فيجاب ان شا الله تعالى قال وهيب وبلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم
فيتعاونون على معصية الله تعالى التاسعة صلاة التسبيح فهذه
الصلاة ماثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا سبب ويستحب ان لا يخلو الاسبوع
عنها مرة واحدة او الشهر فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك بشي
اذا انت فعلته غفر الله ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه خطاه وعمده
سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة
فاذا فرغت من القراة في اول ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها
عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا
ثم ترفع راسك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع

ركعات

ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة
فان لم تفعل ففي كل شهر مرة وفي رواية اخرى انه يقول في اول الصلاة سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة
قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقي عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجدة الاخيرة
قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلاثمائة
تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين احسن
اذ ورد ان صلاة الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه هي الصلوات
الماثورة ولا يستحب شي من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا تحية المسجد
وما اوردناه بعد التحية من ركعتي الوضو وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة
فلا لان النهي موكد وهذه الاسباب ضعيفة ولا تبلغ درجة الخسوف والاستسقا
والتحية وقد رايت بعض المتصوفة يصلي في الاوقات المكروهة ركعتي الوضو وهو في
غاية البعد لان الوضو لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضو فينبغي ان يتوضا
ليصلي لا انه يصلي لانه توضا وكل محدث يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له الا ان
يتوضا ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغي ان ينوي ركعتي الوضو كما ينوي ركعتي
التحية بل اذا توضا صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوه كما كان يفعله بلال فهو
تطوع محض يقع عقيب الوضو وحديث بلال لم يدل على ان الوضو سبب كالخسوف
والتحية حتى ينوي ركعتي الوضو فيستحيل ان ينوي بالصلاة الوضو بل ينبغي ان ينوي
بالوضو الصلاة وكيف ينتظم ان يقول في وضوه اتوضا لصلاتي وفي صلاته يقول
اصلي لوضوي بل من اراد ان يحرس وضوه عن التعطل في وقت الكراهية فلينو قضاء
اذ يجوز ان يكون في ذمته قضا صلاة تطرق اليها خلل بسبب من الاسباب فان
قضا الصلوات في اوقات الكراهية غير مكروه فاما نية التطوع فلا وجه له ففي
النهي في اوقات الكراهة مهمات ثلث احدها التوقي عن

مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز عن انتشار الشياطين اذ قال عليه السلم
ان الشمس لتطلع ومعها قرن شيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا
استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها
ونهى عن الصلوات في هذه الاوقات ونبه به على العلة الثالث ان سالكي
طريق الاخرة لا يزالون يواظبون على الصلاة في جميع الاوقات والمواظبة
على نمط واحد من العبادات تورث الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط
وانبعثت الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الاوقات زيادة
تحريض وبعث على انتظار انقضا الوقت فخصصت هذه الاوقات بالتسبيح والاستغفار
حذرا من الملال بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع الى نوع اخر ففي الاستطراف
والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلاة
سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من اعمال
مختلفة واذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال
اليها ولو واظب على الشي الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امورا
مهمة في النهي عن اوقات الكراهة الى غير ذلك من اسرار اخرى ليس في قوة
البشر الاطلاع عليها والله ورسوله اعلم بها فهذه المهمات لا تترك الا باسباب
مهمة في الشرع مثل قضا الصلوات وصلاة الاستسقا والخسوف وتحية المسجد
فاما ما ضعف عنها فلا ينبغي ان يصادم بها مقصود النهي هذا هو الاوجه عندنا
والله اعلم بالصواب والحمد لله العلي وصلواته على سيدنا محمد وآله

كتاب اسرار الزكوة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اسعد واشقى واماتَ
واحيا واضحك وابكى واوجد وافنى وافقر واغنى واضر واقنى الذي خلق الحيوان
من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنا ثم خصص بعض عباده بالحسنى فافاض
عليهم من نعمه ما ايسر به من شا واستغنى واحوج اليه من اخفق في رزقه واكدى اظهارا للامتحان
والابتلا ثم جعل الزكوة للدين مبنى وبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن بخله تدسى
من تدسى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى اصحابه المخصوصين
بالعلم والتقى اما بعد فان الله تعالى جعل الزكوة احدى مباني الاسلام
واردف بذكرها الصلاة التي هي اعلى الاعلام فقال اقيموا الصلاة واتوا الزكوة
وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة
وايتا الزكوة وشدد الوعيد على المقصرين فيه فقال والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ومعنى الانفاق في سبيل الله
اخراج حق الزكاة قال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر ابو ذر رضي
الله عنه فقال بشر الكافزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من قبل اقفائهم
يخرج من جباههم وفي رواية انه يوضع على حلمة ثدي احدهم فيخرج من نغض
كتفه ويوضع على نغض كتفه فيخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال ابو ذر رضي الله عنه انتهيت
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب
الكعبة فقلت من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من
بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر
ولا غنم لا يؤدي زكوتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه
بقرونها وتطاه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت اليه اولاها حتى يقضى بين الناس
واذ كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن اسرار
الزكوة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار

على ما لا يستغني عن معرفتها مؤدي الزكاة ونقابضها ونكشف ذلك في اربعة فصول

~~الفصل الاول في انواع الزكاة واسباب وجوبها~~ ~~الفصل الثاني في اداء الزكاة وشروطها الظاهرة والباطنة~~

~~الفصل الثالث في القابض وشروط استحقاقه واداب قبضه~~ ~~الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها~~

~~الفصل الاول في انواع الزكاة واسباب وجوبها~~

والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة انواع زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر. النوع الاول زكاة النعم ولا تجب هذه الزكاة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه فاما المال فشروطه خمسة ان يكون نعما سايمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال. الشرط الاول كونه نعما فلا زكاة الا في الابل والبقر والغنم اما الخيل والحمير والمتولد بين الظبا والغنم لا زكاة فيها. الثاني السامة فلا زكاة في معلوفة واذا اسيمت في وقت وعلفت في وقت تظهر به مؤنته فلا زكاة فيه. الثالث الحول قال النبي صلى الله عليه وسلم لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى عن هذا نتاج المال فانه ينسحب عليها حكم المال وتجب الزكاة فيها بحول الاصل ومهما باع المال في اثنا الحول او وهب انقطع الحول. الرابع كمال النصاب والتصرف فيجب الزكاة في الماشية المرهونة لانه الذي جر على نفسه ذلك ولا تجب في المال المغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فيجب زكاة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين مستغرق فلا زكاة عليه لانه ليس غنيا به اذ الغنا ما يفضل عن الحاجة. الخامس كمال النصاب اما الابل فلا شي فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضان والجذعة التي تكون في السنة الثانية او ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة ثلاث شياه وفي عشرين اربع وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فان لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة وفي ست وثلاثين بنت لبون الى ست واربعين

ففيها حقة

ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلاثين استقر الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون واما البقر فلا شي فيها حتى تبلغ ثلاثين ثم فيها تبيع وهي التي في السنة الثانية ثم في اربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك في كل اربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع واما الغنم فلا زكاة فيها حتى تبلغ اربعين ففيها جذعة من الضان او ثنية من المعز ثم لا شي فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه الى اربع مائة ففيها اربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصاب فاذا كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلاثة مائة وعشرون ففيها شاة على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط ان يريحا معا ويسقيا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا ويحلب معا وان يكونا جميعا من اهل الزكاة فلا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ومهما نزل في واجب الابل عن سن الى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت المخاض في النزول ولكن يضم اليه جبران السن لسنة واحدة شاتين او عشرين درهما ولسنتين اربع شياه او اربعين درهما وله ان يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود ويأخذ الجبران من الساعي من بيت المال ولا يؤخذ في الزكاة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ولو كان واحدا ويؤخذ من الكرام كرايم ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الا كولة ولا الماخض ولا الربى ولا فحل المال. النوع الثاني زكاة المعشرات يجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمان مائة منا ولا شي فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب ويعتبر ان يكون ثمانمائة من تمرا وزبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج بعد التجفيف ويكمل مال احد

الخليطين بمال الاخر في خلطة الشيوع مثل البستان المشترك بين ورثة لجمعهم ثمار ماله
من من زبيب فيجب علي جميعهم ثمانون منا من زبيب بعدد حصصهم ولا يعتبر خلطة
الجوار هنا ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه
هذا قدر الواجب ان كان يسقى سيحا او قناة فان كان يسقى بنضح او دالية فيجب
نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر واما صفة الواجب فالتمر والزبيب
اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يوخذ عنب ولا رطب الا اذا احتاجت
الاشجار اليه وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الادراك فيوخذ الرطب
ويكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة
بيع بل يرخص في مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب ان يبدو الصلاح في الثمار
وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف

النوع الثالث

زكوة النقدين فاذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم
وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهم ونصاب الذهب عشرون دينارا خالصا
بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه فان نقص من النصاب حبة فلا زكوة وتجب
على من له دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكوة
في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال
ولا تجب في الحلي المباح وتجب في الدين الذي على ملي ولكن تجب عند الاستيفاء
وان كان موجلا فلا تجب الا بعد حلول الاجل

النوع الرابع

زكوة التجارة وهي كزكوة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشترى
البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا واشترى بعرض على نية التجارة
فالحول من وقت الشري ويودي الزكوة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به
الشرا نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به اولى من نقد البلد ومن نوى التجارة
في مال لا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل
تمام الحول سقط الزكوة والاولى ان يودي زكوة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة

في آخر الحول

في اخر الحول وجب الزكوة فيها بحول راس المال ولم يستانف له حول كما في النتاج
واموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكوة
ربح مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة هذا هو الاقيس

النوع الخامس

الركاز والمعدن والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر عليها في
الاسلام ملك فعلى واجدها في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والاولى
ان لا يعتبر النصاب ايضا لان ايجاب الخمس يوكد شبهه بالغنيمة واعتبار النصاب
ليس بعيد لان مصرفه مصرف الزكوات ولذلك يختص على الصحيح بالنقدين واما
المعادن فلا زكوة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيهما بعد الطحن والتحصيل
ربع العشر على اصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان وفي قول يجب
الخمس فعلى هذا لا يعتبر النصاب وفي النصاب قولان والاشبه والعلم عند الله ان
يلحق في قدر الواجب بزكاة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لانه
عين الزهو ويعتبر النصاب كالمعشرات ولو احتاط ان يخرج الخمس من القليل والكثير
ومن غير النقدين ايضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض
[illegible] والتسوية بينهما مخطر لتعارض الاشتباه

النوع السادس

صدقة الفطر وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته
يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منوان وثلثا
من يخرجه من جنس قوته او افضل منه فان اقتات الحنطة لم يجز الشعير وان اقتات
حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزاه وقسمتها كقسمة زكوات الاموال
فيجب فيها استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل
المسلم فطرة زوجته ومماليكه واولاده وكل قريب هو في نفقته اعني من يجب عليه
نفقته من الاباء والامهات والاولاد قال صلى الله عليه وسلم ادوا صدقة الفطر عمن تمونون
ويجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا يجب صدقة العبد الكافر وان تبرعت الزوجة
بالاخراج عن نفسها اجزاتها وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنده

قوت

وان نودي عن بعضهم ادي عن بعضهم واولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
نفقة الولد على نفقة الوالد ونفقة الزوجة على نفقة الولد فهذه احكام فقهية لا بد للغني
من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله ان يستفتي فيها علماء الدين
عند نزول الواقعة بعد الاحاطة بهذا القدر

الفصل الثاني في الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة

بيان الشروط الظاهرة

اعلم انه يجب على مؤدي الزكاة مراعاة خمسة امور الاول النية وهو ان ينوي
بقلبه زكاة الفرض وليس عليه تعيين الاموال وان كان له مال غائب فقال هذا عن
مالي الغائب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه ان لم يصرح به فكذلك يكون عند
اطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام
نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن في ظاهر حكم الدنيا اعني في قطع المطالبة
عنه اما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى ان يستانف الزكاة واذا
وكل باداء الزكاة ونوى عند التوكيل او وكل الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية
الثاني البدار عقيب الحول وفي زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل
وقت وجوبها بغروب الشمس آخر يوم من رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن
اخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق
وان اخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جائز بشرط
ان يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكاة حولين ومهما عجل فمات
المسكين قبل الحول او ارتد او صار غنيا بغير ما عجل اليه او تلف مال المالك او مات
فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن
المعجل مراقبا آخر الامر وسلامة العاقبة الثالث ان لا يخرج بدلا باعتبار
القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزي ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق
وان زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي رضي الله عنه يتساهل في ذلك
ويلاحظ المقصود في سد الخلة وما ابعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس

هو كل المقصود

هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة اقسام قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ
والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات اذ لا حظ للجمرة في وصول الحصى اليها فمقصود
الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى لان ما
يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعو اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية
اذ العبودية تظهر بان تكون الحركة لحق امر المعبود لا لمعنى آخر واكثر اعمال
الحج كذلك ولذلك قال عليه السلام في احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على
ان ذلك اظهار العبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما امر من غير استيناس
العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه القسم الثاني من واجبات الشرع ما المقصود
منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم
لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه عند رضاه
تادى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما
جميع الناس القسم الثالث هو المركب الذي يقصد منه الامران جميعا وهو
حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ رد الحقوق
فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي ان ينسى
ادق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكاة
من هذا القبيل ولم ينتبه له غير الشافعي فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو
جلي سابق الى الافهام وحق التعبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره
صارت الزكاة قرينة الصلاة والحج في كونها من مباني الاسلام ولا شك في ان على
المكلف تعبا في تمييز اجناس امواله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه
وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سياتي والتساهل فيه غير قادح في حظ
الفقير لكنه قادح في التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها
في كتب الخلاف من الفقهيات ومن اوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة
فعدل عن الابل ولم يعدل الى النقدين والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود في ايدي العرب

لبطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الساعي فلم يذكر في الجبران بدل النقصان من القيمة
ولم يقدر بعشرين درهما وشاتين إن كان الشأن في الجنس ولم تتعبد كلها في معناها فهذا وأمثاله
من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين
المعنيين والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا مثال الغلط فيه
الرابع أن لا ينقل الزكاة إلى بلد آخر فإن أعين المساكين في كل بلدة تمتد إلى
أموالها وفي النقل تخييب للظنون وإن فعل ذلك أجزأه في قول ولكن الخروج عن شبهة
الخلاف أولى فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء في تلك
البلدة الخامس أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين في بلده فإن استيعاب
الأصناف واجب عليه ويدل عليه قوله تعالى إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية فإنه
يشبه قول المريض إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين وذلك يقتضي التشريك في التمليك
والعبادات ينبغي أن يتوقى فيها عن الهجوم على الظواهر وقد عدم من الثمانية
صنفان في أكثر البلاد وهم المؤلفة والعاملون على الزكاة ويوجد في جميع البلاد
أربعة أصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون أعني أبناء السبيل وصنفان
توجد في بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة والمكاتبون فإن وجد خمسة أقسام
مثلا قسم زكاة ماله خمسة أقسام متساوية وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل
قسم ثلاثة أسهم فما فوقها إما متساوية وإما متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد
الصنف فإن له أن يقسمه من عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد وأما الأصناف
فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي أن ينقص في كل صنف من ثلاثة إن وجد ولو لم يجد
إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفرا ولو نقص
منه واحد مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد فإن عسر عليه ذلك لقلة الواجب
فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم أو ليجمع المستحقين وليسلم
إليهم حتى يتساهموا فيه فإن ذلك لا بد منه ~~دقائق الآداب الباطنة في الزكاة~~
على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف الأولى فهم وجوب الزكاة ومعناه ووجه

الامتحان فيه

الامتحان فيه وأنه لم جعل من مباني الإسلام مع أنه تصرف مالي وليس من عبادات الأبدان
وفيه ثلاثة معان الأول أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة
بإفراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد
فإن المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن درجة الحب
بمفارقة المحبوبات فامتحنوا بصدق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي
هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا إلى لقاء الله والمسامحة
بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام
قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا درهما
ولا دينارا وأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب
من الزكاة في مائتي درهم فقال أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب
علينا بذل الجميع ولهذا تصدق أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر رضي الله عنه بشطر ماله فقال
عليه السلام ما أبقيت لنفسك وأهلك فقال مثله وقال لأبي بكر ما أبقيت لأهلك فقال الله
ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق
فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله القسم الثاني درجتهم
دون هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات
فيكون قصدهم في الادخار الإنفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل
عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة
وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعي والشعبي
وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد أن قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم
أما سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم
ينفقون وبقوله وأنفقوا مما رزقناكم وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة
بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا

ففيه لا عن مال الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا انه مهما ارهقت حاجة كان ازالتها
فرض الكفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان يقال ليس على الموسر الا تسليم ما
يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله في الحال وان لا يجوز الاقراض وهذا مختلف فيه
فالاقراض نزول الى الدرجة الاخيرة من درجات العوام وهي درجة
القسم الثالث الذين يقتصرون على اداء الواجب ولا يزيدون عليه ولا
ينقصون منه وهي اقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف
حبهم للاخرة قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ومعنى يحفكم يستقصي عليكم
فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد يستقصى عليه لبخله فهذا
احد معاني امر الله تعالى عباده ببذل المال المعنى الثاني التطهير من صفة
البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسيأتي في ربع
المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التفصي منه وانما تزول صفة البخل بان يتعود
بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا
فالزكاة بهذا المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته
بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى المعنى
الثالث شكر النعمة فان لله تعالى على العبد نعمة في نفسه وماله فالعبادات البدنية
شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه
واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج
غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله الوظيفة الثانية في وقت الاداء ومن
اداب ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال وايصالا
للسرور الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان ان تعوق عن الخيرات وعلما بان في التاخير
آفات مع ما يتعرض له العبد من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير
من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك فقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن

فما اسرع

فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم
الفرصة فيه وليعين لزكاته ان كان يؤديها جميعا شهرا معينا وليجتهد ان يكون من افضل
الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فانه
اول السنة وهو من الاشهر الحرم او رمضان فقد كان عليه السلام اجود الخلق وكان
في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه انزل فيه
القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان
وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات
وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق وافضل ايام شهر رمضان العشر
الاواخر وافضل ايام ذي الحجة العشر الاول الوظيفة الثالثة الاسرار فان ذلك
ابعد من الرياء والسمعة وقال عليه السلام افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال
بعض العلماء ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روي ايضا مسندا وقال صلى الله عليه وسلم
ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله تعالى له سرا فان اظهره نقل من السر وكتب
في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفي الحديث المشهور سبعة
يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما اعطته
يمينه وفي الخبر صدقة السر تطفئ غضب الرب تعالى وقال تعالى وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفائدة الاخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة فقد قال صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي
في ملأ من الناس يبغي الرياء والاخفاء والسكوت هو المخلص منه وقد بالغ في فضل الاخفاء
جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي وكان بعضهم يلقيه في يد اعمى وبعضهم
يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان
يصره في ثوب الفقير على غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شانه ويوصيه
بان لا يفشيه كان ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب واحترازا من الرياء والسمعة
ومهما لم يتمكن الا بان يعرفه شخص واحد فتسليمه الى وكيل ليسلمه الى المسكين والمسكين لا

يعرف اولى اذ في معرفته المسكين الرياء والمن جميعا وليس في معرفة المتوسط الا الرياء
ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكوة ازالة للبخل وتضعيف لحب
المال وحب الجاه اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في
الاخرة ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب
افعى من الافاعي وهو مامور بتضعيفهما او قتلهما لدفع اذاهما او تخفيف اذاهما فمهما قصد
الرياء والسمعة فكانه جعل بعض اطراف العقرب مقويا للحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر
اهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات
بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فاي فائدة في ان يخالف داعي البخل
ويجيب داعي الرياء فيضعف الادنى ويقوي الاقوى وستاتي اسرار هذه في ربع المهلكات

الوظيفة الرابعة ان يظهر حيث يعلم ان في الاظهار ترغيبا للناس
في الاقتدا ويحرس سره عن داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء
في كتاب الرياء فقد قال الله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وذلك حيث يقتضي الحال
الابدا اما للاقتدا واما لان السايل انما سال على ملا من الناس فلا ينبغي ان يترك
التصدق خيفة من الرياء في الاظهار بل ينبغي ان يتصدق ويحفظ سره من الرياء
بقدر الامكان وهذا لان في الاظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك ستر
الفقير فانه ربما يتاذى بان يرى في صورة المحتاج فمن اظهر السوال فهو الذي هتك
ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق على من تستر به
فانه محظور والتجسس فيه والاعتياب بذكره منهي عنه فاما من اظهره فاقامة الحد
عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال عليه السلام من القى جلباب الحيا فلا
غيبة له وقال تعالى وانفقوا مما رزقناكم سرا وعلانية ندب الى العلانية ايضا لما فيه من
فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التامل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه
فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان في بعض الاحوال لبعض الاشخاص
افضل ومن عرف الفوايد والغوايل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الاولى والاليق بكل حال

الوظيفة الخامسة

الوظيفة الخامسة ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تعالى لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى واختلفوا في حقيقة المن والاذى فقيل المن ان يذكرها والاذى
ان يظهرها وقال سفين من من فسدت صدقته فقيل له كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث
به وقيل المن ان يستخدمه بالعطا والاذى ان يعيره بالفقر وقيل المن ان يتكبر عليه
لاجل عطائه والاذى ان ينتهره ويوبخه بالمسئلة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الله صدقة منان وعندي ان المن له اصل ومغرس هو من احوال القلب وصفاته
ثم يتفرع عليه احوال ظاهرة على اللسان والجوارح واصله ان يرى نفسه محسنا اليه
ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا الى نفسه بقبول حق الله منه الذي هو طهرة
ونجاته عن النار وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة الفقير اذ
جعل كفه نائبا عن الله في قبض حق الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تقع
بيد الله قبل ان تقع في يد السايل فليتحقق انه مسلم الى الله حقه والفقير اخذ من
الله رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله تعالى ولو كان عليه دين لانسان فاحال به
صاحب الدين عبده او خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مودي الدين
كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن اليه المتكفل برزقه اما هو
فانما يقضي الدين الذي لزمه بشرى ما احبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به
على غيره ومهما عرف المعاني الثلثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكوة او احدها
لم ير نفسه محسنا الا الى نفسه اما ببذل ماله اظهارا لحب الله تعالى او تطهيرا
لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيف ما كان فلا
معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما حصل هذا الجهل بان
يرى نفسه محسنا اليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث
واظهاره وطلب المكافاة منه بالشكر والدعا والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام
بالحقوق والتقدم في المجالس والمتابعة في الامور فهذه كلها ثمرات المنة
ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه واما الاذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين

الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو امران
احدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق الخلق لا محاله
الثاني رؤيته انه خير من الفقير وان الفقير بسبب حاجته اخس منه وكلاهما منشاه
الجهل اما كراهيته تسليم المال فهو حمق لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي الفا
فهو شديد الحماقه ومعلوم انه يبذل المال لطلب المزيد وكيف ما فرض فالكراهة لا وجه لها
واما الثاني فهو ايضا جهل لانه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنيا لما استحقر الفقير
بل تبرك به وتمنى درجته فصلحا الاغنيا يدخلون الجنه بعد الفقرا بخمسمايه عام ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم هم الاخسرون ورب الكعبه فقال ابو ذر من هم قال هم الاكثرون اموالا الحديث
ثم كيف يحقر الفقير وقد جعله الله مسخرا له اذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه
بمقدار الحاجه وقد الزم ان يسلم الى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره
لو سلم اليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه بتقلد المظالم والتزام
المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت فياكله اعداوه فاذا مهما انتفت الكراهه
وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله له في ادا الواجب وتقييضه الفقير حتى يخلصه عن عهدته
بقبوله منه انتفى الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثنا وقبول
المنه فهذا منشا المن والاذى فان قلت فروية نفسه في درجة المحسن
امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف به انه لم ير نفسه محسنا فاعلم ان له علامه
دقيقه واضحه وهي ان يقدر ان الفقير لو جنى عليه جنايه هل كان يزيد استنكاره
واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فان زاد فلم تخل صدقته عن شائبة المنه
لانه توقع بسببه ما لم يتوقعه قبل ذلك فان قلت فهذا امر غامض ولا ينفك
قلب احد عنه فما دواوه فاعلم ان له دوا باطنا ودوا ظاهرا اما الباطن
فالمعرفه بالحقايق التي ذكرناها في فهم الوجوب وان الفقير هو المحسن اليه في
تطهيره بالقبول واما الظاهر فالاعمال التي يتعاطاها متقلد المنه فان الافعال
التي تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سياتي اسراره في الشطر الاخير

من الكتاب

من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قايما بين يديه يساله
قبولها حتى يكون هو في صورة السايلين وهو مع ذلك يستشعر كراهته لو رده
وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عايشه وام سلمه
رضي الله عنهما اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا
تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا وكانوا لا يتوقعون
الدعا لانه شبه المكافاه وكانوا يقابلون الدعا بمثله وهكذا فعل عمر رضي الله عنه
وابنه عبد الله فهكذا كان ارباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دوا من حيث الظاهر
الا هذه الاعمال الداله على التذلل والتواضع وقبول المنه ومن حيث الباطن
المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذاك من حيث العلم ولا يعالج القلب الا
بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطه من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاه وثبت ذلك
بقوله ليس للمرء من صلاته الا ما عقل منها وهذا كقوله عليه السلام لا يقبل الله صدقة منان وكقوله
تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته
عنه دون هذا الشرط فحديث اخر وقد اشرنا الى معناه في كتاب الصلاه الوظيفه
السادسه ان يستصغر العطيه فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات
وهو محبط للاعمال قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ويقال ان الطاعه
كلما استصغرت كبرت عند الله تعالى والمعصيه كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى
وقيل لا يتم المعروف الا بثلاث تصغيره وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والاذى
فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد او رباط امكن فيه الاستعظام ولا يمكن المن بل العجب
والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواوه علم وعمل اما العلم فهو ان العشر او ربع
العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس الدرجات في البذل كما ذكرناه في فهم
الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه وان ارتقى الى الدرجه العليا
فبذل كل ماله او اكثره فليتامل انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله والمنه
لله عليه اذ اعطاه ثم وفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله ما هو عين حق الله وان

كان مقامه يقتضي ان ينظر الى الآخرة وانه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما سيظهر عليه
اضعافه واما العمل فهو ان يعطيه عطا الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله تعالى
فيكون هيئته الانكسار والحيا كهيئة من يطالب برد الوديعة فيمسك بعضها ويرد البعض
لان المال كله لله وبذل جميعه هو الاحب عند الله تعالى وانما لم يامره الله تعالى به لانه
يشق عليه بسبب بخله كما قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا الوظيفة السابعة
ان ينتقي من ماله اجوده واحبه اليه واجله واطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل الا
طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفي حديث
ابان عن انس رضي الله عنه طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية فاذا لم يكن المخرج
من جيد المال فهو من سو الادب اذ يمسك الجيد لنفسه او لعبده او لاهله فيكون قد آثر
على الله غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه اردى طعام في بيته لاوغر به صدره هذا
اذا كان نظره الى الله وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر
غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى والذي ياكله في الحال
قضاء وطر فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى
انفقوا من طيبات ما كسبتم ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا
فيه اي لا تاخذوه الا مع كراهية وحيا وهو معنى الاغماض ولا تؤثروا به ربكم وفي الخبر
سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من احل ماله واجوده
فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل
ذلك على انه ليس يؤثر الله بشي مما يحبه ولذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون
فقال تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا وقف بعض القراء
على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدا وقال جرم ان لهم النار اي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون
النار الوظيفة الثامنة ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة فلا
يكتفي بان يكون من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك
الصفات وهي ستة الصفة الاولى ان يطلب الاتقيا المعرضين عن الدنيا

المتجردين

المتجردين لتجارة الآخرة قال عليه السلام لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي
وهذا لان التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعانتك اياه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اطعموا طعامكم الاتقيا واولوا معروفكم المومنين وفي لفظ اخر اضف
بطعامك من تحبه في الله وكان بعض العلما يوثر بالعطا فقرا الصوفية دون غيرهم فقيل له
لو عممت بمعروفك جميع الفقرا لكان افضل فقال لا هولا قوم همهم الله سبحانه فاذا طرقتهم
فاقة تشتت هم احدهم ولان ارد همة واحد الى الله احب الي من اعطا الف
ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من اوليا الله وقال
ما سمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا ثم حكى ان هذا الرجل اختل حاله وهم
بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله في بضاعتك ولا تترك الحانوت
فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ من الفقرا ثمن ما يبتاعون منه
الصفة الثانية ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم
اشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخص بمعروفه اهل العلم
فقيل له لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلما فاذا
اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعليم فتفريغهم للعلم
افضل الصفة الثالثة ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده
انه اذا اخذ العطا حمد الله وشكره وراى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهو اشكر
العباد لله وهو ان يرى النعم كلها منه وفي وصية لقمن لابنه لا تجعل بينك وبين
الله منعما واعدد نعمة غيرك عليك مغرما ومن يشكر غير الله فكانه لم يعرف المنعم
ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر لله اذ سلط الله عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب
فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه بعد ان القى الله تعالى في قلبه ان صلاح دينه ودنياه
في فعله فمهما قوي الباعث اوجب ذلك عزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع
العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه ولو لم يخالق البواعث ومهيجها
ويزيل الضعف والتردد عنها وسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا

لم يلتفت الى سبب من الاسباب وتعين مثل هذا العبد انفع للمعطي من شاكر غيره وشكره
فان له حرمة لسان يعلو في الاكثر حدواه ولعانه مثل هذا الموحد لا تضيع فاما الذي لا يلح
بالعطا ويدعوا بالخير ويذم بالمنع ويدعوا بالشر عند الايذا واحواله متفاوته وقد روي
انه عليه السلم بعث معروفا الى بعض الفقرا وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال
الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه
فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر وقال علمت انه يقول ذلك فانظر
كيف قصر الثناء على الله وحده وقال عليه السلم لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب
الى محمد فقال عليه السلم عرف الحق لاهله ولما نزلت براءة عايشة في قصة الافك قال ابو بكر
قومي فقبلي راس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله ولا احمد الا الله وفي لفظ اخر قالت لا احمد
الا الله لا احمدك ولا صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك مع ان الوحي وصل اليها
عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤية الاشيا من غير الله وصف الكافرين قال الله تعالى
واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من
دونه اذا هم يستبشرون ومن لم ينصف باطنه عن رؤية الوسايط فانه لم ينفك عن
الشرك الخفي سره فليتق الله في تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوايبه الصفة
الرابعة ان يكون مستترا مختفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروة
ممن ذهبت نعمته وبقيت مروته وعادته فهو متعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى
يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا يعني
لا يلحون في سوال لانهم اغنيا بانفسهم اعزة بصبرهم وهذا ينبغي ان يطلب بالتفحص
عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب
صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسوال الصفة الخامسة
ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله للفقرا
الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الاخرة لعيلة او ضيق معيشة او اصلاح
قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصوا الجناح مقيدوا الاطراف فبهذه

رواية لطيفة

براءة عايشة

الاسباب كان عمر عليه السلم يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان
عليه السلم يعطي اهل العطا على قدر العيلة وسيل عمر رضي الله عنه عن جهد البلا فقال كثرة
العيال وقلة المال الصفة السادسة ان يكون من الاقارب وذوي الارحام
فيكون صدقة وصلة وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يخفى قال علي رضي الله عنه لان اصل اخا
من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين احب الي
من ان اتصدق بماية درهم ولان اصله بماية درهم احب الي من ان اعتق رقبة والاصدقا
واخوان الخير ايضا يقدمون على المعارف كما يقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه
الدقايق فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها فان
وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد
في ذلك واصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد فان احد اجريه في الحال تطهير
نفسه عن صفة البخل وتاكد حب الله في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه الصفات
هي التي تقوى في قلبه فتسوقه الى لقا الله والاجر الثاني ما يعود اليه من فايدة دعوة
الاخذ وهمته فان قلوب الابرار لها اثار في الحال وفي المال فان اصاب حصل الاجران
وان اخطا حصل الاول دون الثاني فبهذا يعني تضاعف اجر المصيب في الاجتهاد هاهنا
وفي ساير المواضع والله اعلم بالصواب وفقنا الله لما يحب ويرضى بمنه وكرمه

الفصل الثالث في القابض واسباب استحقاقه ووظايف قبضه

بيان اسباب الاستحقاق اعلم انه لا يستحق الزكوة الا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي
اتصف بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله تعالى فلا تصرف زكوة
الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمي ولا مطلبي واما الصبي والمجنون فيجوز الصرف اليهما
اذا قبض وليهما فلنذكر صفات الاصناف الثمانية الصنف الاول الفقرا والفقير
هو الذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس
بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس له
منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقرا فهو فقير لانه في

الحال فقير عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه ولا ينبغي ان يشترط في الفقير ان لا يكون له
كسوة سوى ساتر العورة فان هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن اسم
الفقر كونه معتادا للسوال ولا يجعل السوال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك
يخرجه عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز ان يشترى له الآلة وان قدر
على كسب لا يليق بمروته وبحال مثله فهو فقير وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب
عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب عن وظايف العبادات
واوراد الاوقات فليكتسب لان الكسب اولى منه قال عليه السلم الكسب فريضة بعد
الفريضة وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسئلة وان كان مكتفيا بنفقة ابيه
او من تجب عليه نفقته فهو اهون من الكسب فليس بفقير الصنف الثاني المساكين
والمسكين الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك الف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فاسا
وحبلا وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم
المسكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا
تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك سوى الكتب فلا يلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب
حكم الثوب واثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغي ان يحتاط في فهم الحاجة الى الكتاب
فالكتاب يحتاج اليه لثلثة اغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة اما حاجة التفرج
فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وامثال ذلك مما لا ينفع في الاخرة
ولا يجري في الدنيا الا مجرى التفرج والاستيناس فهذا يباع في الكفارة وزكوة
الفطر ويمنع اسم المسكنة واما حاجة التعليم ان كان لاجل الكسب كالمودب والمعلم
والمدرس باجرة فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كادوات الخياط وساير المحترفين وان
كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة
مهمة واما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتاب طب ليعالج به نفسه
او كتاب وعظ ليطالع ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى
عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغي

ان يضبط

ان يضبط مدة الحاجة والاقرب ان يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من
فضل من قوت يومه شي لزمته الفطرة فاذا قدرنا حاجة القوت باليوم فحاجة اثاث البيت
وثياب البدن ينبغي ان تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتا والكتب بالثياب
والاثاث اشبه وقد يكون له نسختان ولا حاجة الا الى احديهما فان قال احديهما اصح والاخرى
احسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع الاحسن ودع التفرج والترفه وان
كانت نسختان من علم واحد احديهما بسيط والاخرى وجيز فان كان مقصوده الاستفادة
فليكتف بالبسيط وان كان مقصوده التدريس فيحتاج اليهما اذ في كل واحد فايدة ليست
في الاخرى وامثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في الفقه وانما اوردناه لعموم البلوى
والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فان استقصا هذه الصور غير ممكن اذ يتعدى مثل
هذا النظر في اثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدار
وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برايه
ويقرب في التحديد بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع ياخذ بالاحوط ويدع
ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشتبهة بين الاطراف المتقابلة الجلية
ولا ينجي منها الا الاحتياط الصنف الثالث العاملون وهم السعاة الذين
يجمعون الزكاة سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ
والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجر المثل فان فضل شي من اجر مثلهم رد على بقية
الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح الصنف الرابع المولفة قلوبهم وهو
الشريف الذي يسلم وهو مطاع في قومه وفي اعطايه تقرير على الاسلام وترغيب
نظرايه واتباعه الصنف الخامس المكاتبون ويدفع الى السيد سهم المكاتب
وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكوته الى مكاتب نفسه لانه بعد عبده
الصنف السادس الغارمون والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو فقير
فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان
قد استقرض لمصلحة واطفا فتنة الصنف السابع الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان

المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنيا اعانة لهم على الغزو الصنف الثامن
ابن السبيل وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان كان له
مال ببلد آخر يعطى بقدر بلغته فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا اما الفقر والمسكنة
فبقول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله اذا لم يعلم كذبه
واما الغزو والسفر فهو امر مستقبل فيعطى بقوله اني غاز فان لم يف به استرد واما بقية
الاوصاف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق فاما مقدار ما يصرف الى كل واحد
فسياتي بيان وظائف القابض وهي خمسة الاولى ان يفهم ان الله اوجب
صرفه اليه ليكفي مهمه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله الخلق لكون همهم واحدا
وهو الله تعالى واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات وهي تفرق همه اقتضى الكرم
افاضة نعم تكفي الحاجات فاكثر الاموال وصبها في ايدي عباده ليكون آلة لهم في
دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من اكثر ماله فتنة وبلية فاقحمه في
الخطر ومنهم من احبه فحماه الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه
قدر حاجته على ايدي الاغنيا ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم
وفائدته تنصب الى الفقير فيتجرد لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا
يصرفهم عنها فضول الدنيا ولا يشغلهم عن التاهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق
الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله
فيما اعطاه وسياتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه فليأخذ ما ياخذه من الله رزقا
له وعونا على الطاعة ولتكن نيته فيه ان يتقوى به على طاعته فان لم يقدر عليه فليصرفه
الى ما اباحه الله تعالى فان استعان به على معصية الله كان كافرا لانعم الله تعالى مستحقا
للبعد والمقت من الله عز وجل الثانية ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره
ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعم الله اليه وللطريق
حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله فقد قال عليه السلم

من لم يشكر

من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد اثنى الله على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها
وخالق القدرة عليها نحو قوله نعم العبد انه اواب الى غير ذلك وليقل القابض في
دعائه طهر الله قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى
على روحك في ارواح الشهدا وقد قال عليه السلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان
لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه ومن تمام الشكر ان يستر عيوب
العطا ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا امتنع ويفخم عند
نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة
والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير
والتعظيم تتعارض والنافع للمعطي ملاحظة اسباب التصغير ويضره خلافه والآخذ
بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله فان من لا يرى الواسطة
واسطة فقد جهل وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا الثالثة ان ينظر
فيما ياخذه فان لم يكن من حله تورع فيه فمن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا ياخذ
من اموال الاتراك والجنود وعمال السلطان ومن اكثر كسبه من الحرام الا اذا
ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان ياخذ بقدر الحاجة
فان فتوى الشرع في مثل هذا ان يتصدق به على ما سياتي في كتاب الحلال والحرام
وذلك اذا عجز عن الحلال واذا اخذ لم يكن اخذه اخذ زكوة اذ لا تقع زكوة عن مؤديه
وهو حرام الرابعة ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما ياخذه
فلا ياخذ الا القدر المباح ولا ياخذ الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق
وان كان ياخذ بالكتابة او الغرامة فلا يزيد على قدر الدين وان كان ياخذ بالعمل فلا يزيد
على اجرة المثل وان اعطي زيادة ابى وامتنع اذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع وان
كان مسافرا لم يزد على الزاد وكري الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم ياخذ الا ما يحتاج
اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد

وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان اخذ المسكن فلينظر اولا الى
اثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه او يستغنى عن نفاسته فيمكن
ان يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه
انه مستحق وطرف اخر مقابل يتحقق معه انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة ومن
حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والاعتماد على قول الاخذ ظاهرا وللمحتاج في
تقدير الحاجة مقامات في التضييق وميل المتساهل الى التوسع حتى يرى نفسه
محتاجا الى فنون من التوسع وهو ممقوت في الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا ياخذن
مالا كثيرا بل ما يتمم كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما رخص فيه من حيث
ان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ادخر لعياله قوت سنة فهذا اقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة
شهر او حاجة يومه فهو اقرب الى التقوى ومذاهب العلماء في قدر الماخوذ
بحكم الزكوة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصار على
قوت يومه وليلته وتمسك بما روى سهل الحنظلية انه عليه السلم نهى عن السوال
مع الغنى فسئل عن غناه فقال غداوه وعشاوه وقال اخرون ياخذ الى حد
الغنى وحد الغنى نصاب الزكوة اذ لم يوجب الله تعالى الزكوة الا على
الاغنيا فقالوا له ان ياخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكوة وقال اخرون
حد الغنى خمسون درهما لما روى ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
سال وله مال يغنيه جا يوم القيامة وفي وجهه خموش قيل وما غناه قال
خمسون او قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم اربعون لما رواه
عطا بن يسار منقطعا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سال وله اوقية فقد الحف في
السوال وبالغ اخرون في التوسع فقالوا له ان ياخذ مقدار ما يشتري به ضيعة
فيستغني بها طول عمره او يهيي بضاعة يتجر فيها ويستغني بها لان هذا هو الغنى
وقد قال عمر رضي الله عنه اذا اعطيتم فاغنوا حتى ذهب قوم الى ان من افتقر

فله ان ياخذ

فله ان ياخذ بقدر ما يعود الى مثل حاله ولو عشرة الف درهم الا اذا خرج عن حد
الاعتدال ولما شغل طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجعله في قرابتك فهو خير لك فاعطاه حسان وابا قتادة فحائط من نخل لرجلين
كثير مغن واعطى عمر اعرابيا ناقة معها ظئرها فهذا ما يحكى فيه اما التقليل
الى قوت اليوم او الاوقية فذلك ورد في كراهية السوال والتردد على الابواب وذلك
مستنكر وله حكم اخر بل التجويز الى ان يشتري ضيعة فيستغني بها عن السوال اقرب
الى الاحتمال وهو ايضا مايل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة فما
وراه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس
للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع استفت قلبك وان افتوك وافتوك كما
قال النبي صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب فاذا وجد القابض في نفسه شيئا
مما ياخذه فليتق الله فيه ولا ياخذه تعللا بالفتوى من علما الظاهر فان لفتاويهم
قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من
الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين لطريق الاخرة الخامسة
ان يسال صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا
ياخذه منه لانه لا يستحق مع شريكه الا الثمن ولينقص مقدار ما يصرف الى اثنين
من صنفه وهذا السوال واجب على اكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة
اما جهلا او تساهلا وانما يجوز ترك السوال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب
على الظن احتمال التحريم وسياتي مظان السوال ودرجات الاحتمال في كتاب الحلال والحرام
ان شا الله الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها واخذها واعطايها

فضيلة الصدقة · اما من الاخبار فقوله عليه السلم تصدقوا ولو بتمرة فانها
تسد من الجايع وتطفي الخطيئة كما يطفي الما النار وقال عليه السلم اتقوا النار
ولو بشق تمرة فان لم تجد فبكلمة طيبة وقال عليه السلم ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة
من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله تعالى ياخذها بيمينه

فيربيها كما يربي احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد وقال لابي الدرداء اذا طبخت
مرقة فاكثر ماءها ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف وقال ما احسن عبد
الصدقة الا احسن الله الخلافة على تركته وقال عليه السلم كل امري في ظل صدقته حتى
يقضى بين الناس وقال عليه السلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال عليه السلم
صدقة السر تطفي غضب الرب عز وجل وقال المعطي من سعة بافضل اجرا من الذي
يسال من حاجة ولعل المراد به الذي يقصد بن دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا
للمعطي الذي يقصد بعطايه عمارة دينه وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
الصدقة افضل فقال ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل البقا وتخشى الفاقة ولا تمهل
حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقال صلى الله عليه وسلم
يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندي دينارا قال انفقه على نفسك قال ان
عندي اخر قال انفقه على ولدك قال ان عندي اخر قال انفقه على خادمك قال
ان عندي اخر قال انت ابصر به وقال صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لال محمد انما هي
اوساخ الناس وقال عليه السلم ردوا مذمة السايل ولو بمثل راس الطاير من
الطعام وقال عليه السلم لو صدق السايل ما افلح من رده وقال عيسى عليه السلم
من رد سايلا خايبا لم تغش الملايكة ذلك البيت سبعة ايام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم
لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال
عليه السلم ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين
المتعفف اقروا ان سئتم لا يسالون الناس الحافا وقال عليه السلم ما من مسلم يكسو مسلما الا
كان في حفظ الله عز وجل ما دام عليه منه رقعه لما شار قال عروة بن الزبير
لقد تصدقت عايشه رضي الله عنها بخمسين الفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد في
قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا قال وهم يشتهونه وكان عمر رضي الله
عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون على ذوي الحاجة منا
وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة

تدخلك

تدخلك عليه وقال ابن ابي الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السو وفضل سرها
على علانيتها بسبعين ضعفا وانها لتفك لحيي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا
يعبد الله سبعين سنة ثم اصاب فاحشة فاحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه
برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمله للسبعين سنة وقال لقمن
لابنه اذا اخطات خطيه فاعط صدقة وقال يحيى بن معاذ ما اعرف حبة
توزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن ابي رواد كان يقال ثلث
من كنوز البر كتمان المصايب وكتمان المرض وكتمان الصدقة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر
ويقول سمعت الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم اني
احب السكر وقال النخعي اذا كان الشي لله لا يسرني ان يكون فيه عيب وقال
عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيمة اجوع ما كانوا واعطش ما كانوا فمن اطعم لله
اشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله وقال الحسن لو شاء الله
لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولكن ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب
الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك
لا نرى باسا بشرب الماء الذي تصدق به ويسقى في المسجد لانه انما جعل للعطشان
من كان ولم يرد به اهل الحاجة والمسكنة على الخصوص وقيل ان الحسن مر به نخاس
ومعه جارية فقال للنخاس اترضى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب
فان الله رضي في الحور العين بالفلس واللقمة

بيان اخفا الصدقة واظهارها

قد اختلف طرق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى ان الاخفا افضل ومال
قوم الى الاظهار ونحن نشير الى ما في كل واحد من المعاني والافات ثم نكشف الغطا
عن الحق فيه اما الاخفا ففيه خمسة معان الاول انه ابقى للستر على الاخذ
فان اخذه ظاهرا هتك لستر المروة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف
والتصون المحبوب الذي يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف الثاني انه اسلم للقلوب

ولم المسئلة فانه ربما يحسدون او يلومون على اخذه ويظنون انه ربما اخذ مع عدم الاستغنا
او ينسبونه الى الخيانة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبار وصيانة
الناس عن هذه الجرائم اولى وقال ايوب السختياني اني لاترك لبس الجديد خشية ان يحدث
في جيراني حسد وقال بعض الزهاد ربما اترك استعمال الشي لاجل اخواني
يقولون من اين له هذا وعن ابراهيم التيمي انه رأى عليه قميص جديد فقال
بعض اخوانه من اين لك هذا فقال كسانيه اخي خيثمة ولو علمت ان اهلي علموا به لما
قبلته الثالث اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطا
كبير والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما اظهر
هذا انكشف امر المعطي دفع رجل الى بعض العلما شيئا ظاهرا فرده ودفع اليه اخر
شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب في اخفا معروفه
فقبلته وذلك اساء ادبه في عمله فرددت عليه واعطى رجل بعض الصوفية شيئا
في الملا فرده فقال له ترد على الله ما اعطاك فقال انك اشركت فيما لله غير الله
ولم تقنع بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا
كان رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم اكن عونا لك على
المعصية واطعته في الاخفا فاعنتك على برك وقال الثوري لو علمت ان احدهم
لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلت صلته الرابع ان في اظهار
الاخذ ذل وامتهان وليس للمؤمن ان يذل نفسه كان بعض العلما ياخذ في السر
ولا ياخذ في العلانية ويقول ان في اظهاره اذلالا للعلم وامتهانا لاهله
فما كنت بالذي ارفع شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله الخامس
الاحتراز عن شبهة الشركة قال النبي صلى الله عليه وسلم من اهدى هدية وعنده
قوم فهم شركاؤه فيها وبان يكون ورقا او ذهبا لا يخرج عن كونه هدية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افضل ما اهدى الرجل الى اخيه ورقا او يطعمه خبزا فجعل الورق
هدية فاذا اعطي في الملا مكروه الا برضا جميعهم ولا يخلوا عن شبهة

فاذا انفرد

فاذا انفرد سلم عن الشبهة واما الاظهار والتحدث به ففيه معان اربعة الاخلاص
والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراياة الثاني اسقاط الجاه والمنزلة واظهار
العبودية والمسكنة والتبري عن الكبر ودعوى الاستغنا واسقاط النفس من اعين الخلق
قال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت اخذا فانك لا تخلوا من
احد رجلين رجل تسقط من عينه اذا فعلت ذلك وهو المراد لانه اسلم للدين واقل لآفات
نفسك او رجل تزداد في قلبه باظهار الصدق فذلك الذي يريده اخوك لانه يزداد
ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتوجر انت اذ كنت سبب مزيد ثوابه الثالث
ان العارف لا نظر له الا الى الله فالسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف الحال شرك
في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبأ بدعا من ياخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات
الى الخلق حضروا ام غابوا نقصان في الحال بل ينبغي ان يكون النظر مقصورا على
الواحد الفرد ويحكى ان بعض الشيوخ كان شديد الميل الى واحد من المريدين فشق على
الاخرين فاراد ان يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم دجاجة وقال
لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد فانفرد كل واحد وذبح الا
ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسألهم فقالوا فعلنا ما امرنا الشيخ فقال لذلك المريد لم اقدر
عليه فان الله كان يراني في كل موضع فقال الشيخ هذا اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير
الله تعالى الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى واما
بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله تعالى من كتم ما آتاه وقرنه بالبخل
فقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال عليه السلام
اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى عليه واعطى رجل بعض العارفين شيئا في السر
فرفع يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر في امور الاخرة افضل ولذلك
قال بعضهم اذا اعطيت في الملا فخذه ثم اردد في السر والشكر محثوث عليه
قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله والشكر قائم مقام المكافاة حتى
قال النبي صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا

به خيرا او ادعوا حتى تعلموا ان قد كافاتموه ولما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله
ما رايت خيرا من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال كلا ما
شكرتم لهم واثنيتم به عليهم اي هو مكافاة والان اذا عرفت هذه المعاني فاعلم ان ما نقل من
اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسالة انما هو اختلاف حال فكشف الغطا في هذا
انا لا نحكم حكما بتا ان الاخفا افضل في كل حال او الاظهار افضل بل يختلف ذلك
باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغي ان يكون المخلص
مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان
والمكر والخداع اغلب في معاني الاخفا منه في الاظهار مع ان له دخلا في كل واحد
منهما فاما مدخل الخداع في الاسرار من ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة
وسقوط القدر من اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدرا والى المعطي بعين المنعم المحسن
اليه فهذا هو الدا الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني
الخير حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ومعيار ذلك ومحكه امر واحد وهو
ان يكون تالمه بانكشاف اخذه للصدقة كتالمه بانكشاف صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله
فانه ان كان يبغي صيانة النفس عن الغيبة والحسد وسو الظن او يبغي انتهاك الستر
او اعانة المعطي على الاسرار او صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف
صدقة اخيه فان كان انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف امر غيره فتقديره الحذر من
هذه المعاني اغاليط واباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم
محذور من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد وعلم عمرو والغيبة محذورة
من حيث انه تعرض لعرض الادمي لا من حيث انه تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن
احسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ
واما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطي
واستحثاث له على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين في الشكر حتى يرغبوا في
اكرامه وتفقده وهذا دا دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين الا بان يروج

هذا الخبث في معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفا من الريا ويورد عليه هذه
المعاني التي ذكرناها ومعيار ذلك ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر حيث لا
ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطايه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية
ويرغبون في اخفايها وعادتهم انهم لا يعطون الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه
الاحوال عنده فليعلم ان باعثه هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو
مغرور ثم اذا علم ان باعثه فلا ينبغي ان يغفل عن قضا حق المعطي فينظر فان كان هو
ممن يحب الشكر والنشر فلا ينبغي ان يشكر بل يخفي لان قضا حقه ان لا ينصره على الظلم
وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر
صدقته ولذلك قال عليه السلم للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما افلح مع
انه عليه السلم كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه ان ذلك لا يضرهم بل يزيد
في رغبتهم في الخير فقال لواحد انه سيد اهل الوبر وقال في اخر اذا اتاكم كريم
قوم فاكرموه وسمع كلام رجل فاعجبه فقال ان من البيان لسحرا وقال اذا علم
احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير وقال اذا مدح المومن ربا
الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس وقال ايضا ليوسف
بن اسباط اذا اوليتك معروفا فكنت انا اسر به منك ورايت ذلك نعمة من الله علي
فاشكر والا فلا تشكر فدقايق هذه المعاني ينبغي ان يلحظها من يراعي قلبه فان اعمال
الجوارح مع اهمال هذه الدقايق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع
ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه ان تعلم مسالة واحدة افضل من عبادة سنة اذ
بهذا العلم تحيى عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطل وعلى الجملة فالاخذ في
الملا والرد في السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يدفع بالتزويقات الا ان
تكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى

بيان افضل من اخذ الصدقة والزكاة

كان ابرهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون
ان الاخذ من الصدقة افضل فان اخذ الزكوة مزاحمة للمساكين وتضييق عليهم ولانه

ربما الاحتمال في أخذه صفة الاستحقاق كما وصفت في الكتاب وأما الصدقة فالأمر أوسع وقال
قائلون بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنه إعانة على واجب ولو ترك المساكين كلهم أخذ
الزكوات لأثموا ولأن الزكاة لا منة فيها وإنما هو حق واجب لله تعالى لعباده المحتاجين
ولأنه أخذ بالحاجة والإنسان يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة أخذ بالدين
فإن الغالب أن المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا ولأن موافقة المساكين أدخل في
الذل والمسكنة وأبعد عن التكبر إذ قد يأخذ الإنسان الصدقة في معرض الهدية
ولا يتميز عنه ولا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته والقول الحق في هذا أن هذا
يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النية فإن كان في شبهة من اتصافه
بصفة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة وإذا علم أنه مستحق قطعا فإذا تخير
بين هذا وبين الصدقة فإن كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم يأخذ
فليأخذ الصدقة فإن الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها ففي ذلك تكثير
للخير وتوسيع على المساكين وإن كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في أخذ
الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والأمر فيه متقارب وأخذ الزكاة أشد في
كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال والله أعلم بالصواب

يتلوه كتاب أسرار الصوم وهو الكتاب
السادس من كتب إحياء علوم الدين
إن شاء الله تعالى

كتاب أسرار الصوم ومهماته

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أعظم على عباده المنة بما دفع
عنهم كيد الشيطان وفنه ورد أمله وخيب ظنه إذ جعل الصوم حصنا لأوليائه
وجنة وفتح لهم به أبواب الجنة وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات
المستكنة وأن بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية
المنة والصلاة على محمد قائد الخلق وممهد السنة وعلى آله وأصحابه ذوي الأبصار الثاقبة
والعقول المرجحة وسلم عليهم دائما كثيرا أما بعد فإن الصوم ربع الإيمان
بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله عليه السلام الصبر نصف
الإيمان وهو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان إذ قال الله
تعالى فيما حكى عنه نبيه عليه السلام كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام
فإنه لي وأنا أجزي به وقد قال تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب
والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في
معرفة فضله قوله عليه السلام والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله
من ريح المسك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي فالصيام
لي وأنا أجزي به وقال صلى الله عليه وسلم للجنة باب يقال له الريان لا يدخله إلا
الصائمون وهو موعود بلقاء الله تعالى قال عليه السلام للصائم فرحتان فرحة عند الإفطار
وفرحة عند لقاء ربه وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وقال
عليه السلام نوم الصائم عبادة وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل رمضان
فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النيران وصفدت الشياطين ونادى مناد يا باغي
الخير هلم ويا باغي الشر أقصر وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم
في الأيام الخالية هي أيام الصوم إذ تركوا فيها الأكل والشرب وقد جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال إن الله يباهي
ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته لأجلي المبذل شبابه لي

النسبة

انت عندي كبعض ملائكتي وقال في الصيام يقول الله تعالى يا ملائكتي انظروا الى عبدي
ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلي وقيل في قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب فيفرغ جزاؤه للصائم افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت
وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم انما كان له مشرفا بالنسبة اليه
وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة الى نفسه والارض كلها له
لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد
فجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه الا الله تعالى فانه عمل في
الباطن بالصبر المجرد والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان لعنه الله
الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان
الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها داومي قرع باب الجنة قالت بماذا قال بالجوع
وسياتي فضايل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه في ربع المهلكات ولما كان
الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة
الى الله تعالى ففي قمع عدو الله نصرة الله وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له
قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداءة بالجهد من العبد والجزاء
بالهداية من الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى ان الله لا
يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وانما التغيير تكثير الشهوات فهي مرتع
الشيطان ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون
لم ينكشف للعبد جلال الله وكان محجوبا عن لقايه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السما فمن هذا
الوجه صار الصوم باب العبادة واذا عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من
بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر اركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين

ذلك في ثلثة فصول الفصل الاول ~~في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده~~
اما الواجبات الظاهرة فستة الاول مراقبة اول شهر رمضان وذلك
برؤية الهلال فان غم فباستكمال ثلثين من شعبان ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك
بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن
سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به
فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه واذا رئي الهلال ببلدة ولم ير باخرى
وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان اكثر كان لكل بلدة حكمها
ولا يتعدى الوجوب الثاني النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة
فلو نوى ان يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا كل ليلة
ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذي عنينا
بقولنا مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا او الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوي فريضة
الله صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه
لانها ليست جازمة الا ان يستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل
او كذبه لا يبطل الجزم او يستند الى استصحاب حال كالشك في الليلة الاخيرة من رمضان
فذلك لا يمنع جزم النية او يستند الى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة اذا
غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا
ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه
جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان اصوم غدا ان كان من رمضان فان
ذلك لا يضره لانه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع
بانه من رمضان ومن نوى ليلا ثم اكل لم تفسد نيته ولو نوت في الحيض ثم طهرت
قبل الفجر صح صومها الثالث الامساك عن ايصال شي الى الجوف
عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد
بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل في الاذن والاحليل الا ان يقطر

فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق او ذبابة تسبق الى جوفه او
ما يسبق الى جوفه في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه
مقصر وهو الذي اردنا بقولنا عمدا فاما ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن
الناسي فانه لا يفطر اما من اكل عامدا في طرفي النهار ثم ظهر له انه
اكل نهارا بالتحقيق فعليه القضا وان بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضا عليه
ولا ينبغي ان ياكل في طرفي النهار الا بنظر واجتهاد الرابع
الامساك عن الجماع وحده تغيب الحشفة فان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع
ليلا او احتلم فاصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو مخالط اهله فنزع
صح صومه وان صبر فسد ولزمته الكفارة الخامس الامساك عن الاستمناء
وهو اخراج المني قصدا بجماع او غير جماع فان ذلك مفطر ولا يفطر بقبلة
زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا ان يكون شيخا او مالكا
لاربه ولا باس بالقبلة وتركه اولى واذا كان يخاف من القبلة ان ينزل فقبل
وسبق المني افطر لتقصيره السادس الامساك عن اخراج القي والاستقاء
تفسد الصوم وان ذرعه القي لم يفسد صومه وان ابتلع نخامة من حلقه او صدره
لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى بها الا ان يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر
عند ذلك واما لوازم الافطار فاربعة القضا والكفارة والفدية
وامساك بقية النهار تشبها بالصائمين اما القضا فوجوبه عام على كل مسلم مكلف
ترك الصوم بعذر او بغير عذر فالحائض تقضي الصوم وكذلك المرتد اما الكافر
والصبي والمجنون فلا قضا عليهم ولا يشترط التتابع في قضا رمضان ولكن
يقضي كيف شا متفرقا او مجموعا واما الكفارة فلا تجب الا بالجماع اما الاستمنا
والاكل والشرب وما عدا الجماع لا تجب به كفارة والكفارة عتق رقبة فان عسر
فصوم شهرين فان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا واما امساك بقية
النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت

بقية نهارها

بقية نهارها ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفره ما لم رخص ويجب
الامساك اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر افضل
من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم
يقدم اذا قدم صايما واما الفدية فتجب على الحامل والمرضع اذا افطرتا
خوفا على ولدهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضا والشيخ الهرم
اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا واما السنن فست تاخير السحور وتعجيل
الفطر بالتمر او الما قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود في رمضان
لما سبق فضايله في الزكوة ومدارسة القران والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر
الاخير فهي عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى
الفراش وشد المئزر وداب واداب اهله اي اداموا النصب في العبادة اذ فيها ليلة
القدر والاغلب انه في اوتارها واشبه الاوتار ليلة احدى وعشرين وثلث
وخمس وسبع والتتابع في هذا الاعتكاف اولى فان نذر اعتكافا متتابعا
او نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة او شهادة
او جنازة او زيارة او تجديد طهارة وان خرج لقضا الحاجة لم ينقطع وله
ان يتوضا في البيت ولا ينبغي ان يعرج على شغل اخر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسال عن المريض الا مارا وينقطع التتابع
بالجماع ولا ينقطع بالقبلة ولا باس في المسجد بالتطيب وعقد النكاح وبالاكل
والنوم وغسل اليد في الطست وكل ذلك قد يحتاج اليه في التتابع ولا ينقطع
التتابع بخروج بعض بدنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدني راسه فترجله
عايشة رضي الله عنها وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف ايضا لقضا
الحاجة فاذا عاد ينبغي ان يستانف النية الا اذا نوى اولا عشرة ايام
مثلا والافضل مع ذلك التجديد

الفصل الثاني في اسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم ان الصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص

اما صوم العموم فهو كف البطن عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص
فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام واما صوم
خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية وكفه عما سوى الله
بالكلية ويحصل الفطر عن هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وبالفكر في
الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب
القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة
فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء
والصديقين والمقربين ثقة برزقه الموعود ولا يطول النظر في تفصيله قولا ولكن
في تحقيقه عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله تعالى وانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله
تعالى قل الله ثم ذرهم واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح
عن الآثام وتمامه بستة امور الاول غض البصر وكفه عن الاتساع في
النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله تعالى قال
النبي صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله
تعالى آتاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وروى جابر عن انس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر
بشهوة الثاني حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش
والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت وشغله بذكر الله وتلاوة القرآن
فهذا صوم اللسان وقال سفيان الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحارث عنه
وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصوم الغيبة والكذب وقال صلى الله عليه وسلم
انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او
شاتمه فليقل اني صائم اني صائم وجاء في الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تستأذنانه في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احداهما

صائما ٢

نصفه دما

نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس
من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم عليهما
قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم
الثالث كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء
اليه ولذلك سوى الله تعالى بين المستمع وآكل السحت فقال سماعون للكذب اكالون للسحت
وقال لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت فالسكوت
على الغيبة حرام وقال انكم اذا مثلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم المغتاب والمستمع
شريكان في الاثم الرابع كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن
المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام
الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا
فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار
من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك
للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال
عليه السلام كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذي يفطر
على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة
وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام الخامس ان لا يستكثر من
الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ جوفه فما من وعاء ابغض الى الله من بطن ملئ من حلال
وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره
ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادات بان يدخر
جميع الاطعمة لرمضان فيؤكل من الاطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود
الصوم الخوى وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار
الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت
زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة

لو ترد على عادته فوت الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسايل الشيطان في
العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل اكلته التي كان ياكلها كل ليله
لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا لم ينتفع بصومه بل من
الاداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى
فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليله قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده واوراده
فعسى الشيطان ان لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السما وليله القدر عبارة عن الليله
التي ينكشف فيها شي من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى انا انزلناه في ليله القدر
ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن اخلى معدته ولا
يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله تعالى وذلك هو الامر كله ومبدا الجميع
ذلك تقليل الطعام وسياتي له مزيد بيان في كتاب الاطعمه ان شا الله تعالى
السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجا اذ ليس
يدري ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في اخر كل
عباده يفرغ منها فقد روي عن الحسن بن ابي الحسن البصري انه مر بقوم وهم يضحكون
فقال ان الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام
ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي
فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون اما والله لو كشف الغطا لاشتغل المحسن
باحسانه والمسي باساته اي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود
تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام
يضعفك فقال اني اعده لسفر طويل والصبر على طاعه الله عز وجل اهون من الصبر
على عذابه فهذه هي المعاني الباطنه في الصوم فان قلت فمن اقتصر على
كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقها صومه صحيح فما معناه
فاعلم ان فقها الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادله هي اضعف من
هذه الادله التي اوردناها في هذه الشروط الباطنه لا سيما الغيبه وامثالها

ولكن ليس

ولكن ليس الى فقها الظاهر من التكليفات الا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين
على الدنيا الدخول تحته فاما علما الاخره فيعنون بالصحه القبول وبالقبول الوصول
الى المقصود ويفهمون ان المقصود من الصوم انما هو التخلق بخلق من اخلاق الله
عز وجل وهو الصمديه والاقتدا بالملايكه في الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم
منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبه البهايم لقدرته بنور العقل
على كسر شهوته ودون رتبه الملايكه لاستيلا الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها
فكلما انهمك في الشهوات انحط الى اسفل السافلين والتحق بغمار البهايم وكلما
قمع الشهوات ارتفع الى اعلا عليين والتحق بافق الملايكه والملايكه مقربون
من الله عز وجل فالذي يقتدي بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم
فان الشبيه بالقريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا
سر الصوم عند ارباب الالباب واصحاب القلوب فاي جدوى لتاخير اكله وجمع
اكلتين عند العشا مع الانهماك في الشهوات الاخر طول النهار ولو كان لمثله
جدوى فاي معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صايم ليس له من صومه الا الجوع
والعطش ولهذا قال ابو الدردا يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف لا يعيبون صوم
الحمقى وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى افضل وارجح من امثال الجبال عبادة
من المغترين ولذلك قال بعض العلما كم من صايم مفطر وكم من مفطر صايم والمفطر الصايم
هو الذي يحفظ جوارحه عن الاثام وياكل ويشرب والصايم المفطر هو الذي
يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم ان مثل من كف
عن الاكل والجماع وافطر بمخالطه الاثام كمن مسح على عضو من اعضايه ثلث مرات
فقد وافق في ظاهر العدد الا انه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردوده
عليه بجهله ومثل من افطر بالاكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل اعضاه
مره مره فصلاته متقبله لاحكامه الاصل وان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما
كمن غسل كل عضو ثلث مرات فجمع بين الاصل والفضل وهو الكمال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم

انما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته ولما تلا قوله عز وجل ان الله يامركم ان
تودوا الامانات الى اهلها وضع عليه السلم يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة
والبصر امانة ولولا انه من امانات الصوم لما قال فليقل انى صايم اي انى اودعت
لساني لاحفظه فكيف اطلقه بجوابك فاذن قد ظهر لك ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا
وقشرا ولبابا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات فاليك الخيرة الان ان تقنع
بالقشر عن اللباب او تتحيز الى غمار ارباب الالباب

الفصل الثالث

في التطوع بالصيام وترتيب الاوراد فيه اعلم ان استحباب الصوم يتاكد
في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها في كل شهر
وبعضها في كل اسبوع اما في السنة بعد ايام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشورا
والعشر الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم
وهي اوقات فاضلة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى كان يظن
انه من رمضان وفي الخبر افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم ولانه ابتدا
السنة وبناوه على الخير احب وارجى لدوام بركته وقال صلى الله عليه وسلم صوم يوم
من شهر حرام افضل من صوم ثلثين من غيره وصوم يوم من رمضان افضل من ثلثين
من شهر حرام وفي الحديث من صام ثلثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة
والسبت كتب الله له عبادة سبع ماية عام وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا
صوم حتى رمضان ولهذا استحب ان يفطر قبل رمضان اياما فان وصل شعبان
برمضان فجايز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وفصل مرارا ولا يجوز
ان يستقبل رمضان بيومين او بثلثة الا ان يوافق وردا له وكره بعض الصحابة
ان يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان فالاشهر الفاضلة ذو الحجة
والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد
فرد وثلثة سرد وافضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات
ذو القعدة من الاشهر الحرم واشهر الحج وشوال من اشهر الحج وليس من الحرم والمحرم

ورجب



ورجب ليسا من اشهر الحج وفي الخبر ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله عز وجل
من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل
قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد الا من عقر جواده
واهريق دمه واما ما يتكرر في الشهر فاول الشهر واوسطه واخره ووسطه الايام
البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر واما في الاسبوع فالاثنين
والخميس والجمعة فهذه الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف
اجورها ببركة هذه الاوقات واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين
فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ وردت اخبار تدل على كراهته والصحيح انه انما يكره
لشيئين احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والاخر
ان يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله عز وجل يحب
ان تؤتى رخصه فاذا لم يكن شي من ذلك وراى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل
ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين لهم باحسان وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه
ابو موسى الاشعري من صام الدهر ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن له فيها موضع
ودونه درجة اخرى وهو صوم نصف الدهر كان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك
اشد على النفس واقوى في قهرها وقد ورد في فضله اخبار لان العبد فيه بين صبر يوم
وشكر يوم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عرضت علي مفاتيح خزاين الدنيا وكنوز الارض
فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا
جعت وقال ايضا افضل الصيام صيام اخي داود كان يصوم يوما ويفطر
يوما ومن ذلك منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو في الصوم وهو يقول اني اريد
افضل من ذلك فقال عليه السلم صم يوما وافطر يوما فقال اني اريد افضل من ذلك فقال لا
افضل من ذلك ويروى انه عليه السلم ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان
يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا باس بثلثه وهو ان يصوم يوما
ويفطر يومين واذا صام ثلثة في اول الشهر وثلثة في اوسطه وثلثة في الاخر

فهو قريب من الثلث واذا ظهرت اوقات الفضيله فالكمال في ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله والفقيه بدقايق الباطن ينظر الى احواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي مزج الافطار بالصوم فاذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الاخره بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح حاله وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روي انه عليه السلم كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام وذلك بحسب ما ينكشف له من نور النبوه من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلما ان يوالي بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد رديّ العادات ويفتح ابواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق اكثر الخلق لا سيما من ياكل في اليوم والليله مرتين فهذا ما اردنا ان نذكره في ترتيب صوم التطوع والله اعلم بالصواب

ويتلوه كتاب اسرار الحج وهو الكتاب السابع من ربع

لم احيا [illegible]

كتاب أسرار الحج ومهماتها

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وامنا واكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا والصلاة على محمد نبي الرحمه وسيد الامه وعلى اله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلامه عليهم كثيرا اما بعد فان الحج من بين اركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام وكمال

الدين وفيه انزل الله تعالى قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شا يهوديا وان شا نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال واجدر بها ان نصرف العنايه الى شرحها وتفصيل اركانها وسننها وادابها وفضايلها واسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله تعالى في ثلثة ابواب

الباب الاول في فضايلها وفضايل مكة والبيت العتيق وجمل اركانها وشرايط وجوبها

الباب الثاني في اعمالها الظاهره على الترتيب من اول السفر الى الرجوع

الباب الثالث في ادابها الدقيقه واسرارها الخفيه واعمالها الباطنه

فلنبدا اما الباب الاول وفيه فصلان

الفصل الاول في فضايل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينه وشد الرحال الى المشاهد

فضيلة الحج قال الله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر قال قتاده لما امر الله تعالى ابرهيم الخليل عليه السلم ان يوذن في الناس بالحج نادى ايها الناس ان الله بنى بيتا فحجوه وقال تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل التجاره في الموسم والاجر في الاخره ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبه وقيل في تفسير قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال عليه السلم من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقال ايضا ما راى الشيطان في يوم هو اصغر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفه وما ذاك الا لما يرى من تنزيل الرحمه وتجاوز الله فيه عن الذنوب العظام اذ يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفه وقد اسنده جعفر بن محمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين ان ابليس لعنه الله ظهر له في صورة شخص بعرفه فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي ابكى عينك قال خروج الحاج اليه بلا تجاره اقول قد قصدوه اخاف ان لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي انحل جسمك قال صهيل

اجبل في سبيل الله ولو كانت في سبيلي كان احب الي قال فما الذي يقصف ظهرك قال
قول العبد اسال الله حسن الخاتمه اقول يا ويلي متى يعجب هذا العبد من عمله اخاف
ان يكون قد فطن وقال عليه السلم من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجرى له
اجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامه ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم
يحاسب وقيل له ادخل الجنه وقال صلى الله عليه وسلم حجه مبروره خير من الدنيا وما فيها
وحجه مبروره ليس لها جزا الا الجنه وقال الحاج والعمار زوار الله ووفد الله
وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان
شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من طريق اهل البيت عليهم السلم اعظم الناس ذنبا
من وقف بعرفه فظن ان الله عز وجل لم يغفر له وروى ابن عباس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم مايه وعشرون
رحمه ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر
استكثروا من الطواف بالبيت فانه من اول شي تجدونه في صحفكم يوم القيامه
واغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتدا في غير حج ولا عمره وفي
الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبه ومن طاف اسبوعا في المطر
غفر له ما سلف من ذنوبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر ذنبا للعبد في الموقف
غفره لكل من اصابه في ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفه يوم
جمعه غفر لكل اهل المغفره وهو افضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجه الوداع وكان واقفا اذ نزل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم قال اهل الكتاب
لو انزلت علينا هذه الايه لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد لقد
انزلت في يوم عيدين اثنين يوم عرفه ويوم جمعه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
واقف بعرفه قال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروي
ان علي بن الموفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا قال فرايته في المنام فقال لي يا ابن
الموفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني اكافيك بها يوم القيامه

اخذ بيدك

اخذ بيدك في الموقف فادخلك الجنه والخلايق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره
من العلما ان الحاج اذا قدموا مكه تلقتهم الملايكه فسلموا على ركبان الابل وصافحوا
ركبان الحمر واعتنقوا المشاه اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب
غزو او حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن استغفر له
شهر ذي الحجه والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الاول وقد كان من سنه السلف ان يشيعوا
الغزاه وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسالونهم الدعا لهم ويبادرون
ذلك قبل ان يتدنسوا بالاثام وروي عن علي بن الموفق قال حججت سنه فلما كان ليله
عرفه نمت بمنى في مسجد الخيف فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السما عليهما
ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه يا عبد الله فقال لبيك يا عبد الله قال تدري كم
حج بيت ربنا في هذه السنه قال لا ادري قال حج بيت ربنا ستمايه الف فتدري كم
قبل منهم قال لا قال قبل منهم سته انفس قال ثم ارتفعا في الهوا فغابا عني فانتبهت
فزعا واغتممت غما شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل حج سته انفس فاين اكون
انا في سته انفس فلما افضت من عرفه وبت عند المشعر جعلت افكر في كثره الخلق
وفي قله من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى
صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه ثم قال اتدري ما حكم الله في هذه الليله
قال فانه وهب لكل واحد من السته مايه الف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل
عن الوصف وعنه ايضا انه قال حججت سنه فلما فعلت قلت اللهم اني قد وهبت حجتي وجعلت
ثوابها لمن لم يقبل حجه فرايت رب العزه في النوم فقال لي يا علي تتسخى علي وانا خلقت
السخا والسخيا انا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم
قد وهبت كل من لم اقبل لمن قبلته

فضيلة البيت

قال النبي عليه السلم ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه كل سنه ستمايه الف فان نقصوا اكملهم
الله تعالى بالملايكه وان الكعبه تحشر كالعروس المزفوفه وكل من حجها يتعلقون باستارها
يسعون حولها حتى تدخل الجنه فيدخلون معها وفي الخبر ان الحجر ياقوته من

يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان يشهد لمن استلمه بحق وصدق
وكان عليه السلم يقبله كثيرا وروي انه عليه السلم سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع
المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال اني لاعلم انك حجر لا تضر
ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا
نحيبه فالتفت الى ورايه فراى عليا رضي الله عنه فقال يا ابا الحسن ههنا تسكب العبرات
نشيجه
فقال يا امير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله عز وجل لما اخذ
الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفا ويشهد
على الكافر بالجحود فمن ذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا
بك وتصديقا بكتابك ووفا بعهدك وروي عن الحسن البصري ان صوم يوم فيها بماية الف وصدقة
درهم فيها بماية الف درهم وكذا كل حسنة بماية الف ويقال طواف سبعة اسابيع
تعدل عمرة وثلث عمر تعدل حجة وفي الخبر عمرة في رمضان تعدل حجة مبرورة
وقال عليه السلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم اتي اهل البقيع فيحشرون معي
ثم اتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ان ادم عليه السلم لما قضى مناسكه
لقيته الملايكة فقالوا بر حجك يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وجا في
الاثر ان الله تعالى ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه اهل الحرم
واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن راه طايفا غفر له ومن
راه مصليا ومن راه قايما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف بعض الاولياء قال اني رايت
الثغور كلها تسجد لعبادان وان عبادان تسجد لجدة ويقال لا تغرب الشمس من
يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا
طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح
الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها
احد ثم يرفع القران من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق ابيض يلوح ليس فيه
حرف ثم ينسخ القران من القلوب فلم يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار

والاغاني

والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى بن مريم عليه السلم فيقتله وعند
ذلك الساعة بمنزلة الحامل المقرب تتوقع ولادتها وفي الخبر استمتعوا من الطواف
بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروي علي رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا
بدات ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره فضيلة المقام بمكة وكراهته
لم يكره الخايفون المحتاطون من العلما المقام بمكة لمعان ثلاثة احدها خوف
التبرم بالبيت فان ذلك ربما يوثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام ولهذا
كان عمر رضي الله عنه يضرب الحاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام
شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة
الطواف وقال خشيت ان يانس الناس بهذا البيت الثاني تهيج الشوق بالمفارقة
لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة اي يثوبون ويعودون اليه
مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم تكون في بلد وقلبك مشتاق
الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك الى بلد
اخر وقال بعض السلف كم رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن
يطوف به ويقال ان لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله تعالى الثالث
الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطر وبالحري ان يورث مقت الله
لشرف الموضع روي عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر اصلي
فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله تعالى اشكو ثم اليك يا جبريل ما القى
من الطايفين حولي من تفكرهم في الحديث ولغوهم ولهوهم لين لم ينتهوا عن ذلك
لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه قال ابن مسعود
ما من بلد يواخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه
بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه على مجرد الارادة ويقال ان السيئات
تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس يقول الاحتكار بمكة من الالحاد

في الحرم وقيل الذهب ايضا وقال ابن عباس لان اذنب سبعين ذنبا بركيه احب الي من
ان اذنب ذنبا واحدا بمكه وركيه منزل بين مكه والطايف ولخوف ذلك انتهى بعض
المقيمين الي ان لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج الي الحل لقضا الحاجه
وكان بعضهم اقام شهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامه كره بعض
العلما اجور دور مكه ولا تظنن ان كراهيه المقام تناقض فضل البقعه لان هذه كراهه
علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به
افضل اي بالاضافه الى مقام مع التقصير اما ان يكون افضل من المقام مع الوفا بحقه
فهيهات وكيف لا ولما عاد عليه السلام الى مكه استقبل الكعبه وقال انك لخير ارض
الله واحب بلاد الله الي ولولا اني اخرجت منك لما خرجت والنظر الى البيت
عباده والحسنات فيها مضاعفه مع الوفا بحقه فضيله المدينه
وساير البلاد ما بعد مكه بقعه افضل من مدينه الرسول صلى الله عليه وسلم فالاعمال
فيها ايضا تضاعف قال عليه السلم صلاه في مسجدي هذا خير من الف صلاه فيما سواه
الا المسجد الحرام فكذلك كل عمل بالمدينه بالف وبعد المدينه الارض المقدسه
فان الصلاه فيها بخمسماية وكذا ساير الاعمال وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال صلاه في مسجد المدينه بعشره الف صلاه وصلاه في المسجد
الاقصى بالف صلاه وصلاه في المسجد الحرام بماية الف صلاه وقال عليه السلم
يصبر على شدتها ولاوايها احد الا كنت له شفيعا يوم القيامه وما بعد هذه
البقاع الثلثه فالمواضع فيها متساويه الا الثغور فان المقام بها للمرابطه فيها
افضل ولذلك قال عليه السلم لا تشد الرحال الا الى ثلثه مساجد المسجد الحرام
ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلما الى الاستدلال بهذا الحديث
في المنع من الرحله لزياره المشاهد وقبور العلما والصلحا وما تبين لي ان الامر كذلك
بل الزياره مامور بها قال عليه السلم كنت نهيتكم عن زياره القبور فزوروها والحديث
ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلثه

متماثله

متماثله فلا بلد الا وفيها مسجد فلا معنى للرحله الى مسجد اخر واما المشاهد فلا
تتساوى بل بركه زيارتها على قدر درجاتهم عند الله تعالى نعم لو كان في موضع لا
مسجد فيه فله ان يشد الرحال الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكليه ان شا ثم ليت
شعري هل يمنع هذا القايل من شد الرحال الى قبور الانبيا مثل ابرهيم وموسى ويحيى
وغيرهم عليهم السلم فالمنع من ذلك في غايه الاحاله واذا جوز ذلك فقبور
العلما والاوليا والصلحا في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحله
كما ان زياره العلما في الحيوه من المقاصد هذا في الرحله اما المقام
فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفاده العلم مهما سلم
له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين
وافرغ للقلب وايسر للعباده فهو افضل البقاع له قال عليه السلم البلاد بلاد الله
والخلق عباده فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر من
رزق من شي فليلزمه ومن جعلت معيشته في شي فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه
وقال ابو نعيم رايت الثوري وقد جعل جرابه على عاتقه واخذ قلته بيده فقلت
الى اين يا ابا عبد الله فقال الى بلد املا فيه جرابي بدرهم وفي حكايه اخرى بلغني
بلد فيه رخص اقيم به قال فقلت وتفعل هذا قال نعم اذا سمعت ببلد فيه رخص
فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا زمان سو لا يومن فيه على
الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قريه الى قريه يفر من
الفتن وحكى عنه انه قال والله لا ادري اي البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال
مذاهب مختلفه واراء فاسده قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهره
قيل فالعراق قال بلد الجبابره قيل فمكه قال تذيب الكيس والبدن وقال له رجل عزمت
على المجاوره بمكه فاوصني قال اوصيك بثلث لا تصلين في الصف الاول ولا
تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقه وانما كره الصف الاول لانه يشتهر فيفتقد فيختلط
بعمله التزين والتصنع

الفصل الثاني في شرط وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته ومحظوراته

اما الشرائط فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه
ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف
والسعي واما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر
من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة
ولكن من كان معتكفا على النسك ايام منا فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن
من الاشتغال عقيبه لاشتغاله باعمال منا واما شرط وقوعه عن حجة الاسلام
فخمسة الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان احرم الصبي
او العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة او المزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع
الفجر اجزاهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم الاساءة ويشترط هذه
الشرايط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت واما شرط وقوع
الحج نفلا عن الحر البالغ فبعد فراغه عن حجة الاسلام فحج الاسلام مقدم ثم القضاء
لمن افسد في حالة الوقوف ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك
يقع وان نوى خلافه واما شرط لزوم الحج فخمسة الاسلام والبلوغ والعقل
والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول
مكة لزيارة او تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة
او حج واما الاستطاعة فنوعان احدهما المباشرة وذلك له اسباب
اما في نفسه فالصحة واما في الطريق بان يكون خصيبة امنة بلا بحر مخطر ولا
عدو قاهر واما في المال فان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه كان له اهل
او لم يكن لان مفارقة الوطن شديد وان يملك نفقة في هذه المدة وان يملك ما يقضي به
دينه وان يقدر على راحلة وكراء محمل او زاملة ان استمسك على الزاملة واما
النوع الثاني فاستطاعة المغصوب بماله ان يستاجر من يحج عنه بعد فراغ
الاجير عن حجة الاسلام لنفسه ويلغي نفقة الذهاب براحلة في هذا النوع والاياب
اذا العوض طاعة على الابن الا من صار به مستطيعا ولو عرض المال لم يصر مستطيعا

لان الخدمة

لان الخدمة بالبدن فيه شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع
لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو في اخر عمره
سقط عنه وان مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته
يحج عنه وان لم يوص كسائر ديونه وان استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس
فهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقي الله تعالى ولا حج عليه
ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله تعالى قال عمر رضي الله عنه
لقد هممت ان اكتب في الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه
سبيلا وعن سعيد بن جبير وابرهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا
وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات
ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يحج سال الرجعة الى الدنيا
وقرا قوله تعالى قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال الحج
واما الاركان التي لا يصح الحج دونها فخمسة الاحرام والطواف
والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول واركان العمرة كذلك الا
الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ستة الاحرام في الميقات فمن
تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمي وفيه الدم قولا واحدا واما الصبر
بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنا وطواف الوداع
فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين وفي القول الثاني فيها دم
على وجه الاستحباب واما وجوه اداء الحج والعمرة فثلثة الاول
الافراد وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل
فاحرم واعتمر وافضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية
وليس على المفرد دم الا ان يتطوع الثاني القران وهو ان يجمع فيقول لبيك
بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج
كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه

محسوبة من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج
ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شي عليه لانه
لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة الثالث التمتع وهو ان يجاوز الميقات
بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون
متمتعا الا بخمسة شرايط احدها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام
وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة الثاني ان يقدم
العمرة على الحج الثالث ان تكون عمرته في اشهر الحج الرابع ان لا
يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج الخامس ان
يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا
ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج قبل ايام النحر متفرقة
او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلثة حتى رجع الى الوطن
صام العشرة تتابعا او متفرقا وبدل دم القران والتمتع سوا والافضل الافراد
ثم التمتع ثم القران واما محظورات الحج فستة الاول اللبس
القميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا وردا ونعلين فان لم
يجد نعلين فمكعبا فان لم يجد ازارا فسراويلا ولا باس بالمنطقة وبالاستظلال
بالمحمل ولكن ينبغي ان لا يغطي راسه فان حرمه راسه وللمراة ان تلبس كل
مخيط بعد ان لا تستر وجهها بما يماسه فان احرامها في وجهها الثاني
الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلا طيبا فان تطيب او لبس فعليه دم شاة الثالث
الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا باس بالكحل ودخول الحمام والفصد
والحجامة وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول
لزمه البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي
تنقض الطهر مع النسا فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح
والانكاح ولا دم فيه فانه لا ينعقد السادس قتل صيد البر اعني ما

وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول

يوكل او ما

يوكل او ما هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم
يراعى فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزا فيه

الباب الثاني في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل

الجملة الاولى في السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية الاولى في
المال ينبغي ان يبدا بالتوبة ورد المظالم وقضا الدين واعداد النفقة لكل من
تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودايع ويستصحب من المال الطيب
الحلال من المال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في
الزاد والرفق بالضعفا والفقرا ويتصدق بشي قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على
الحمل لا تضعف او يكتريها فان اكتراها فليظهر للمكاري كل ما يريد ان يحمله من قليل او كثير ويحصل رضاه
فيه الثانية في الرفيق ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي
ذكره وان ذكر اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره ويودع رفقاه
واخوانه المقيمين ويودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في دعايهم خيرا
والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان
صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك
ووجهك للخير اينما توجهت الثالثة في الخروج من الدار ينبغي اذا هم
بالخروج ان يصلي ركعتين يقرا في الاولى بعد فاتحة الكتاب قل يا ايها الكافرون
وفي الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله عن اخلاص صاف ونية صادقة
وقال اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد
والاصحاب احفظنا واياهم من كل افة وعاهة اللهم انا نسالك ان تطوي
لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين
والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد عليه السلام اللهم انا نعوذ بك من وعثاء
السفر وكابة المنقلب والحور بعد الكور وسوء المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب
اللهم اجعلنا واياهم بجوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من

عافيتك. السابعة اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله
لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان اضل او ازل او اظلم او اظلم او
اجهل او يجهل علي اللهم اني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة
بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك
صلى الله عليه وسلم وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت
وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي ورجائي فاكفني ما اهمني وما لا
اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم
زودني التقوى واغفر لي ذنوبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو بهذا
الدعاء في كل منزل يرحل عنه. الخامسة في الركوب فاذا ركب الراحلة
يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اني وجهت وجهي اليك
وفوضت امري كله اليك وتوكلت في جميع اموري عليك انت حسبي ونعم
الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما
كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت
المستعان على الامور. السادسة في النزول والسنة ان لا ينزل حتى
يحمى النهار ويكون اكثر سيره في الليل قال عليه السلام عليكم بالدلجة فان الارض
تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير
ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب
الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين
ورب البحار وما جرين اسألك خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر
هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم واذا نزل المنزل صلى فيه

ركعتين

ركعتين ثم قال اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر
من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من
شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية
وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار. السابعة
في الحراسة ينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خلف القافلة وخارج القافلة
لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء الليل
افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه
هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره فانه ربما استثقل بالنوم فتطلع
الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة افضل مما يناله من الحج ويستحب
بالليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة فاذا نام احدهما حرس الآخر فهو السنة
فان قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والاخلاص
والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على
الله ما شاء الله لا يأتي بالخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله
وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لاغلبن انا
ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت
اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا
بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك
وامائك برأفة ورحمة انك انت ارحم الراحمين. الثامنة مهما علا نشزا
من الارض في الطريق فيستحب ان يكبر ثلثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف
ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك
القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت. الجملة الثانية
اداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة الاولى ان يغتسل وينوي به
غسل الاحرام اعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه ويتمم غسله

بالتنظيف بحلق راسه وتقليم اظفاره وقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها
في الطهارة الثاني ان يفارق الثياب المخيط ويلبس ثوب الاحرام فيرتدي ويتزر
بثوبين ابيضين فالابيض هو احب الثياب الى الله تعالى ويتطيب في بدنه وثيابه ولا باس
بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام فقد رؤي وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم
مما كان استعمله قبل الاحرام الثالث ان يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته
ان كان راكبا او يبدا بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او العمرة قرانا
او افرادا كما اراد وينوي ذلك ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة
ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد
والنعمة لك والملك لا شريك لك وان اراد زاد لبيك وسعديك والخير كله بيديك
والرغباء اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الرابع
اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة يستحب ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني
على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين
استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك الذين رضيت وارتضيت
وقبلت اللهم فيسر لي اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري ولحمي ودمي
وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء
وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي
ذكرناها من قبل فليجتنبها الخامس يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام
خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط
وعند كل ركوب ونزول رافعا صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادي
اصم ولا غايبا كما ورد في الخبر ولا باس برفع الصوت في التلبية في المساجد الثلاثة
فانها مظنة المناسك اعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما ساير
المساجد فلا باس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان صلى الله عليه وسلم اذا اعجبه شي
قال لبيك ان العيش عيش الآخرة ~~[illegible] الطواف [illegible]~~

الاول ان يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغسال المستحبة المسنونة في الحج تسعة الاول
للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بالمزدلفة
ثم ثلاثة اغسال لرمي الجمرات الثلث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير
الشافعي رضي الله عنه في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فيعود الى
سبعة الثاني ان يقول عند الدخول الى اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا
حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار وامني من عذابك يوم تبعث
عبادك واجعلني في اوليائك واهل طاعتك الثالث ان يدخل مكة من جانب
الابطح وهي من ثنية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق
اليها فالتاسي به اولى واذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي السفلى
والاولى هي العليا الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى راس الردم فعنده يقع بصره
على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام
ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته
وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة
اللهم افتح لي ابواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني من الشيطان الرجيم
الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله
وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قرب
من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
وعلى ابرهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني
اسالك في مقامي هذا في اول مناسكي ان تقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي وتضع
عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وامنا وجعله
مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت
بيتك جئت اطلب رحمتك اسالك مسالة المضطر الخائف لعقوبتك الراجي رحمتك
الطالب مرضاتك السادس ان يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده

المني وتقبله وتقول اللهم امانتي اديتها وميثاقي تعهدته لتشهد لي بالموافاة
فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته وتقول ذلك ثم لا يعرج على شيء دون
الطواف وهو طواف القدوم الا ان يجد الناس في المكتوبة ثم فليصل معهم ثم
يطوف ~~الى البيت في الطواف~~ فاذا اراد افتتاح الطواف اما للقدوم
او لغيره فينبغي ان يراعي امورا ستة الاول ان يراعي شروط الصلاة في
طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والنظافة وستر العورة فالطواف بالبيت
صلاة ولكن الله اباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو ان يجعل وسط
ازاره تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفا من ظهره
وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية
التي سنذكرها الثاني اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره
وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر
بجميع بدنه في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلث خطوات ليكون قريبا
من البيت فانه افضل ولكيلا يكون طايفا على الشاذروان فانه من البيت وعند
الحجر الاسود قد يتصل بالارض ويلتبس به والطايف عليه لا يصح طوافه لانه
طايف في البيت والشاذروان هو الذي فضل من عرض جدار البيت بعد ان ضيق
اعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدي بالطواف الثالث ان يقول
قبل ابتدا الطواف بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء
بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فاول ما يجاوز الحجر
ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا
الامن امنك وهذا مقام العايذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينيه الى مقام
ابرهيم اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذني من
النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وامني من اهوال يوم
القيامه واكفني مؤونة الدنيا والاخره ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي

فعندها يقول

فعندها يقول اللهم اني اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء
الاخلاق وسوء المنظر في الاهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم
اظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك اللهم اسقني بكاس محمد صلى الله عليه وسلم شربة
لا اظما بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجا مبرورا
وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر
وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني والحجر
الاسود قال اللهم اني اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر ومن عذاب
القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك من الخزي في الدنيا والاخره ويقول
بين الركن اليماني والحجر الاسود اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخره
حسنه وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار فاذا بلغ الحجر قال اللهم
اغفر لي برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب
القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة اشواط ويدعو
بهذه الادعية في كل شوط الرابع ان يرمل في ثلثة اشواط ويمشي في الاربع
الاخر على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطا
وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار
الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد اولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك
السنه والافضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع
البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلثا ثم ليقرب الى البيت المزدحم
وليمش اربعا وان امكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الاحب وان منعته الزحمة
اشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليماني مستحب من بين ساير الاركان
روي انه عليه السلام كان يستلم الركن اليماني ويقبله ويضع خده عليه ومن اراد تخصيص
الحجر بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام اعني المس باليد فهو الاولى
اذ هو الاشهر في الروايه الخامس اذا تم الطواف سبعا فليات الملتزم وهو بين

الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالأستار
وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليبسط ذراعيه وكفيه
وليقل اللهم يا رب البيت العتيق أعتق رقبتي من النار وأعذني من الشيطان
الرجيم وأعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني اللهم إن
هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلني من
أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا الموضع وليصل على رسوله محمد وآله وعلى
جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر الله من ذنوبه فإن بعض
السلف في هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عني حتى أقر لربي بذنوبي الس
إذا فرغ من ذلك سعى أن يصلي خلف المقام ركعتين يقرأ في الأولى قل يا أيها
الكافرون وفي الثانية الإخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهري مضت السنة
أن يصلي لكل أسبوع ركعتين وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان أسبوع طواف وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر
لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والأولى اللهم اعصمني بألطافك
حتى لا أعصيك وأعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن
يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم كما هديتني للإسلام
فثبتني عليه بألطافك وولايتك واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك وأجرني
من مضلات الفتن ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف والواجب من
جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا لجميع البيت وأن يبدأ
بالحجر ويجعل البيت على يساره وأن يطوف راجلا داخل المسجد خارج البيت
لا على الشاذروان ولا في الحجر وأن يوالي بين الأشواط ولا يفرقها تفريقا
خارجا عن المعتاد وما عداها فهي سنن وهيئات
فإذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع بين الركن
اليماني والحجر فإذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه

درجا في حضيض الجبل قدر قامة الرجل رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة
وابتداء السعي من أصل الجبل وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج محدثة فينبغي أن
لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة
سبع مرات وعند رقيه من الصفا ينبغي أن يقبل على البيت ويقول الله أكبر
الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء
قدير لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره المشركون لا إله إلا
الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته
أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون اللهم إني أسألك إيمانا
دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وأسألك
العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ويصلي على محمد وعلى آله ويدعو
الله بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدي السعي وهو يقول رب
اغفر وارحم واعف عما تعلم فإنك أنت الأعز الأكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هيئته إلى الميل الأخضر
وهو على زاوية المسجد الحرام فإذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ
في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي إلى الميلين الأخضرين ثم يعود إلى الهيئة فإذا
انتهى إلى المروة صعدها كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل
ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان
يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون
كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فإذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف
القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف

واذا سعى ينبغي ان لا يعيد السعي بعد الوقوف و يكتفي بهذا لانه ليس من شرط السعي
ان يتاخر عن الوقوف وانما ذلك شرط في طواف الزيارة ثم شرط كل سعي ان يقع بعد
طواف اي طواف كان ~~الحج في التنبيهات~~ المسئلة السادسة الحاج ان انتهى
يوم عرفة الى عرفات فلا يشتغل بطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا
وصل قبل ذلك بايام وطاف طواف القدوم يمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة
فيخطب الامام خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويامر الناس بالاستعداد للخروج
الى منى يوم التروية والمبيت بها والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد
زوال الشمس اذ وقت الوقوف بعد الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر
ينبغي ان يخرج الى منى ملبيا ويستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضاء حجه
ان قدر عليه والمشي من مسجد ابرهيم عليه السلام الى الموقف افضل واكد فاذا انتهى الى منى
قال اللهم هذه منى فامنن علي بما مننت به على اوليائك واهل طاعتك وليبت
هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى الصبح
فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة
غدوتها قط واقربها من رضوانك وابعدها من سخطك اللهم اليك غدوت
واياك اعتمدت ووجهك اردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وافضل
فاذا اتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة
وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وقعد واخذ المؤذن
في الاذان والامام في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام
مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلاة
وراح الى الموقف وليقف بعرفة ولا يقف في وادي عرنة واما مسجد ابرهيم عليه السلام
صدره في الوادي واخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف
بعرفة ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت هناك والافضل ان يقف عند الصخرات
بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا وليكثر من انواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء

على الله تعالى

على الله تعالى والدعاء والتوبة ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على
الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الحاج ان يلبي تارة ويكب على الدعاء
اخرى ولا ينبغي ان ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل
والنهار وان امكنه الوقوف يوم الثاني ايضا عند امكان الغلط في الهلال فهو الحزم
وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج
فعليه ان يتحلل عن احرامه باعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضي
وليكن اهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى
اجابة الدعوات والدعاء الماثور في يوم عرفة اولى ما يدعى به فليقل لا اله الا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الملك
وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا
اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري وليقل اللهم ربنا لك الحمد كالذي نقول وخيرا
مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي اليك مآبي وعليك ثوابي اللهم
اني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح
ومن شر بوائق الدهر اللهم اني اعوذ بك من تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع
سخطك اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الاخرة والاولى يا خير مقصود وارحم
منزول عليه واكرم مسؤول لديه اعطني العشية افضل ما تؤتي احدا من خلقك
وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات ويا
فاطر الارضين والسموات ضجت اليك الاصوات بفنون اللغات تسئلك الحاجات
وحاجتي ان لا تنساني في دار البلى اذا نسيني اهلي واهل الدنيا اللهم انك
تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من امري انا
البائس الفقير المستغيث المستجير المشفق المعترف بذنبه اسالك مسالة المسكين وابتهل
اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك
رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني

الدعا يا ال سقيا ولن لي رووفا رحيما يا خير المسؤولين واكرم المعطين الهي من
مدح اليك نفسه فانا اليوم لنفسي الهي اخرست المعاصي لساني فمالي وسيلة من عمل
ولا شفيع سوى الامل اللهم اني اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا
للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك
فان رحمتك اهل ان تبلغني رحمتك وسعت كل شي وانا شي الهي ان ذنوبي
وان كانت عظاما ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي
انت انت وانا انا العواد الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة الهي
ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت
عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علي
واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي وفقري اليك وغناك
عني الا غفرت لي يا ارحم الراحمين ويا خير من دعاه داع وافضل من رجاه
راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد صلى الله عليه وسلم اتوسل اليك فاغفر لي جميع
ذنوبي واصرفني عن موقفي هذا مقضي الحوائج وهبني ما سالت وحقق
رجائي فيما تمنيت الهي دعوتك بالدعا الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجا
الذي عرفتنيه الهي ما انت صانع بعبد مقر بذنبه خاشع لك بذلة مستكين
بجرمه متضرع اليك بعمله تايب اليك في اقراره مستغفر لك من ظلمه مبتهل
اليك في العفو عنه طالب اليك نجاح حوايجه راج لك في موقفه مع
كثرة ذنوبه فيا ملجا كل حي وولي كل مومن من احسن فبرحمتك يفوز ومن
اسا فبخطيته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنايك انخنا واياك املنا وما
عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا
ولبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضماير الصامتين يا من ليس معه
رب يدعى ويا من ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يوتى ولا
حاجب يرشى يا من لا يزداد على السوال الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوائج

الا تفضلا

الا تفضلا واحسانا انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك فاجعل قرانا
منك الجنة اللهم ان لكل وفد جايزة ولكل زاير كرامة ولكل سايل عطية
ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزا ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب
اليك زلفة ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا هذه
المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجا لما عندك الهنا
تابعت النعم حتى اطمانت الانفس بتتابع نعمك واظهرت العبر حتى نطقت
الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف اولياوك بالتقصير عن حقك
واظهرت الايات حتى افصحت السما والارضون بادلتك وقهرت بقدرتك حتى
خضع كل شي لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اسا عبادك حلمت وامهلت
واذا احسنوا تفضلت وقبلت واذا عصيناك سترت واذا اذنبنا عفوت وغفرت
واذا دعونا اجبت واذا نادينا سمعت واذا اقبلنا اليك قربت واذا ولينا
عنك دعوت الهنا انك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد
الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه
الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ من دخل في الاسلام
الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل
فاعتقنا وانك امرتنا ان نتصدق على فقراينا ونحن فقراوك وانت احق بالتطول
والتفضل فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا فقد ظلمنا انفسنا وانت
احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا ربنا اتنا في
الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وليكثر دعا الخضر عليه السلام
وهو ان يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات ولا تغلطه
المسايل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا تضجره مسالة
السايلين اذقنا برد عفوك وحلاوة رحمتك وليدع بما بدا له وليستغفر لنفسه

ولو اليه وليلح في الدعا وليعظم المسلة فان الله تعالى لا يتعاظمه شي قال بكر المزني
نظرت الى اهل عرفات فظننت انهم قد غفر لهم لولا اني كنت فيهم وقال مطرف بن
عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من اجلي الجملة السابعة في
في بقية افعال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف فاذا افاض
من عرفات بعد غروب الشمس فينبغي ان يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف
الخيل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن وجيف الخيل وايضاع
الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا توطيوا ضعيفا ولا توذوا
مسلما فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل
وان قدر على دخوله ماشيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم ويكون في الطريق
رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها
السنة مختلفة تسالك حوائج موتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل
عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشا في مزدلفة في وقت العشا قاصرا لها
باذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشا والوتر بعد
الفريضتين ويبدا بنافلة المغرب ثم بنافلة العشا كما في الفريضتين وهكذا يفعل
الجامع في السفر فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها في
الاوقات اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرايض واذا جاز ان يودي النوافل
مع الفرض بتيمم واحد بحكم التبعية فلان يجوز اداوها على حكم الجمع بالتبعية
اولى ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض في جواز ادايه على الراحلة لما اومانا
اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج
منها في النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحيا هذه الليلة الشريفة
من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم مهما انتصف الليل اخذ في التاهب للرحيل ويتزود
الحصا منها ففيها احجار رخوة فلياخذ سبعين حصاة فانه قدر الحاجة ولا باس ان
يستظهر بزيادة فربما يسقط بعضه وليكن الحصا خفافا بحيث تحتوي عليها اطراف البراجم

ثم ليغلس

ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ في السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو اخر المزدلفة
فيقف ويدعوا الى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام
والشهر الحرام والركن والمقام بلغ روح محمد صلى الله عليه وسلم منا التحية والسلام وادخلنا
دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي الى وادي
محسر فيستحب ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان راجلا اسرع
في المشي ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر اخرى فينتهي
الى منا ومواضع الجمرات وهي ثلث فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما يوم
النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع
قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر لمواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس
بقدر رمح وكيفيته ان يقف مستقبلا للقبلة وان استقبل الجمرة فلا باس ويرمي سبع
حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة اللهم تصديقا بكتابك
واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب الفرايض
الصلوات من ظهر يوم النحر الى عقيب الصبح من اخر ايام التشريق ولا يقف في
هذا اليوم للدعا بل يدعوا في منزله وصفة التكبيرات ان يقول الله اكبر الله اكبر
الله اكبر كبيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له
الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله
اكبر ثم يذبح الهدي لو كان معه والاولى ان يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله اكبر
اللهم منك وبك واليك تقبل مني كما تقبلت من خليلك ابرهيم والتضحية بالبدنة افضل
ثم بالبقرة ثم بالشاة والشاة افضل من مشاركة ستة في البدنة او البقرة والضان
افضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضا افضل
من الغبرا والسودا وقال ابو هريرة البيضا افضل في الاضحى من دم سوداوين وليأكل منه
ان كان هدي التطوع ولا يضحي بالجدعا والعضبا والجربا والشرقا والخرقا والمقابلة
والمدابرة والعجفا فالجدع في الانف والاذن القطع منهما والعضب في القرن ونقصان

القوايم والشرقا المسقوفه الادنى من فوق والاخرى من اسفل والمقابله المخروقه
الادنى من قدام والمدابره من خلف والعجفا المهزوله التي لا تنقي من الهزال
ثم يحلق بعد ذلك والسنه ان يستقبل القبله ويبدا بمقدم راسه فيحلق الشق الايمن
الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول اللهم اثبت لي بكل شعره حسنه
وامح عني بها سيئه وارفع لي بها عندك درجه والمراه تقصر الشعر والاصلع
يستحب ان يمر الموسى على راسه ومهما حلق بعد رمي الجمره فقد حصل له التحلل
الاول وحل له المحظورات الا النسا والصيد ثم يفيض الى مكه ويطوف كما ذكرناه
وهذا الطواف ركن في الحج ويسمى طواف الزياره واول وقته بعد نصف الليل من ليله
النحر وافضل وقته يوم النحر ولا اخر لوقته بل له ان يوخر الى اي وقت شا
ولكن يبقى مقيدا بعلقه الاحرام فلا تحل له النسا الى ان يطوف فاذا طاف تم له
التحلل وحل له الجماع وارتفع الاحرام بالكليه ولم يبق الا رمي ايام التشريق
والمبيت بمنا وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفيه هذا الطواف
مع الركعتين ما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفناه ان لم
يكن سعى بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغي ان يعيد
السعي واسباب التحلل ثلثه الرمي والحلق والطواف الذي هو
ركن ومهما اتى باثنين فقد تحلل احد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتاخير لهذه
الثلث مع الذبح ولكن الاحسن ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنه للامام
في هذا اليوم ان يخطب بعد الزوال وهي خطبه وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي
الحج اربع خطب خطبه يوم السابع وخطبه يوم عرفه وخطبه يوم النحر
وخطبه يوم النفر الاول وكلها عقيب الزوال وكلها افراد الا خطبه يوم عرفه
فانها خطبتان بينهما جلسه ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منا للمبيت والرمي فيبيت
تلك الليله بمنا وتسمى ليله القر لان الناس في غد يقرون بمنا ولا ينفرون فاذا اصبح
اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمره الاولى التي تلي عرفه

وهي على يمين

وهي على يمين الجاده ويرمي اليها بسبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن الجاده
ووقف مستقبل القبله وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف
مستقبل القبله قدر قراه سوره البقره مقبلا على الدعا ثم يتقدم الى الجمره الوسطى ويرمي كما
رمى الاولى ويقف كما وقف للاولى ثم يتقدم الى جمره العقبه ويرمي سبعا ولا يعرج على شغل بل
يرجع الى منزله ويبيت تلك الليله بمنا وتسمى هذه الليله ليله النفر الاول ويصبح فاذا صلى
الظهر في اليوم الثاني من ايام التشريق رمى في هذا اليوم احدى وعشرين حصاه كاليوم
الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنا وبين العود الى مكه فان خرج من منا قبل غروب
الشمس فلا شي عليه وان صبر الى الليل لا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي
في يوم النفر الثاني احدى وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك المبيت والرمي اراقه دم وليتصدق
باللحم وله ان يزور البيت في ليالي منا بشرط ان لا يبيت الا بمنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعل ذلك ولا يترك حضور الفرايض مع الامام في مسجد الخيف فان فضله عظيم
فاذا افاض من منا فالاولى ان يقيم بالمحصب من منا ويصلي العصر والمغرب والعشا
ويرقد رقده فهو السنه رواه جماعه من الصحابه وان لم يفعل فلا شي عليه
الجمله الخامسه في صفه العمره وما بعدها الى طواف الوداع من اراد ان يعتمر قبل الحج او بعده كيف ما
اراد فليغتسل وليلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمره من ميقاتها وافضل
مواقيتها الجعرانه ثم التنعيم ثم الحديبيه وينوي العمره ويلبي ويقصد مسجد عايشه رضي الله عنها
ويصلي ركعتين ويدعو بما شا ويعود الى مكه وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل
المسجد ترك التلبيه وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفناه فاذا فرغ حلق راسه وقد تمت عمرته
والمقيم بمكه ينبغي ان يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت واذا دخله
فليصل بين العمودين فهو الافضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت
بيت ربك اليوم فقال والله ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف حول بيت ربي فكيف اراهما
اهلا لان اطا بهما بيت ربي وليكثر شرب ما زمزم وليستق بيده من غير استنابه ان
امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفا من كل دا وسقم

وارزقني الاخلاص والتقوى والمعافاة في الدنيا والآخرة قال عليه السلام ماء زمزم لما شرب له
اي يشفي ما قصد به التاسع طواف الوداع يستحب عمله مهما عزم له الرجوع الى
الوطن بعد الفراغ من اتمام الحج والعمرة فلينجز اولا اشغاله وليشد رحاله
وليجعل آخر اشغاله وداع البيت ووداعه بان يطوف سبعا كما سبق ولكن غير
رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم ياتي
الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك
وابن امتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني
بنعمتك حتى اعنتني على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عني فازدد عني رضا
والا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك هذا اوان انصرافي ان اذنت لي غير
مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم اصحبني العافية في بدني
والعصمة في ديني واحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما ابقيتني واجمع لي خير الدنيا
والآخرة انك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي من بيتك الحرام
وان جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والمستحب ان لا يصرف نظره
عن البيت حتى يغيب عنه العاشر في زيارة المدينة وآدابها جملة قال عليه السلام من
زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي وقال من وجد سعة ولم يفد الي فقد
جفاني وقال من جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله ان اكون له شفيعا
فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيرا في طريقه فاذا وقع
بصره على حيطان المدينة واشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي
وقاية من النار وامانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر
الحرة وليتطيب وليلبس انظف ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما
وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله اللهم ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي
بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى

جانبها

جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قبل ان يغير المسجد وليجتهد ان يصلي في مسجده الاول قبل ان زيد في المسجد ثم ياتي
قبر النبي عليه السلام فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر
على نحو اربع اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على
راسه وليس من السنة ان يمس الجدار ولا ان يقبله بل الوقوف من بعد اقرب الى
الاحترام ثم يقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله
السلام عليك يا امين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله
السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا احمد السلام عليك يا محمد
السلام عليك يا ابا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب
السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طاهر
السلام عليك يا اكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين
السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر
السلام عليك يا سيد الامة السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين
السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
السلام عليك وعلى اصحابك الطيبين وازواجك الطاهرات امهات المؤمنين
جزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك
كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون وصلى الله عليك في الاولين
والآخرين افضل واكمل واعلى واجل واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه
كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وامينه وصفيه
وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة
وجاهدت في الله حق جهاده وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك
اليقين فصلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين وسلم وكرم وشرف وعظم وان

كان قد اوصى بتبليغ سلامٍ فيقول السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع
ويسلم على الصديق رضي الله عنه لان راسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وراس عمر عند منكب ابي بكر ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه
ويقول السلام عليكما يا وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما
دام حيا والقائمين بعده في امته بامور الدين تتبعان في ذلك اثاره وتعملان بسنته
فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند راس رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله وليمجده وليكثر من الصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم انك قلت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك في
ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا
فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك
اللهم اغفر للمهاجرين والانصار ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله
اخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا ارحم الراحمين ثم يأتي الروضة فيصلي فيها
ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله عليه السلام ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب ان يضع يده على الرمانة التي كان صلى الله عليه وسلم
يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له ان ياتي احدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلي
الغداة في مسجد النبي عليه السلام ثم يخرج ويعود الى المسجد لصلاة الظهر فلا تفوته فريضة في
الجماعة في المسجد ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويزور قبر عثمان وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهم وفيه ايضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن
محمد رضي الله عنهم ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك كله بالبقيع ويستحب ان ياتي مسجد قباء في كل
يوم ويصلي فيه لقوله عليه السلام من خرج من بيته حتى ياتي مسجد قباء ويصلي فيه كان له عدل عمرة

ويأتي بئر ا

ويأتي بئر اريس يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وهي عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب
من مائها ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتي سائر المساجد والمشاهد
ويقال ان جميع المشاهد ثلثون موضعا يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر عليه
وكذلك يقصد الابار التي كان عليه السلام يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة ابار
طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة
فلها فضل عظيم قال صلى الله عليه وسلم لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له
شهيدا او شفيعا يوم القيامة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة
فالمستحب ان ياتي القبر ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويسأل الله تعالى ان يرزقه العود اليه ويسأله السلامة في سفره ثم يصلي ركعتين
في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان زيدت المقصورة
في المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على
محمد وعلى ال محمد ولا تجعله اخر العهد بنبيك وحط اوزاري بزيارته واصحبني
في سفري ويسر رجوعي سالما الى سالمين يا ارحم الراحمين وليتصدق على جيران
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه ويأتي المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها
وهي عشرون موضعا فصل في سنن الرجوع من السفر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قفل من غزو او حج او غيره يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون
ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده
وفي بعض الروايات كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان
يستعمل هذه السنة في رجوعه واذا اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم
اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا
يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل البلد
فليقصد المسجد اولا وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله
فلا ينبغي ان ينسى ما انعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه فيكفر تلك النعمة
بان يعود الى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته
ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

الباب الثالث في الآداب الدقيقة والاعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهي عشرة الاول ان تكون النفقة حلالا وتكون
اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب
مطمئنا منصرفا الى ذكر الله العظيم وتعظيم شعائره وقد روي في خبر من
طريق اهل البيت عليهم السلام اذا كان اخر الزمان خرج الناس الى الحج اربعة اصناف
سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة
وفي الخبر اشارة الى جملة اعراض الدنيا التي يتصور ان تتصل بالحج وكل ذلك مما
يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز الحج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا بنفس
الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وارباب
القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا باس ان ياخذ
ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك
ينبغي ان يكون قصده زيارة بيت الله ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه
وفي مثله ينزل قوله عليه السلام يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصي
بها والمنفذ لها ومن حج بها عن اخيه ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك
بعد ان اسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك
مكسبه ومتجره فان الله تعالى يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر
مثل الذي يغزو في سبيل الله وياخذ اجرا مثل ام موسى ترضع ولدها وتاخذ
اجرا فمن كان مثاله في اخذ الاجرة على الحج مثال ام موسى فلا باس باخذه فانه ياخذ
ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج لياخذ الاجرة بل كانت تاخذ لتتيسر لها

الارضاع

الارضاع بتلبيس حالها الثاني ان لا يعاون اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون
عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين في الطريق فان تسليم المال
اليهم اعانة على الظلم وتيسير لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف في
حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا باس بما قاله ان ترك التنفل
بالحج والرجوع عن الطريق افضل من اعانة الظلمة فان هذه بدعة احدثت
وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل
الجزية ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ مني وانا مضطر فانه لو قعد
في البيت او رجع من الطريق لم يؤخذ بل ربما يظهر اسباب الترفه فتكثر
مطالبته ولو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حالة
الاضطرار الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق
من غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد واعني بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة
والترفه بشرب انواعها على عادة المترفين فاما كثرة البذل فلا اسراف فيه
اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج
نفقة في سبيل الله والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده
في سفره وكان يقول افضل الحاج اخلصهم نية وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا
وقال عليه السلام الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل له يا رسول الله ما بر الحج
فقال طيب الكلام واطعام الطعام الرابع ترك الرفث والفسوق
والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام
ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك
يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى المحظور محظور والفسوق اسم جامع
لكل خروج عن طاعة الله تعالى والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث
الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه
وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر الحج والمماراة

تناقض طيب الكلام فلا ينبغي ان يكثر الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهم
من اصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسايرين الى بيت الله تعالى ويلزم حسن الخلق
وليس حسن الخلق كف الاذى بل احتمال الاذى وقيل سمي السفر سفرا لانه
يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم انه يعرف رجلا
هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا فقال ما اراك تعرفه
الخامس ان يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك افضل اوصى عبد الله بن عباس بنيه
عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة
من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمايه الف والاستحباب في المشي
في المناسك والتردد من مكة الى الموقف والى منا اكد منه في الطريق وان اضاف
الى المشي الاحرام من دويرة اهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلي وابن مسعود
في معنى قوله تعالى واتموا الحج والعمرة وقال بعض العلما الركوب افضل لما فيه من الانفاق
والموونه ولانه ابعد من ضجر النفس واقل لاذاه واقرب الى سلامته وتمام حجه
وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغي ان يفصل فيقال من سهل عليه المشي
فهو افضل فان كان يضعف ويودي به ذلك الى سو خلق وقصور عن عمل فالركوب
افضل كما ان الصوم افضل للمسافر وللمريض ما لم يفض الى ضعف وسو خلق وسيل بعض
العلما عن العمرة والمشي فيها افضل او يكري حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم
اشد عليه فالكري افضل من المشي وان كان المشي اشد عليه كالاغنيا فالمشي فيها افضل
فكانه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل ان يمشي ويصرف
ذلك الدرهم الى خير فهو اولى من صرفه الى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان
فاذا كان لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه
السادس ان لا يركب الا زاملة فاما المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف
على الزاملة ان لا يستمسك عليها بعذر وفيه معنيان احدهما التخفيف على البعير
فان المحمل يوذيه والثاني اجتناب زي المترفين والمتكبرين حج رسول الله صلى الله عليه وسلم

على راحلة

على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وطاف على
راحلته لينظر الناس الى هديه وشمايله وقال خذوا عني مناسككم وقيل ان هذه
المحامل احدثها الحجاج وكان العلما في وقته ينكرونها وروى سفين الثوري عن
ابيه انه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلاد
فرايت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رايت في جميعهم الا
محملين وكان ابن عمر اذا نظر الى ما احدث الحجاج من الزي والمحامل يقول الحاج
قليل والركب كثير ثم اذا نظر الى رجل مسكين رث الهيية تحته جوالق قال هذا من
الحاج السابع ان يكون رث الهيية اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا
مايل الى اسباب التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان المتكبرين والمترفهين ويخرج عن حزب
الضعفا والمساكين وخصوص الصالحين فقد امر عليه السلام بالشعث والاحتفا ونهى
عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد وفي الخبر انما الحاج الشعث
يقول الله عز وجل انظروا الى زوار بيتي قد جاوني شعثا غبرا من كل فج عميق
وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاوه بالحلق وقص
الاظفار وكتب عمر بن الخطاب الى امرا الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا اي البسوا
الخلقان واستعملوا الخشونة في الاشيا وقد قيل زين الحجيج اهل اليمن لانهم
على هيية التواضع والضعف وسيرة السلف وينبغي ان يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص
والشهرة كيف كان على العموم فقد روي انه عليه السلام كان في سفر فنزل اصحابه منزلا
فسرحت الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال ارى هذه الحمرة قد غلبت
عليكم قال فقمنا اليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل الثامن
ان يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها
يوذيها ويثقل عليها كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن
قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال عليه السلام لا تتخذوا ظهور
دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة

وفيه اثار عن السلف وكان بعض السلف يكترى بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجره
ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى الدابه فيكون في حسناته وتوضع في ميزانه
لا في ميزان المكاري فكل من اذى بهيمه وحملها ما لا تطيق طولب به يوم
القيامه قال ابو الدردا لبعير له عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك
فاني لم احملك فوق طاقتك وعلى الجمله لكل كبد حرى اجر فليراع حق الدابه
وحق المكاري جميعا وفي نزوله ترويح الدابه وسرور قلب المكاري قال رجل
لابن المبارك احمل هذا الكتاب معك قال حتى استامر الجمال فاني قد اكتريت فانظر كيف
تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه اذا فتح باب
القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا التاسع ان يتقرب باراقة دم وان لم
يكن واجبا عليه ويجتهد ان يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا
ولا يأكل ان كان واجبا قيل في تفسير قوله ذلك ومن يعظم شعائر الله اي تحسينه
وتسمينه وسوق الهدي من الميقات افضل ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك
المكاس في شرايه فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحيه
والرقبه فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله روى عن ابن عمر رضي الله عنهما
ان عمر اهدى بختيه وطلبت منه بثلثماية دينار فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك فقال بل اهدها وذلك لان القليل
الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلثماية دينار قيمة ثلثين بدنه وفيها تكثير اللحم
ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكيه النفس وتطهيرها عن صفه البخل
وتزيينها بجمال التعظيم لله فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
وذلك يحصل بمراعاه النفاسه في القيمه كثر العدد ام قل وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بر الحج فقال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبيه والثج هو نحر البدن وروت
عايشه رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ادمي يوم النحر
احب الى الله تعالى من اهراقه دم وانها لتاتي يوم القيامه بقرونها واظلافها

فان الدم

فان الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل ان يقع على الارض فطيبوا بها نفسا وفي
الخبر لكم بكل صوفه من جلدها حسنه وبكل قطره من دمها حسنه وانها لتوضع في
الميزان فابشروا العاشر ان يكون طيب النفس بما انفقه من نفقه
وهدي وبما اصابه من خسران ومصيبه في مال او بدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلايل
قبول حجه فان المصيبه في طريق الحج تعدل النفقه في سبيل الله الدرهم بسبعمايه
وهو بمثابه الشدايد في طريق الجهاد فله بكل اذى احتمله وخسران اصابه ثواب
فلا يضيع منه شي عند الله تعالى ويقال ان من علامه قبول الحج ايضا ترك ما
كان عليه من المعاصي وان يستبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس
اللهو والغفله مجالس الذكر واليقظه

الاعمال الباطنه ووجه الاخلاص
في النيه وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفه وكيفيه الافتكار فيها والتذكر
لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى اخره

اعلم ان اول الحج الفهم اعني فهم
موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم شرى ثوب الاحرام ثم شرى الزاد ثم
اكترا الراحله ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبيه
ثم دخول مكه ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكره
للمتذكر وعبره للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف واشاره للفطن فلنشر
الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها انكشف لكل حاج من اسرارها
ما يقتضيه صفا قلبه وطهاره باطنه وغزاره علمه اما الفهم اعلم انه لا وصول الى الله
تعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله
تعالى في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفه عن الخلق
وانحازوا الى قلل الجبال واثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله وطلبوا لله
تعالى اللذات الحاضره والزموا انفسهم المجاهدات الشاقه طمعا في الاخره واثنى الله
عليهم في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك
واقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعباده الله تعالى وفتروا عنه بعث

الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها
فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال عليه السلام أبدلنا بها الجهاد
والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين فقال هم الصائمون فأنعم الله تعالى
على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه ونصبه
مقصداً لعباده وجعل ما حواليه حرماً لبيته تفخيماً لأمره وجعل عرفات كالميدان على
فناء حرمه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك
يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثاً غبراً متواضعين
لرب البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه
عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأتم في
إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالاً لا تأنس بها النفوس ولا
تهتدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروة
على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فإن الزكاة
إرفاق ووجهه مفهوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو
الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود تواضع لله تعالى
بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله تعالى فأما ترددات السعي
ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفس فيها ولا أنس للطبع فيها ولا اهتداء
للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال
للأمر من حيث إنه واجب الاتباع فقط وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل
أنسه فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً ما فيكون ذلك الميل معيناً
للأمر وباعثاً معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال عليه السلام
في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً ولم يقل ذلك في صلاة وغيرها
وإذا اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف
هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد

وعلى مقتضى

وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية
النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق وإذا تفطنت
لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات
وهذا القدر كاف في تفهيم أصل الحج **وأما الشوق** فإنما ينبعث بعد الفهم
والتحقق أن البيت بيت الله وأنه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد إلى الله
تعالى وزائر له وأن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا تضيع زيارته فيرزق مقصود
الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله تعالى الكريم في دار القرار
من حيث إن العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله
ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وأنها إن أمدت في الدار الآخرة
بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار ولكنها بقصد البيت
والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق إلى لقاء الله يشوقه إلى أسباب
اللقاء لا محالة هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ما له إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف
إلى الله تعالى فبالحري أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة فضلاً عن الطلب لنيل
ما وعد عليه من الثواب الجزيل **وأما العزم** فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى
مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجهاً إلى زيارة بيت الله تعالى
وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير
أمره وأن من طلب عظيماً خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصاً لوجه الله تعالى بعيداً
عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وأن
أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم
وتصحيحه بإخلاصه وإخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة وليحذر أن يستبدل
الذي هو أدنى بالذي هو خير **وأما قطع العلائق** فمعناه رد المظالم والتوبة
الخالصة عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه
ينادي عليه ويقول إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا

ومستهين به ومهمل له ولا يستحي من أن يقدم عليه قدوم العبد العاصي فيرده ولا
يقبله فإن رغبت في قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب إليه أولاً من
جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجهاً إليه
بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك
من سفرك أولاً إلا النصب والشقاء وآخراً إلا الطرد والرد وليقطع العلائق
عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأهله
وأولاده فإن المسافر لعلى وجل إلا ما وقى الله وليتذكر عند قطع العلائق لسفر
الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فإن ذلك بين يديه على القرب وما يقدم من هذا
السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك
السفر عند الاستعداد لهذا السفر وأما الزاد فليطلبه من موضع حلال
وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير
ولا يفسد قبل وصول المقصود فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن
زاده التقوى وأن ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه ولا يبقى
معه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيراً
محتاجاً لا حيلة له فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد
الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير وأما الراحلة إذا أحضرها فليشكر
الله بقلبه على تسخير الله له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر
عنده المركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فإن أمر الحج من وجه
يوازي أمر السفر إلى الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زاداً
لذلك السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب
ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر أسباب السفر
مشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن وأما
شرى ثوبي الإحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه وأنه يرتدي ويتزر بثوبي الإحرام عند القرب

من بيت الله تعالى فربما لا يتم سفره إليه وأنه سيلقى الله تعالى ملفوفاً في ثياب
الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله تعالى إلا وهو مخالف لعادته في الزي والهيئة فلا
يلقى الله تعالى بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك
الثوب إذ ليس فيه مخيط كما في الكفن وأما الخروج من البلد فليعلم
عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجهاً إلى الله تعالى في سفر لا يضاهي أسفار
الدنيا فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد وأنه متوجه إلى
ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا
فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله تعالى الذي فخم أمره
وعظم شأنه ورفع قدره تسلياً بلقاء البيت عن لقاء رب البيت إلى أن يبلغوا منتهى مناهم
ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالاً بأعماله
في الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله تعالى ورجاء لتحقيقه وعده
لمن زار بيته وليرج أنه إن لم يصل وأدركته المنية في الطريق لقي الله وافداً
إليه إذ قال ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع
أجره على الله وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك
العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من
الأهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير
ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات ومن
انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف
في أعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر وأما الإحرام والتلبية بالميقات
فاعلم أن معناه إجابة نداء الله تعالى فارج أن تكون بين الرجاء والخوف متردداً وعن
حولك وقوتك متبرئاً وعلى فضل الله وكرمه متكلاً فإن وقت التلبية هو بداية الأمر
وهو محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين رضوان الله عليهما فلما أحرم واستوت به
راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له لم لا

تلبي فقال اخشى ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط من راحلته
فلم يزل ذلك يعتريه حتى قضى حجه وقال احمد بن ابي الحواري كنت مع ابي سليمان الداراني
حين اراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فاخذته الغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله
عز وجل اوحى الى موسى عليه السلم مر ظلمة بني اسرائيل ان يقلوا من ذكري فاني اذكر من
ذكرني منهم باللعنة ويحك يا احمد انه بلغني ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك
ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نامن ان يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند
رفع الاصوات بالتلبية في الميقات اجابته لندا الله تعالى اذ قال واذن في الناس
بالحج ياتوك رجالا ندا الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات
القيامة مجيبين لندا الله ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين
ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجا تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون
ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا واما دخول مكه فليتذكر عنده انه قد انتهى الى
حرم الله تعالى امنا وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله تعالى وليخش
ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن رجاوه في جميع
الاوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير
اللائذ غير مضيع واما وقوع البصر على البيت فينبغي ان يحضر عنده عظمة البيت
في القلب ويقدر كانه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وارج ان يرزقك الله النظر
الى وجهه الكريم كما رزقك النظر الى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه اياك هذه
الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين اليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة
الى جهة الجنة املين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى ماذون في الدخول ومصروف انقسام
الحاج الى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر امور الاخرة في شي مما تراه فان كل احوال
الحاج دليل على احوال الاخرة واما الطواف بالبيت فاعلم انه صلاه
فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجا والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة واعلم
انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن

ان المقصود

ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدي الذكر
الا منه ولا تختم الا به كما تبتدي الطواف بالبيت وتختم بالبيت واعلم ان الطواف الشريف
هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي
لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب
والملكوت لمن فتح له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السما
بازا الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر
الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا ان من تشبه
بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره
وتطوف به على ما راه بعض المكاشفين لبعض اوليا الله تعالى واما الاستلام
فاعتقد عنده انك مبايع لله تعالى على طاعته فصمم عزيمتك على الوفا ببيعتك فمن غدر
في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس انه عليه السلم قال الحجر الاسود يمين الله في
الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه واما التعلق باستار الكعبة
والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا لله وشوقا للبيت ولرب
البيت وتبركا بالمماسة ورجا التحصن عن النار في كل جزء لا في البيت ولتكن النية في
التعلق بالستر الالحاح في طلب المغفرة وسوال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من
اذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر له انه لا ملجا منه الا اليه ولا مفزع له
الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن في المستقبل واما
السعي بين الصفا والمروه في فنا البيت فانها تضاهي تردد العبد بفنا دار الملك جائيا وذاهبا
مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجا للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل
على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول او رد فلا يزال يتردد على
فنا الدار مرة بعد اخرى يرجو ان يرحم في الثانية ان لم يرحم في الاولى وليتذكر عند
تردده بين الصفا والمروه تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل
الصفا بكفة الحسنات والمروه بكفة السيات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان

والنقصان مترددا بين العذاب والغفران. واما الوقوف بعرفة فاذكر بما
ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق
ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة
واجتماع الامم مع الانبيا والائمة واقتفا كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم
وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك
الضراعة والابتهال الى الله تعالى فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاك
بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلائق
بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال
والاوتاد وطبقات من الصالحين وارباب القلوب اجتمعت هممهم وتجردت
للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت
نحو السما ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة ولا تظنن انه يخيب املهم
ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب ان يحضر عرفات
ظانا ان الله تعالى لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد
المجتمعين من اقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فليس في استدرار رحمة الله تعالى مثل اجتماع
الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد. واما رمي الجمار فاقصد به
الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ
العقل والنفس ثم اقصد به التشبه بابرهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه في ذلك الموضع
ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله ان يرميه بالحجارة طردا له
وقطعا لامله فان خطر لك ان الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه
واما انا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وانه الذي
القاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهي
اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فيه ترغم انف
الشيطان واعلم انك في الظاهر ترمي الحصا الى العقبة وتقصم به ظهره اذ لا

يحصل

يحصل ارغام انف الشيطان الا بامتثالك امر الله تعظيما له بمجرد الامر من غير حظ للعقل
فيه. واما ذبح الهدي فاعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال واكمل
الهدي وارج ان يعتق بكل جزء منه جزءا منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان
الهدي اكبر واجزاؤه اوفر كان فداؤك به من النار اعم. واما زيارة
المدينة فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر انها البلدة التي اختارها الله عز وجل
لنبيه عليه السلام وجعل اليها هجرته وانها داره التي شرع فيها فرائض ربه وسننه
وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه الله تعالى ثم جعل تربته فيها
وجعل فيها تربة وزيريه القائمين بالحق من بعده ثم مثل في نفسك مواقع اقدام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ما من موضع تطاه الا وهو موطئ قدمه العزيز فلا
تضع قدمك عليه الا على سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها
وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعة
ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحباط عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق
صوت النبي صلى الله عليه وسلم ثم تذكر ما من الله به على الذين ادركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته
واستماع كلامه واعظم تاسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة اصحابه ثم اذكر
انه قد فاتتك رؤيته في الدنيا وانك من رؤيته في الآخرة على خطر وانك ربما لا
تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك بسوء عملك كما قال عليه السلام يرفع
الي اقوام فيقولون يا محمد فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك
فاقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة واحدة من الدقائق
فلا تامن ان يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك ان لا
يحول الله بينك وبينه بعد ان رزقك الايمان واشخصك من وطنك لاجل زيارته
من غير تجارة ولا حظ في الدنيا بل لمحض حبك له وتشوقك الى ان تنظر الى اثاره
والى حائط قبره وان سمحت نفسك بالسفر لمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما
اجدرك ان ينظر الله اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر ان [illegible] الله

اذ لا سبيل في تلك العرصة وانها جمعت افضل خلق الله حيا وميتا فليعظم املك
في الله ان يرحمك بدخولك اياه وادخله خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان بان يستدعي
الخشوع من قلب كل مومن كما حكي عن ابي سليمن انه قال حج اويس القرني ودخل المدينه
فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما افاق
قال اخرجوني فليس يلذ لي بلد محمد صلى الله عليه وسلم مدفون فيه واما زياره
رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره
حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى
الحرمه في ان لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعيد ماثلا بين يديه فكذلك
فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم انه عالم
بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلواتك فمثل صورته الكريمه
في خيالك موضوعا في اللحد بازائك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي عنه
صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته
هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى
لقايه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم اذ فاته مشاهدة غرته الكريمه وقد قال
صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاوه في الصلاه
عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر النبي صلى الله عليه وسلم وتوهم
صعود الرسول صلى الله عليه وسلم المنبر ومثل في قلبك طلعته البهيه قايما على
المنبر وقد احدق به المهاجرون والانصار وهو يحثهم على طاعة الله تعالى
بخطبته وسل الله تعالى ان لا يفرق في القيامه بينك وبينه فهذه وظيفة القلب
في اعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف وانه
ليس يدري اقبل منه حجه واثبت في زمرة المحبوبين ام رد والحق بالله حجه والحق
بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه ومن اعماله فان صادف قلبه قد ازداد
تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى الانس بالله ووجد اعماله قد اتزنت بميزان

الشرع فليثق بالقبول فان الله عز وجل لا يتقبل الا ممن احبه ومن احبه تولاه واظهر
عليه اثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك عليه دل على
القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه من سفره العنا والتعب
نعوذ بالله منه والله اعلم بالصواب تم كتاب الحج بحمد الله ومنه

يتلوه كتاب تلاوة القران وهو
الكتاب الثامن من احيا علوم الدين
ان شا الله تعالى وهو الموفق

تم

كتاب آداب تلاوة القرآن

وهو الكتاب الثامن من كتب الاحيا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه
المرسل صلى الله عليه وسلم وكتابه المنزل الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
حتى اتسع على اهل الافكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار واتضح
به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال
والحرام وهو الضيا والنور وبه النجاه من الغرور وفيه شفا لما في الصدور من خالفه من
الجبابره قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره
المبين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير
والكبير ولا تنقضي عجايبه ولا تتناهى غرايبه لا يحيط بفوايده عند اهل الفهم
تحديد ولا يخلقه عند اهل التلاوه كثرة الترديد وهو الذي ارشد الاولين
والاخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا
قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فكل من امن به فقد وفق

ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز وقد قال تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف
تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بادابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من
الاعمال الباطنة والاداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده
في اربعة ابواب

الباب الاول في فضل القران واهله
الباب الثاني في اداب التلاوة في الظاهر
الباب الثالث في الاعمال الباطنة عند التلاوة
الباب الرابع في فهم القران وتفسيره بالراي

الباب الاول في فضل القران واهله وذم المقصرين في تلاوته فضيلة
القران قال عليه السلم من قرا القران ثم ظن ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد
استصغر ما عظمه الله وقال عليه السلم ما من شفيع اعظم منزلة عند الله يوم
القيامة من القران لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال عليه السلم لو كان القران في
اهاب ما مسته النار وقال عليه السلم افضل عبادة امتي قراءة القران وقال ايضا
ان الله تعالى قرا طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالفي عام فلما سمعت الملايكة قالوا طوبى
لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا
وقال خيركم من تعلم القران وعلمه وقال يقول الله عز وجل من شغله قراءة القران
عن دعايي ومسالتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال ثلثة يوم القيامة
على كثيب من مسك اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ الله بين
الناس رجل قرا القران ابتغاء وجه الله تعالى وام به قوما وهم به راضون وقال اهل
القران هم اهل الله وخاصته وقال ان القلوب تصدا كما يصدا الحديد قيل يا رسول الله
وما جلاؤها قال تلاوة القران وذكر الموت وقال عليه السلم لله اشد اذنا الى قارئ
القران من صاحب القينة الى قينته قال ابو امامة الباهلي
اقرءوا القران ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء



القران وقال ابن مسعود اذا اردتم العلم فانثروا القران فان فيه علم الاولين
والاخرين وقال ايضا اقرءوا القران فانكم توجرون عليه بكل حرف عشر حسنات اما
اني لا اقول الحرف الم ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال ايضا
لا يسال احدكم عن نفسه الا القران فان كان يحب القران ويعجبه فهو يحب الله
ورسوله وان كان يبغض القران فهو يبغض الله ورسوله وقال عمرو بن العاص القران
درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال ايضا من قرا القران فقد ادرجت النبوة
بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال ابو هريرة ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله
تعالى اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملايكة وخرجت منه الشياطين
وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله تعالى ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه
الملايكة وحضرته الشياطين وقال احمد بن حنبل رايت الله عز وجل في المنام
فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا احمد قلت يا رب
بفهم او بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع
الناس القران من الرحمن يوم القيامة فكانهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن
عياض ينبغي لحامل القران ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفا فمن دونهم
وينبغي ان تكون حوايج الخلق اليه وقال ايضا حامل القران حامل راية الاسلام
لا ينبغي ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من
يلغو تعظيما لحق القران وقال سفين الثوري اذا قرا الرجل القران
قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرا
مايه اية رفع الله له مثل عمل جميع الدنيا ويروى ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اقرا علي فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية
فقال له اعد فاعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله
لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله ما دون
القران من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرا خاتمة سورة الحشر

حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم
مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك
ما هنا أحد نستأنس به فمد يده إلى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال
علي رضي الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراءة
القرآن

في ذم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك رب تال
للقرآن والقرآن يلعنه وقال الحوسي هو العرائب في جوف القرآن الذين يعصون
الله منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله بعد القرآن وقال بعض العلماء إذا
قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد يقرأ قيل له ما لك ولكلامي وقال ابن
الرماح ندمت على استظهاري القرآن لأنه بلغني أن أصحاب القرآن يسألون عما يسأل
عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله
إذ الناس نائمون وبنهاره إذ الناس يفرطون وبحزنه إذ الناس يفرحون وببكائه
إذ الناس يضحكون وبصمته إذ الناس يخوضون وبخشوعه إذ الناس يختالون وينبغي
لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ولا ينبغي له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا
ولا صخابا ولا حديدا وقد قال صلى الله عليه وسلم أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها
وقال اقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فلست تقرؤه وقال بعض السلف إن
العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فيقال وكيف ذلك قال إذا أحل حلالها
وحرم حرامها صلت عليه الملائكة وإلا لعنته وقال بعض العلماء إن العبد
ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرأ ألا لعنة الله على الظالمين
وهو ظالم لنفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن إنكم
اتخذتم القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله وإن
من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال
ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا إن أحدكم ليقرأ القرآن
من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر

وحديث

وحديث جندب لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد
صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده
منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة
الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده ينثره نثر
الدقل وفي التوراة يا عبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق
تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرأه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك
منه شيء وهذا كتابي أنزلته إليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك
فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك
يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بكل
قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف وها أنا ذا
مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك

الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة

الأول في حال القارئ وهو أن يكون على الوضوء واقفا على هيئة الأدب والسكون
إما قائما وإما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة
التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي أستاذه وأفضل الأحوال أن يقرأه في الصلاة
قائما وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال وإن قرأ على غير وضوء
وكان مضطجعا في الفراش فله أيضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون
الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فأثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم
الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل
حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة
وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل
فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب قال أبو ذر الغفاري إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام
بالليل الثاني في مقدار القراءة وللقراء عادات مختلفة في الإكثار والاختصار

فمنهم من يختم في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلث ومنهم من
يختم في الشهر مرة وبعضهم مرتين والاولى ان يرجع في التقدير الى قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد قال من قرا القران في اقل من ثلث لم يفقهه وذلك لان الزيادة
عليه تمنع الترسل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلا يقرا القران
هذا ان هذا ما قرا القران ولا سكت وامر النبي عليه السلم عبد الله عمرو ان يختم
القران في سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القران في كل جمعة كعثمن
وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب ففي الختم اربع درجات الختم في يوم وليلة
وقد كرهه جماعة والختم في شهر كل يوم جزو من ثلثين وكان مبالغة في الاقتصار
كما ان الاول مبالغة في الاكثار وبينهما درجتان معتدلتان احديهما في الاسبوع
مرة والثانية في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث والاحب ان يختم ختمة بالليل وختمة
بالنهار ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر ويختم ختمة الليل ليلة
الجمعة في ركعتي المغرب او بعدها ليستقبل بختمته اول النهار واول الليل فان
الملائكة تصلي عليه ان ختمه ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي فيشمل بركتهما
جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة انه ان كان من العابدين السالكين طريق
العمل فلا ينبغي ان ينقص عن ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال
القلب وضروب الفكر او من المشتغلين بنشر العلم فلا باس ان يقتصر في الاسبوع على مرة
واحدة وان كان نافذ الفكر في معاني القران فقد يكتفي في الشهر بمرة لحاجته الى كثرة
الترديد والتامل الثالث وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة
فيقسم القران سبعة احزاب وقد حزب الصحابة القران احزابا فروي ان عثمن رضي الله عنه
كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد
بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلثاء بالعنكبوت
الى الصاد وليلة الاربعا بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه
سبعة احزابا لا على هذا الترتيب وقيل احزاب القران سبعة والحزب الاول ثلث سور والحزب

الثاني خمس

الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة
سورة والسادس ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من قاف فهكذا حزبه الصحابة
وكانوا يقرؤونه كذلك وفيه خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا قبل ان عملت الاخماس
والاعشار فما سوى هذا محدث الرابع في الكتابة يستحب تحسين كتابة المصحف
وتبيينه ولا باس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانها تزيين وتبيين وصد عن
اللحن والخطا لمن يقراه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران الاخماس والاعشار والاجزاء
وروي عن الشعبي وابرهيم كراهية النقط بالحمرة واخذ الاجرة على ذلك وكانوا
يقولون جردوا القران والظن بهولا انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من
ان يؤدي الى احداث زيادات وحسما للباب وشوقا الى حراسة القران عما يطرق اليه
تغيرا واذا لم يؤد الى محذور واستقر امر الامة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا باس
ولا يمنع منه كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل في اقامة الجماعات في التراويح
انها من محدثات عمر وانها بدعة حسنة انما المذموم ما يصادم السنة القديمة او يكاد
يفضي الى تغييرها وبعضهم كانوا يقولون اقرا في المصحف المنقوط ولا انقطه بنفسي
وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير كان القران مجردا في المصاحف فاول ما احدثوا فيه
النقط على الباء والتاء وقالوا لا باس به فانه نور له ثم احدثوا بعده نقطا كبارا عند
منتهى الاية فقالوا لا باس به يعرف به راس الاية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتيم والفواتح
قال ابو بكر الهذلي سالت الحسن عن تنقيط المصاحف فقال وما تنقيطها قلت يعربون
الكلمة بالعربية قال اما اعراب القران فلا باس به وقال خالد الحذا دخلت على ابن سيرين
فرايته يقرا في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذي احدث
ذلك واحضر القراء حتى عدوا كلمات القران وحروفه وسووا اجزاءه وقسموه
الى ثلثين جزوا والى اقسام اخر الخامس الترتيل هو المستحب في هيئة القران
لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت ام سلمة
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن عباس رضي الله عنهما

لان اقرا البقره وال عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرا القران كله هذرمه وقال ايضا لان اقرا اذا زلزلت والقارعه اتدبرهما احب الي من ان اقرا البقره وال عمران تهذيرا وسيل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاه وكان قيامهما واحدا الا ان احدهما قرا البقره فقط والاخر قرا القران كله فقال هما في الاجر سوا واعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فان العجمي الذي لا يفهم معنى القران يستحب له ايضا في القراءه الترتيل والتوده لان ذلك اقرب الى التوقير والاحترام واشد تاثيرا في القلب من الهذرمه والاستعجال السادس البكا مستحب مع القراءه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقروا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال عليه السلم ليس منا من لم يتغن بالقران وقال صالح المري قرات القران على النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراه فاين البكا وقال ابن عباس اذا قراتم سجده سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكا ان يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشا البكا قال عليه السلم ان القران نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن ان يتامل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتامل تقصيره في اوامره وزواجره فيحزن لا محاله ويبكي فان لم يحضره حزن وبكا كما يحضر ارباب القلوب الصافيه فليبك على فقد الحزن والبكا فان ذلك اعظم المصايب السابع ان يراعي حق الايات فاذا مر بايه سجود سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجده سجد اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهاره وفي القران اربع عشره سجده وفي الحج سجدتان وليس في ص سجده واقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر ويسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالايه التي قراها مثل ان يقرا قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك او على اوليايك واذا قرا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فيقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وكذلك في كل سجده ويشترط في هذه السجده شروط الصلاه من ستر العوره واستقبال القبله وطهاره الثوب والبدن من الحدث والخبث

ومن لم يكن

ومن لم يكن على الطهاره عند السماع اذا تطهر يسجد وقد قيل في كمالها انه يكبر رافعا يديه للتحريمه ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زايدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلاه وهو بعيد فانه ورد الامر في السجود فليتبع فيه الامر وجه الهوي اقرب للبدايه وما عدا ذلك ففيه بعد ثم الماموم ينبغي ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوه نفسه الثامن ان يقول في ابتدا قراته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرا قل اعوذ برب الناس وسوره الحمد وليقل عند فراغه من كل سوره صدق الله العلي وبلغ رسول الله اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم وفي اثنا القراه اذا مر بايه تسبيح سبح وكبر واذا مر بايه دعا واستغفار دعا واستغفر وان مر بمرجو سال وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا وقال حذيفه صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فابتدا بسوره البقره فكان لا يمر بايه عذاب الا استعاذ ولا بايه رحمه الا سال ولا بايه تنزيه الا سبح واذا فرغ قال ما كان يقوله عليه السلم عند ختم القران اللهم ارحمني بالقران واجعله لي نورا واماما وهدى ورحمه اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته انا الليل والنهار واجعله حجه لي يا رب العالمين التاسع في الجهر بالقراه ولا شك في انه لا بد ان يجهر به الى حد يسمع نفسه اذ القراه عباره عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت واقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه اخر ويدل على استحباب الاسرار ما روي انه عليه السلم قال فضل قراه السر على قراه العلانيه كفضل صدقه السر على صدقه العلانيه وفي لفظ اخر الجاهر بالقران كالجاهر بالصدقه والمسر بالقران كالمسر بالصدقه وفي الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانيه سبعين ضعفا وكذلك قوله خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراه بين المغرب والعشا

وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان
حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره بان يخفض من صوته فقال الغلام ان
المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال ايها المصلي ان كنت تريد الله
بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيا فسكت
عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة ويدل على استحباب
الجهر ما روي انه عليه السلم سمع جماعة من الصحابة يجهرون في صلاة الليل فصوب
ذلك وقد قال عليه السلم اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراته فان الملايكة
وعمار الدار يستمعون الى قراته ويصلون بصلاته ومر عليه السلم على ثلثة من اصحابه مختلفي
الحال فمر على ابي بكر وهو يخافت فساله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني
ومر على عمر وهو يجهر فساله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان
ومر على بلال وهو يقرا آيا من هذه السورة وآيا من هذه فساله عن ذلك فقال اخلط
الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن واصاب ووجه الجمع بين هذه الاحاديث ان
الاسرار ابعد من الريا والتصنع فهو افضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم
يخف فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فايدته ايضا تتعلق بغيره والخير
المتعدي افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القاري ويجمع همه الى الفكر فيه
ويصرف اليه سمعه ويطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة
ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نايم فيكون هو سبب احيايه ولانه
قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمهما حضره شي
من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة النيات
يزكو عمل الابرار ويتضاعف اجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه
عشرة اجور ولهذا نقول قراءة القران في المصحف افضل اذ يزيد في العمل النظر وتامل
المصحف عبادة وخرق عثمان مصحفين لكثرة قراته فيهما وكان كثير من الصحابة يقرون من المصحف
ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف العاشر تحسين القراة وترتيلها
بترديد الصوت

من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال عليه السلم زينوا القران باصواتكم
وقال عليه السلم ما اذن الله لشي اذنه لحسن الصوت بالقران وقال ليس منا من لم يتغن
بالقران فقيل اراد به الاستغنا وقيل اراد به الترنم وترديد الالحان به وهو
اقرب عند اهل اللغة وروي ان النبي عليه السلم كان ينتظر عايشة رضي الله عنها فابطات
عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه
فقام عليه السلم حتى استمع اليه طويلا ثم قال من اراد ان يقرا القران غضا كما انزل
فليقراه على قراءة ابن ام عبد وقال عليه السلم لابن مسعود اقرا فقال يا رسول الله اقرا
وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
عيناه تفيضان واستمع عليه السلم الى قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا مزمارا
من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك كنت
تسمع لحبرته لك تحبيرا وفي الخبر كان اصحاب النبي عليه السلم اذا اجتمعوا
امروا احدهم ان يقرا سورة من القران وقد كان عمر يقول لابي موسى ذكرنا ربنا
فيقرا عنده حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال يا امير المومنين الصلاة
الصلاة فيقول اولسنا في الصلاة اشارة الى قوله تعالى ولذكر الله اكبر وقال عليه السلم
من استمع الى اية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له
عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي سببا فيه كان شريكا في الاجر
الا ان يكون قصده الريا والتصنع والله اعلم بالصواب

الباب الثالث في الاعمال الباطنة في التلاوة وهي عشرة

فهم اصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم
التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التاثر ثم الترقي ثم التبري
الاول فهم عظم الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن
عرش جلاله الى درجة افهام الخلق فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه
الذي هو صفته قائم بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة

في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز عن الوصول الى فهم صفات الله تعالى الا
بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام
عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله تعالى
موسى عليه السلم لما اطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا
ولا يمكن تفهيم عظم الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين
عنه فقال ان كل حرف من كلام الله تعالى في اللوح اعظم من جبل قاف وان الملايكة
لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح
فيرفعه فيقله باذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله تعالى طوقه ذلك
واستعمله به ولقد تانق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع
علو درجته الى فهم الانسان مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك
انه دعى بعض الملوك الى شريعة الانبيا عليهم السلم فساله الملك عن امور فاجاب بما
لا يحتمله فهمه فقال الملك ارايت ما تاتي به الانبيا اذا ادعت انه ليس من كلام
الناس وانه كلام الله تعالى فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا راينا الناس لما
ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتاخيرها واقبالها
وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار عقولهم
من حسنه وترتيبه وبديع نظمه نزلوا الى درجة تمييز البهايم واوصلوا مقاصدهم
الى بواطن البهايم باصوات يضعونها لايقة بهم من النقر والصفير والاصوات القريبة
من اصواتهم لكي يطيقوا حملها فكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله بكنهه
وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت
النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوة
في تلك الصفات من ان شرف الكلام اي الاصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت
للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا وكما ان اجساد البشر تكرم وتعز
بمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام عالي المنزلة رفيع

الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل فهو القاضي العادل والشاهد
يامر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم
قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا
بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحيى به ابصارهم ويستدلون
على حوايجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغايب وجهه النافذ امره وكالشمس العزيزة
الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها
فهو مفتاح الخزاين النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت ودوا الاسقام
الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه
لا تليق بعلم المعاملة فينبغي ان يقتصر عليه الثاني التعظيم للمتكلم والقاري عند
البداية بتلاوة القران ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقراه ليس من
كلام البشر وان في تلاوة كلام الله غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا
المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا
اذا كان متطهرا عن كل رجس فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن
القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس مستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح
لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب
ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام
ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر
في صفاته وافعاله فاذا خطر بباله العرش والكرسي والسموات والارضون وما بينهما
من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق
لها واحد وان الكل في قبضة قدرته يترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته
ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذي يقول هولا في الجنة ولا ابالي
وهولا في النار ولا ابالي وهذه غاية العظمة والتعالي فالتفكر في امثال هذا
يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام الثالث حضور القلب وترك حديث النفس قيل

في التفسير بالجد خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد والاخذ بالجد ان يكون متجردا
له عند قراته منصرف الهم اليه عن غيره وقيل لبعضهم اذا قرات القران تحدث
نفسك بشي فقال او شي احب الي من القران احدث به نفسي وكان بعض السلف
اذا قرا سورة لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم
فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستانس ولا يغفل عنه ففي القران ما
يستانس به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو
متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان
في القران ميادين وبساتين وعرائس ودبابيج وخانات فالميمات ميادين القران
والراات بساتين القران والحاميات مقاصير والمسبحات عرائس القران والحاميات
ديابيج القران والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القاري
الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيج وتنزه
في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه
ولم يتفرق فكره الرابع التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر
في غير القران ولكنه يقتصر على سماع القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من
القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن
قال علي رضوان الله عليه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم
يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر
اية وقد اشتغل الامام باية اخرى كان كمن يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه
عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في اية قراها امامه
فهذا وسواس فقد روي عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلاة
فقيل في امر الدنيا فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل
قلبي بموقفي بين يدي ربي واني كيف انصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله
عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه

به عن الافضل

به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن قال ان هذا صارف عنه ثم اصطنع الله
تعالى ذلك عمدا وروي انه عليه السلام قرا بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين
مرة وانما ردده لتدبره في معانيه وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض
ما اشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول كل اية لا
افهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وحكي عن ابي سليمان الداراني انه
قال اني لاتلو الاية واقيم فيها اربع ليال او خمس ليال ولولا اني اقطع الفكر
فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر
يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة
وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات
تدبره وتفتيشه وكان هذا ايضا يقول اقمت نفسي مقام الاجرا فانا اعمل مياومة
ومشاهرة ومن الجمعة الى الجمعة مسانهة الخامس التفهم وهو ان
يستوضح في كل اية ما يليق بها اذ القران يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وذكر
افعاله وذكر احوال الانبيا وذكر احوال المكذبين لهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره
وذكر الجنة والنار اما صفات الله تعالى فكقوله ليس كمثله شي وهو السميع البصير
وكقوله الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتامل معاني هذه الاسماء
والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه
اشار علي رضي الله عنه بقوله ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا كتمه عن الناس الا ان يوتي
الله تعالى عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من
اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران واعظم علوم القران تحت اسماء الله تعالى
وصفاته اذ لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لايقة بافهامهم ولم يعثروا
على اغوارها واما الافعال فكذكره خلق السموات والارض وغيرهما فليفهم
التالي منها صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته
فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق راه في كل شي اذ كل شي

فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرف
ان كل شي ما خلا الله باطل وان كل شي هالك الا وجهه لا انه سيبطل في ثاني الحال بل هو
الان باطل ان اعتبر ذاته من حيث هو وهذا ابدا من مبادي علم المكاشفة وهذا ينبغي
اذا قرا التالي قوله تعالى افرايتم ما تحرثون افرايتم الما الذي تشربون افرايتم النار التي
تورون افرايتم ما تمنون ان لا يقصر نظره على الما والنار والحرث والمني بل
يتامل في المني وهي نطفة متشابهة الاجزا ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم
والعروق والعصب وكيفية تشكل اعضايها بالاشكال المختلفة من الراس والرجل واليد والكبد
والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها
ثم الى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة
كما قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيتامل هذه
العجايب ليرقى منها الى اعجب العجايب وهو الصفة التي صدرت منها هذه الاعاجيب
فلا يزال ينظر الى الصنعة حتى يرى الصانع واما احوال الانبيا فاذا سمع منها
انهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغنا لله تعالى عن الرسل
والمرسل اليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يوثر في ملكه واذا سمع نصرتهم في اخر الامر فليفهم
قدرة الله وارادته لنصرة الحق واما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم
فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار
في نفسه وانه ان غفل واسا الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية
وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وساير ما في القران فلا يمكن استقصا ما يفهم منها
لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب
مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جينا
بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شيت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة
الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه فاما الاستقصا
فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القران ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من يستمع

اليك حتى

اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا قال تعالى اوليك
الذين طبع الله على قلوبهم والطابع هي الموانع التي سنذكرها في الفهم وقيل لا
يكون المريد مريدا حتى يجد في القران كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني
بالمولى عن العبيد السادس التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا عن
فهم معاني القران لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجايب اسرار
القران قال عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى
الملكوت ومعاني القران من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور
البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى
تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقرا ليصرفهم
عن معاني كلام الله تعالى فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم انه لم يخرج من
مخرجه فهذا يكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني واعظم
ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون مقلدا
لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع
من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه
ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على
بعد وبدا له معنى من المعاني الذي يباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف
يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد ابايك فيرى ان ذلك غرور الشيطان فيتباعد منه
ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم العقايد التي
استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون
للمذاهب والقوها اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة
فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا مثل
من يعتقد من الاستوا على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس انه
المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك في نفسه ولا تجوز الى الكشف

العلم حجاب

ثان وثالث وللتواصل ولكن تسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضه تقليده بالباطل وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الكشف والفهم لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدا ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقايد ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى في الجمله بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمه القلب وصداه وهو كالخبث على المراه فيمنع جليه الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خف على القلب اثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه والقلب مثل المراه والشهوات مثل الصدا ومعاني القران مثل الصور التي تترايى في المراه والرياضه للقلب باماطه الشهوات مثل تصقيل الجلا للمراه ولذلك قال عليه السلم اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزع منها هيبه الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركه الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم القران وقد شرط الله تعالى الانابه في الفهم والتذكر فقال تعالى تبصره وذكرى لكل عبد منيب وقال تعالى وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذي اثر غرور الدنيا على نعيم الاخره فليس من ذوي الالباب فلذلك لا ينكشف له اسرار الكتاب رابعها ان يكون قد قرا تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القران الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وان ما وراء ذلك تفسير بالراي وان من فسر القران برايه فقد تبوا مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمه وسنبين معنى التفسير بالراي في الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه الا ان يوتي الله العبد فهما في القران وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه

السابع التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القران فان سمع امرا ونهيا قدر انه المنهي عنه والمامور به وان سمع وعدا او وعيدا فكمثل ذلك

وان سمع

وان سمع قصص الاولين والانبيا علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به وليا خذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصه في القران الا وسياقها لفايده في حق النبي صلى الله عليه وسلم وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فوادك فليقدر العبد ان الله يثبت فواده بما يقصه عليه من احوال الانبيا وصبرهم على الايذا وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى وكيف لا يقدر هذا والقران ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصه بل هو شفا وهدى ونور ورحمه للعالمين ولذلك امر الله تعالى الكافه بشكر نعمه الكتاب فقال واذكروا نعمه الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمه يعظكم به وقال لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقال وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وقال كذلك يضرب الله للناس امثالهم واتبعوا ما انزل اليكم من ربكم هذا بصاير للناس وهدى ورحمه لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظه للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الاحاد فهذا الواحد القاري مقصود له ولساير الناس فليقدر انه المقصود قال تعالى واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما كلمه الله تعالى واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسه القران عمله بل يقراه كما يقرا العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتامله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلما هذا القران رسايل اتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القران في قلوبكم يا اهل القران ان القران ربيع المومن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتاده لم يجالس احد هذا القران الا قام بزياده او نقصان قال تعالى هو شفا ورحمه للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا

الثامن التاثر وهو ان يتاثر قلبه باثار مختلفه بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجا وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشيه اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على ايات القران فلا يرى ذكر

المغفره والرحمه الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى واني لغفار ثم اتبعه ذلك باربع شرايط لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال ان رحمه الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القران من اوله الى اخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشيه والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القران يومن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاوه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيا ارق للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراه القران وتفهمه وتدبره فتاثر العبد بالتلاوه ان يصير بصفه الايه المتلوه فعند الوعيد وتقييد المغفره بالشروط يتضال من خيفته كانه يكاد يموت وعند ذكر صفات الله واسمايه يتطاطا خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله كذكرهم لله ولدا وصاحبه يغض صوته وينكسر في باطنه حيا من قبح مقالتهم وعند وصف الجنه ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرايصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرا علي قال افتتحت سوره النسا فلما بلغت فكيف اذا جينا من كل امه بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا رايت عينيه تذرفان بالدمع وقال لي حسبك الان وهذا لان مشاهده تلك الحاله استغرقت قلبه بالكليه ولقد كان في الخايفين من خر مغشيا عليه عند ايات الوعيد ومنهم من مات في سماع الايات فمثل هذه الاحوال يخرجه عن ان يكون حاكيا في كلامه فاذا قال اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فاذا لم يكن خايفا كان حاكيا واذا قال عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ولم يكن حاله التوكل والانابه كان حاكيا واذا قرا ولنصبرن على ما اذيتمونا فليكن حاله الصبر والعزيمه عليه حتى يجد حلاوه التلاوه فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات

كان حظه

كان حظه من التلاوه حركه اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى الا لعنه الله على الظالمين وفي قوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله وهم في غفله معرضون وفي قوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياه الدنيا وفي قوله ومن لم يتب فاوليك هم الظالمون الى غير ذلك من الايات وكان داخلا في قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني التلاوه المجرده وفي قوله وكاين من ايه في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لان القران هو المبين لتلك الايات في السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتاثر بها كان عنها معرضا ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق القران فاذا قرا القران ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي اذا قرا القران وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عماره مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسه كتابه فلعله لو ترك الدراسه عند المخالفه لكان ابعد عن الاستهزا واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لاهم بقراه القران فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبيس ما يشترون ولذلك قال عليه السلم اقروا القران ما ايتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرونه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وقال عليه السلم ان احسن الناس صوتا بالقران الذي اذا سمعته يقرا رايت انه يخشى الله تعالى وقال ايضا لا يسمع القران من احد اشهى منه ممن يخشى الله تعالى فالقران يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به والا فالموونه في تحريك اللسان بحروفه خفيفه ولذلك قال بعض القرا قرات القران على شيخ لي ثم رجعت لاقرا عليه ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراه علي عملا اذهب فاقرا على الله عز وجل فانظر ماذا يامرك وماذا ينهاك وهكذا كان شغل الصحابه في الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابه رضي الله عنهم لم يحفظ القران منهم الا سته اختلف

منهم في السن وكان اكبرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من
علمائهم ولما جاء واحد ليتعلم القران فانتهى الى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال عليه السلم انصرف الرجل
وهو فقيه فالعزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله تعالى بها على قلب عقيب فهم الاية
فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان
يكون هو المراد بقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم
القيامة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي
تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القران
حق تلاوته ان يشترك فيها اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل
وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتاثر بالانزجار والائتمار فاللسان
واعظ والعقل مترجم والقلب متعظ التاسع الترقي واعني به ان يترقى الى
ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراءة ثلثة ادناها ان يقدر العبد
كانه يقراه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا
التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كان ربه
يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحيا والتعظيم والاصغا
والفهم الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات ولا ينظر الى
نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور
الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة
المقربين وما قبله درجة اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين
وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق رضوان الله عليهما فقال والله لقد تجلى الله
لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى
خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الاية على قلبي
حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة

ولذة المناجاة

ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرا القران فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني
اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه كنت اتلوه
كاني اسمعه من جبريل عليه السلم يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا
الان اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة
لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القران وانما قالوا ذلك لانها بالطهارة تترقى الى
مشاهدة المتكلم ولذلك قال ثابت البناني كابدت القران عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة
وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله ولقوله
تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر فمن لم يره في كل شي فقد راى غيره وكلما التفت
العبد اليه غير الله تعالى تضمن التفاته شيا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شي
الا الله العاشر التبري واعني به ان يتبرا من حوله وقوته والالتفات الى نفسه
بعين الرضا والتزكية فاذا تلا ايات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك
بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق الى ان يلحقه الله بهم واذا تلا ايات المقت وذم
العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا ولذلك كان
عمر رضي الله عنه يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال
الكفر فتلا قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرات
القران بماذا تدعو فقال بماذا ادعو استغفر الله من تقصيري سبعين مرة فاذا راى نفسه
بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف
حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءه ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي
يفضيه الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان شاهدا نفسه بعين الرضا
صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله تعالى في
قراءته انكشف له الملكوت قال ابو سليمان الداراني وعد ابن ثوبان اخا له ان يفطر عنده
فابطا عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد فقال له وعدتني ان تفطر عندي
فاخلفت فقال لولا ميعادي لك ما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر

قبل ان اجيبك لاني لا امن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعا من الوتر دفعت لي روضة
خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفات
تكون بحسب احوال المكاشف فحيث يتلو ايات الرجا ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له
صورة الجنة ويشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى
يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله تعالى يشتمل على السهل اللطيف والشديد
العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف
والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف
الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ
يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلف اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام
جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

الباب الرابع في فهم القران وتفسيره بالراي من غير نقل

لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق في فهم القران واسراره وما ينكشف لارباب
القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال عليه السلم من فسر القران
برايه فليتبوا مقعده من النار وعن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل
التصوف من المنسوبين الى التصوف في تاويل كلمات القران على خلاف ما نقل عن ابن
عباس وساير المفسرين وذهبوا الى انه كفر فان صح ما قاله اهل التفسير فما معنى فهم
القران سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى قوله عليه السلم من فسر القران
برايه الخبر فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقران الا ما ترجمه ظاهر
التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكن مخطئ في رد الخلق
كافة الى درجته التي هي حده بل الاخبار والاثار تدل على ان في معاني القران
متسعا لارباب الفهم قال علي رضوان الله عليه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القران
فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال عليه السلم ان للقران ظهرا وبطنا
وحدا ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علما التفسير فما

الظهر

الظهر والبطن والحد والمطلع وقال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا
من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهره في غاية الاختصار وقال ابو الدردا لا
يفقه الرجل حتى يجعل للقران وجوها وقال بعض العلما لكل اية ستون الف فهم
وما بقي من فهمها اكثر وقال اخرون القران يحوي سبعة وسبعين الف علم ومايتي علم اذ كل
كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعا اذ لكل واحد ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن
معانيه والا فترجمته وتفسيره ظاهر لا يحتاج مثله الى تكرير وقول ابن مسعود من
اراد علم الاولين والاخرين فليثور القران وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر
وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله وصفاته وفي القران شرح ذاته وافعاله
وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القران اشارة الى مجامعها والمقامات في
التعمق في تفصيله راجع الى فهم القران ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل
على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القران رموز اليه
ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركه وكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك
قال عليه السلم اقرؤوا القران والتمسوا غرايبه وقال عليه السلم في حديث علي والذي بعثني
بالحق لتفترقن امتي عن اصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة
يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبا ما كان قبلكم
ونبا ما ياتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله تعالى ومن
ابتغى العلم في غيره اضله الله تعالى وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع
عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي
عجايبه ولا يخلقه كثرة الرد الحديث وفي حديث حذيفة رضي الله عنه لما اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل
بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه ثلثا فقال تعلم كتاب الله تعالى واعمل
بما فيه ففيه النجاة وقال علي رضي الله عنه من فهم القران فسر به جمل العلم اشار به الى ان القران

مشيرا الى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
يعني الفهم في القران وقال تعالى ففهمناها سليمن وكلا اتينا حكما وعلما سمي ما اتاهما علما وحكما وخص
ما انفرد سليمن عليه السلم بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم والعلم فهذه الامور تدل على
ان في فهم معاني القران مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس
منتهى الادراك فيه فاما قوله من فسر القران برايه ونهيه عنه وقول ابي بكر رضي الله عنه
اي ارض تقلني واي سما تظلني اذا قلت في القران برايي الى غير ذلك مما ورد في
الاخبار والاثار من النهي عن تفسير القران بالراي فلا يخلوا اما ان يكون المراد به
الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد به
امر اخر وباطل قطعا ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القران الا بما سمعه
لوجوه احدها انه يشترط ان يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا
اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القران فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما
وما يقوله غيرهما من انفسهم فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالراي لانهم لم يسمعوه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم والصحابه الثاني ان الصحابه والمفسرين اختلفوا
في بعض الايات فقالوا فيها اقاويل مختلفه لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا لترك الباقي فتبين على القطع ان كل مفسر قال
في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي في اوايل السور سبعة اقاويل
مختلفه في الر انه حروف من الرحمن وقيل ان الالف الله واللام لطيف والراء رحيم
وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا الثالث
انه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل
مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك الرابع انه قال
تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه ورا السماع
وجملة ما نقلناه من الاثار في فهم القران يناقض هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع في
التاويل وجاز لكل واحد ان يستنبط من القران بقدر فهمه وحد عقله واما

النهي فانه

النهي فانه ينزل على احد وجهين احدهما ان يكون له في الشي راي واليه ميل من طبعه
وهواه فيتاول القران على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن
له ذلك الراي والهوى لكان لا يلوح له من القران ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع
العلم كالذي يحتج ببعض ايات القران على تصحيح بدعته وهو يعلم انه ليس المراد بالاية
ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الاية محتملة
فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون
قد فسر برايه اي رايه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رايه لما كان يترجح عنده
ذلك الوجه وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القران ويستدل عليه
بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عليه السلم تسحروا
فان في السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل
وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى اذهب الى فرعون
انه طغى ويشير الى قلبه ويومي انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ
في المقاصد تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية في المقاصد
الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القران على وفق
رايهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا انه غير مراد به فهذه الفنون احد وجهي
المنع من التفسير بالراي ويكون المراد بالراي الراي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد
الصحيح والراي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الراي
الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القران بظاهر العربيه من غير استظهار
بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرايب القران وما فيها من الالفاظ المبهمه والمبدله
وما فيها من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير
وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربيه كثر غلطه ودخل في زمره من يفسر
القران بالراي والنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع
الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرايب التي لا تفهم الا بالسماع

كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ
التفسير الظاهر اولا ومن ادعى فهم اسرار القران ولم يحكم التفسير الظاهر فهو
كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم مقاصد الاتراك من
كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا
بد منها في الفهم وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار
كقوله تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه اية مبصرة فظلموا انفسهم
بقتلها فالناظر الى ظاهر العربيه يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن
عمياء ولا يدري انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله واشربوا في قلوبهم
العجل بكفرهم اي حب العجل وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي
ضعف عذاب الاحيا وضعف عذاب الاموات فحذف العذاب وابدل الاحيا والموتى
بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز في فصيح اللغة وقوله واسال القرية التي كنا فيها
والعير التي اقبلنا فيها والاهل محذوف مضمر وقوله ثقلت في السموات
والارض معناه خفيت على اهل السموات والارض فالشي اذا خفي ثقل فابدل اللفظ
واقيم في مقام على واضمر الاهل وحذف وقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
اي شكر رزقكم وقوله واتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنة رسلك فحذف
الالسنة وقوله انا انزلناه في ليلة القدر اراد القران وما سبق له ذكر وقال حتى
توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله والذين اتخذوا من دونه اوليا
ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم وقوله فما لهولا القوم لا يكادون يفقهون حديثا
ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون يقولون ما اصابك
فانه يوهم هذا ان يكون مناقضا لقوله قل كل من عند الله وسبق الى الفهم منه مذهب القدريه ومنها
المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين اي طور سينا وسلام على ال ياسين اي الياس
وادريس في حروف ابن مسعود ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله
تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا ان يتبعون الا الظن وقوله قال الملا
الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم معناه

الذين

الذين استكبروا للذين امنوا من الذين استضعفوا ومنها المقدم والموخر وهو مظنة الغلط
كقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه ولولا كلمة
واجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله يسالونك كانك حفي عنها
وقوله لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير
متصل وانما هو عايد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك
اي صارت الانفال الغنايم لك اذ انت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين
الكلام الامر بالتقوى وغيره وقوله حتى يومنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه
ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة او حرف اما
الكلمة فالشي والقرين والامه والروح ونظايرها قال تعالى ضرب الله مثلا عبدا
مملوكا لا يقدر على شي اراد به النفقة مما رزق وقوله وضرب الله مثلا رجلين
احدهما ابكم لا يقدر على شي اي الامر بالعدل والاستقامه وقوله فان اتبعتني فلا
تسالني عن شي اراد به من صفات الربوبيه وهي العلوم التي لا يحل السوال عنها
حتى يبدي العارف بها في اوان الاستحقاق وقوله ام خلقوا من غير شي اي من
غير خالق فربما يتوهم به انه يدل على انه لا يخلق شي الا من شي وقوله وقال
قرينه هذا ما لدي عتيد اراد به الملك الموكل به وقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته
اراد به الشيطان واما الامه فتطلق على ثمانية اوجه الامه الجماعه
كقوله وجد عليه امة من الناس يسقون واتباع الانبيا كقولك نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم
ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله ان ابرهيم كان امة والامه الدين كقوله تعالى
انا وجدنا اباءنا على امة والامه الحين والزمان كقوله الى امة معدودة وقوله
تعالى وادكر بعد امة والامه القامه يقال فلان حسن الامه اي القامه والامه
رجل منفرد بدين لا يشركه فيه احد قال النبي صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل
امة وحده والامه الام يقال هذه امة زيد اي ام زيد والروح ايضا ورد
في القران بمعان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل

قوله فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات قدحا اي
بالحوافر نقعا والثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا وسطن جمع المشركين
فاغاروا على جمعهم وقوله فانزلنا به الما يعني به السحاب فاخرجنا به من كل الثمرات
يعني بالما وامثال هذا في القران لا تنحصر ومنها التدريج في البيان كقوله شهر
رمضان الذي انزل فيه القران اذ لم يظهر به انه ليلا او نهارا وبان بقوله انا انزلناه
في ليلة مباركة ولم يظهر اي ليلة فظهر بقوله انا انزلناه في ليلة القدر وربما
يظهر في الظاهر اختلاف بين هذه الايات فهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل
والسماع والقران من اوله الى اخره غير خال من هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب
فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتاخير
ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير
القران ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القران برايه
مثل ان يفهم من الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورايه اليه فاذا سمع في موضع
اخر ما لديه الى ما سمعه من مشهور معناه فترك تتبع النقل في كثرة معانيه فهذا ما يكون
ان يكون منهيا دون التفهم لاسرار المعاني كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه
الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفي ذلك في فهم حقايق
المعاني ويدرك الفرق بين حقايق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو ان الله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات
للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه
فمن الوجه الذي لم يرم رماه الله وكذلك قال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
فاذا كانوا هم القاتلين كيف يكون الله هو المعذب وان كان الله هو المعذب فما
معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني
عنها ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه
ارتباط القدرة الحادثة بقدرة الله تعالى حتى ينكشف بعد ايضاح امور كثيرة غامضة

صدق في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار
هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل استيفا جميع لواحقه
وما من كلمة من القران الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين في
العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفا قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر
وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى درجة منه فاما الاستيفا
فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار اقلاما فاسرار كلمات الله تعالى
لا نهاية لها فينفد البحر قبل ان تنفد كلمات الله فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق بعد
الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثاله فهم بعض
ارباب القلوب من قوله عليه السلم في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك
من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له
واسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من
بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فترقى
الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به عن الاستعاذة على بساط
القرب فالتجا الى الثنا واثنى بقوله لا احصي ثنا عليك ثم علم ان ذلك قصور
فقال انت كما اثنيت على نفسك فهذه خواطر تفتح لارباب القلوب ثم لها اغوار وراء
هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به
واسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير
بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعاني الباطنة لا ما
يناقض الظاهر والله اعلم بالصواب تم كتاب [illegible] بحمد الله وحسن عونه

يتلوه كتاب الاذكار والدعوات
وهو الكتاب التاسع من كتاب احيا علوم الدين
[illegible]

4

كتاب الاذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الشاملة رافته العامة
رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال فاذكروني اذكركم
ورغبهم في السوال والدعا بامره فقال ادعوني استجب لكم واطمع المطيع
والعاصي والداني والقاصي في الانبساط الى حضرة جلاله برفع الحاجات والاماني
بقوله فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان والصلاة على محمد سيد
انبيايه وعلى اله واصحابه خيرة اصفيايه وسلامه عليهم كثيرا اما بعد فليس بعد
تلاوة كتاب الله تعالى عبادة تودى باللسان افضل من ذكر الله ورفع الحاجات
بالادعية الخالصة اليه فلابد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في
اعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعا وشروطه وادابه ونقل الماثور من الدعوات
الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسوال المغفرة او الاستعاذة او
غيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر خمسة ابواب

الباب الاول في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الايات والاخبار والاثار
ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الايات قوله تعالى فاذكروني اذكركم قال ثابت البناني
اني اعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم فقال اذا ذكرته ذكرني وقال
تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله
عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال تعالى فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله
كذكركم اباكم او اشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى

جنوبهم وقال فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس اي
بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم
المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر
من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله اكبر قال ابن عباس له وجهان
احدهما ان ذكر الله لكم اكبر من ذكركم اياه والاخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة سواه الى
غير ذلك من الايات واما الاخبار فقد قال عليه السلم ذاكر الله في الغافلين
كالشجرة الخضرا في وسط الهشيم وقال ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين
وقال عليه السلم يقول الله تعالى انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقال ايضا
ما عمل ابن ادم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى قالوا ولا الجهاد
في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به
حتى ينقطع وقال عليه السلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى وسيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى
وقال عليه السلم اصبح وامس ولسانك رطب من ذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة
وقال عليه السلم لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطا
المال سحا وقال عليه السلم قال الله تعالى اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي
واذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير من ملايه واذا تقرب مني شبرا تقربت منه
ذراعا واذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الي هرولت اليه يعني بالهرولة
سرعة الاجابة وقال عليه السلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله ومن جملتهم
رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال ابو الدردا قال
عليه السلم الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير
من اعطا الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربون اعناقهم ويضربون
اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وقال عليه السلم قال الله تعالى من شغله
ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين واما الاثار فقد قال

الفضيل بلغنا ان الله عز وجل قال يا ابن ادم اذكرني بعد الصبح ساعة اكفك ما بينهما
وقال بعض العلما ان الله عز وجل قال ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك
بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال الحسن الذكر ذكران
ذكر الله بين نفسك وبين الله ما احسنه واعظم اجره وافضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم
الله ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل وقال
معاذ بن جبل ليس يتحسر اهل الجنة على شي الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها

فضيلة مجالس الذكر قال عليه السلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز
وجل الا حفتهم الملايكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وقال ما
من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم
مناد من السما قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيياتكم حسنات وقال ايضا ما
قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة
يوم القيامه وقال داود عليه السلم اذا رايتني اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس
الغافلين فاكسر رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها علي وقال صلى الله عليه وسلم المجلس
الصالح يكفر من ذنوب الفي الف مجلس من مجالس السو وقال ابو هريره ان اهل
السما ليراون بيوت اهل الارض التي يذكر فيها اسم الله كما ترا اهل الارض النجوم
وقال سعيد عنه اذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل اعتزل الشيطان
والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا
تفرقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابي هريره انه دخل السوق فقال اراكم
ها هنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد
وتركوا السوق فلم يروا شيا فقالوا يا ابا هريره ما راينا ميراثا يقسم قال فما ذا رايتم
قالوا رايناقوما يذكرون الله عز وجل ويقرون القران قال فذلك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم
وروى الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريره وابي سعيد الخدري عنه عليه السلم انه قال
ان لله عز وجل ملايكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون

الله نادوا هلموا الى بغيتكم فيجيون فيحفون بهم الى سما الدنيا فيقول الله تعالى على
اي شي تركتم عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول
وهل راوني فيقولون لا فيقول كيف لو راوني فيقولون لو راوك لكانوا اشد تسبيحا وتمجيدا
وتحميدا فيقول لهم من اي شي يتعوذون فيقولون من النار فيقول وهل راوها
فيقولون لا فيقول كيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد هربا منها واشد
تعوذا فيقول واي شي يطلبون فيقولون الجنه فيقول وهل راوها فيقولون لا
فيقول كيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد عليها حرصا فيقول اشهدكم
اني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جا لحاجه فيقول الله
تعالى هم القوم لا يشقى بهم جليس

فضيلة التهليل قال عليه السلم افضل ما
قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال عليه السلم من قال لا
اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير في كل يوم ماية
مره كانت له عدل عشر رقاب وكتب له ماية حسنه ومحيت عنه ماية سيية وكانت له
حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جا به الا احد عمل ذلك
وقال عليه السلم ما من عبد توضا فاحسن الوضو ثم رفع طرفه الى السما فقال اشهد ان
لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنه يدخل من
ايها شا وقال ايضا ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور
كاني انظر اليهم عند الصيحه ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن وان كل حسنة يعملها توزن يوم القيامه الا شهادة ان لا اله الا
الله فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت
السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال لو جا
قايل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له وقال يا ابا هريره
لقن الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى
فكيف للاحيا فقال هي اهدم واهدم ومن قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنه

وقال يدخل الجنه كلكم الا من ابى وشرد على الله شرود البعير على اهله فقيل يا رسول
الله من الذي يابى فقال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من قول لا اله الا الله قبل
ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى
وهي الكلمة الطيبه وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنه
وقال الله عز وجل هل جزا الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا
قول لا اله الا الله وفي الاخره الجنه وكذا قوله للذين احسنوا الحسنى وزياده
وروى البرا بن عازب انه عليه السلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير عشر مرات كان له عدل رقبة او نسمه
وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه عليه السلم قال من قال في يوم مايتي مره لا
اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير لم يسبقه
احد كان قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله وقال ايضا
من قال في سوق من الاسواق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
يحيي ويميت وهو على كل شي قدير كتب له الف الف حسنه ومحي عنه الف الف
سييه وبني له بيت في الجنه ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت على
صحيفته فلا تمر على خطيه الا محتها حتى تجد حسنه فتجلس الى جنبها وفي الصحيح
عن ابي ايوب عن النبي عليه السلم انه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شي قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعه
انفس من ولد اسمعيل وفي الصحيح ايضا عن عباده بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شي قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي او دعا استجيب له فان توضا قبلت صلاته

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار قال من سبح دبر كل صلاة ثلثا
وثلثين وكبر ثلثا وثلثين وحمد ثلثا وثلثين وختم الماية بلا اله الا الله وحده لا شريك له

له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر
وروي ان رجلا جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين انت من صلاة الملايكة وتسبيح الخلايق وبها يرزقون
قال وما ذا يا رسول الله قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله ماية
مره ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح تاتيك الدنيا راغمة صاغره ويخلق الله
من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيامه لك ثوابه وقال عليه السلم اذا قال العبد
الحمد لله ملات ما بين السما والارض واذا قال الحمد لله الثانيه ملات ما بين السما
السابعه الى الارض واذا قال الثالثه قال الله تعالى سل تعطه وقال رفاعه
الزرقي كنا يوما نصلي ورا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع راسه من الركوع
وقال سمع الله لمن حمده قال رجل ورآه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه
فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه عن صلاته قال لقد رايت بضعا وثلثين ملكا يبتدرونها
ايهم يكتبها اولا وقال عليه السلم الباقيات الصالحات هي لا اله الا الله وسبحان
الله والله اكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال عليه السلم ما على الارض
رجل يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا قوة الا بالله
الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه عليه السلم
انه قال الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له
دوي كدوي النحل يذكر لصاحبه اولا يحب احدكم ان لا يزال عند الله يذكر به
وروى ابو هريره انه صلى الله عليه وسلم قال لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وفي روايه انه زاد لا حول ولا قوة الا بالله وقال
خير من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله عز وجل اربع سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدات رواه سمرة بن جندب
وروى ابو مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الطهور شطر
الايمان والحمد لله تملا الميزان وسبحان الله والله اكبر يملان ما بين السما والارض

والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقران حجة لك او عليك وقال ابو هريرة
قال صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي
الكلام احب الى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتب له عشرون
حسنة وحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله اكبر فمثل ذلك وذكر الى اخر
الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست
له نخلة في الجنة وعن ابي ذر انه قال الفقرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل
الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم
فقال اوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة
صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع
احدكم اللقمة في في اهله صدقة قالوا يا رسول الله ياتي احدنا شهوته ويكون له
فيها اجر قال ارايتم لو وضعتموها في حرام اكان عليكم فيها وزر كذلك
ان وضعتموها في الحلال كان لكم فيها اجر وقال ابو ذر قلت يا رسول الله سبق
اهل الاموال بالاجور يقولون ما نقول وينفقون ولا ننفق فقال صلى الله عليه وسلم اولا
ادلك على عمل اذا انت عملته ادركت من قبلك وفت من بعدك الا من قال مثل
قولك تسبح بعد كل صلاة ثلاثا وثلثين وتحمد ثلاثا وثلثين وتكبر اربعا وثلثين وروت بسرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن
واعقدن بالانامل فانها مسئولات يوم القيامة يعني بالشهادة وقال ابن عمر رايته
صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد
الخدري انه عليه السلام قال اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله صدق
عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال

في فم

الله صدق

الله صدق عبدي لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله لا حول ولا
قوة الا بالله يقول الله صدق عبدي لا حول ولا قوة الا بي فمن قالهن عند الموت
لم تمسه النار وروى مصعب بن سعيد عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايعجز
احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة فقيل كيف ذلك فقال يسبح الله مائة تسبيحة
فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة وقال صلى الله عليه وسلم يا عبد الله بن قيس
او يا ابا موسى الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا
بالله يقول الله عز وجل اسلم عبدي واستسلم وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح
رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله ان
يرضيه يوم القيامة وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه وقال مجاهد اذا
خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال توكلت على الله
قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق
عنه الشياطين فيقولون ما سبيلكم على من هدي وكفي ووقي فان قلت
فما بال ذكر الله مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار انفع وافضل من
جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق
الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة ان المؤثر النافع هو
الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر والقلب لاه فهو قليل الجدوى
وفي الاخبار ما يدل عليه ايضا وحضور القلب في لحظة الذكر والذهول عن
الله مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله على الدوام
او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهي
غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول واخر فاوله يوجب الانس واخره يوجب
الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس والحب فان المريد في بداية الامر
قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله فان وفق للمداومة
انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان يتعجب من هذا فان المشاهد

في العادات ان يذكر غائب غير مشاهد بين يدي شخص ويكرر خصاله عنده فيحبه وقد
يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا
الى كثرة الذكر اخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر من ذكره ومن اكثر
ذكر شيء وان كان تكلفا احبه فكذلك اول الذكر متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور
والحب له ثم يمتنع الصبر اخرا فيصير الموجب موجبا والثمرة مثمرا وهذا معنى
قول بعضهم كابدت القران عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم
الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا في المداومة على المكابدة والتكلف
مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول
طعام يستبشعه اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا
يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف هي النفس ما عودتها تتعود
اي ما كلفتها اولا يصير طبعا اخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله انقطع عن غير
الله وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال
ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع
العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحياة تصد عن ذكر الله ولا
يبقى بعد الموت عائق فكانه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن
الذي كان ممنوعا به عما به انسه ولذلك قال عليه السلام ان روح القدس نفث في
روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى
في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما
تفنى الدنيا في حقه الى ان تفنى نفسه عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ
به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك
بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله معه
بعد الموت فيقول انه اعدم فكيف يبقى معه ذكر الله فانه لم يعدم عدما يمنع
الذكر بل عدما في الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه

الاشارة

الاشارة بقوله عليه السلام القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنان وقال
ارواح الشهداء في حواصل طير خضر وبقوله لقتلى بدر من المشركين يا فلان ويا فلان وقد
سماهم اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
فسمع عمر قوله فقال يا رسول الله كيف يسمعون واني يجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي
بيده ما انتم باسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا وهذا الحديث في الصحيحين
هذا قوله في المشركين واما المؤمنون والشهداء فقد قال ارواحهم في حواصل
طير خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما اشير اليه بهذه الالفاظ لا تنافي
ذكر الله وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الاية
ولاجل شرف ذكر الله عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع
الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله منقطع العلائق عن غيره وان قدر عبد على ان
يحصل همه مستغرقا بالله فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف القتال فانه
قطع الطمع عن مهجته واهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته
وقد هون على قلبه حياته في حب الله وطلب مرضاته فلا تجرد لله اعظم من ذلك ثم
القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة عادت شهوات
الدنيا وغلبت واستولت على قلبه من ذكر الله ولهذا عظم خوف اهل المعرفة من الخاتمة
فان القلب وان الزم ذكر الله فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا
ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في اخر الحال في قلبه امر من الدنيا واستولى عليه
فارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان يبقى استيلاؤه عليه بعد الموت فيتمنى
الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الاخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه
ويحشر على ما مات عليه واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن
قصد الشهيد نيل مال او ان يقال شجاع او غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب
الله واعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى من المؤمنين انفسهم

ذكر الخاتمة

وامواله بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البايع للدنيا بالاخره وحاله الشهيد
توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصد له سوى الله وكل مقصود معبود وكل
معبود اله فهذا الشهيد قايل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصد له سواه
ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فامره في مشية الله ولا يومن في حقه الخطر
ولذلك فضل قول لا اله الا الله على ساير الاذكار وذكره ذلك مطلقا في الترغيب
ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص ليعبر به عن الحال الممثال فنسال الله تعالى ان يجعلنا
في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير
ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاه ومن كره
لقاء الله كره الله لقاه فهذه مرامز الى معاني الذكر لا يحتمل الزيادة عليها في علم المعاملة

الباب الثالث في اداب الدعاء وفضله وفضل بعض الادعية الماثوره

فضيلة الدعاء قال الله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة
الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون وقال تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفيه انه لا يحب المعتدين وقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى وقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الدعا هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم الايه وقال الدعا مخ العبادة وروى ابو هريره انه عليه السلم قال ليس شي
اكرم على الله من الدعا وقال عليه السلم ان العبد لا يخطيه من الدعا احدى ثلثه
اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له وقال ابو ذر يكفي من الدعا
مع البر ما يكفي الطعام من الملح وقال عليه السلم سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسال وافضل العباده
انتظار الفرج اداب الدعا وهي عشره الاول ان يترصد لدعايه
الاوقات الشريفه كيوم عرفه من السنة ورمضان من الاشهر ويوم الجمعه من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل
قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل
الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب عليه السلم انما قال

سوف

مقبل الله تمام وقت السحر صح

سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر او لا دم يومنون خلفه فاوحى الله اليه اني قد غفرت
لهم وجعلتهم انبيا الثاني ان يغتنم الاحوال الشريفه قال ابو هريره ان ابواب السما تفتح
عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلاة المكتوبه
فاغتنموا الدعا فيها وقال مجاهد ان الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعا
خلف الصلوات وقال عليه السلم الدعا بين الاذان والاقامه لا يرد وقال الصايم
لا ترد دعوته وبالحقيقه يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفا القلب
واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفه ويوم الجمعه وقت اجتماع الهمم وتعاون
القلوب على استدرار رحمة الله تعالى فهذا احد اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها
من اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود ايضا جدير بالاجابه وقال ابو هريره قال النبي صلى الله عليه وسلم
اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعا وروى ابن عباس عن النبي عليه السلم انه قال اني نهيت
ان اقرا القران راكعا او ساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فيه من
الدعا فانه قمن ان يستجاب لكم الثالث ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى
بياض ابطيه روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى الموقف بعرفه واستقبل
القبله ولم يزل يدعوا حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم حيي
كريم يستحي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وروى انس عليه السلم كان
يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعا ولا يشير باصبعيه روى ابو هريره رضي الله عنه انه
عليه السلم مر على انسان يدعوا باصبعيه السبابتين فقال عليه السلم احد احد اي اقتصر على
الواحد وقال ابو الدردا ارفعوا هذه الايدي قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان
يمسح بهما وجهه في اخر الدعا قال عمر رضي الله عنه كان النبي عليه السلم اذا مد يديه في الدعا
لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان عليه السلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما
مما يلي وجهه فهذه هيات اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال عليه السلم لينتهين اقوام عن
رفع ابصارهم الى السما او لتخطفن ابصارهم الرابع خفض الصوت بين المخافته والجهر
لما روي ان ابا موسى الاشعري قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينه

كبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا
غايب ان الذي تدعون بين اعناق ركابكم وقالت عايشه رضي الله عنها في قوله تعالى
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بدعايك وقد اثنى الله على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال اذ
نادى ربه ندا خفيا وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفيه الخامس ان لا
يتكلف السجع في الدعا فان حال الداعي ينبغي ان يكون حال متضرع والتكلف لا
يناسبه قال عليه السلم سيكون قوم يعتدون في الدعا وقد قال تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفيه انه لا يحب المعتدين فقيل معناه التكلف للاسجاع والاولى ان
لا يجاوز الدعوات الماثوره فانه قد يعتدي في دعايه فيسال ما لا تقتضيه مصلحته فما
كل احد يحسن الدعا ولذلك روي عن معاذ ان العلما يحتاج اليهم في الجنه اذ يقال
لاهل الجنه تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلما وقد قال عليه السلم اياكم
والسجع في الدعا بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسالك الجنه وما قرب اليها من
قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفي الخبر سياتي
قوم يعتدون في الدعا والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له ا على
الله تبالغ اشهد لقد رايت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا
جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامه اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحيه
وراه وكان يعرف بركة دعايه وقال بعضهم ادع بلسان الذله والافتقار لا
بلسان الفصاحه والانطلاق ويقال ان العلما والابدال لا يزيدون احدهم في الدعا
على سبع كلمات فما دونها ويشهد له اخر سورة البقره فان الله تعالى لم يخبر في موضع
من ادعية عباده اكثر من ذلك واعلم ان المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك
لا يلايم الضراعه والذله والا ففي الادعيه الماثوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلمات متوازنه لكنها غير متكلفه كقوله اسالك الامن يوم الوعيد والجنه يوم الخلود
مع المقربين الشهود الركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت
تفعل ما تريد وامثال ذلك فليقتصر على الماثور من الدعوات او ليلتمس بلسان التضرع

من غير سجع

دعا حبيب عجمي

من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله تعالى السادس التضرع والخشوع
والرهبه قال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تضرعا
وخفيه وقال عليه السلم اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه السابع
ان يجزم الدعا ويوقن بالاجابه ويصدق رجاه فيه قال عليه السلم لا يقل احدكم اذا
دعا اللهم اغفر لي ان شيت اللهم ارحمني ان شيت ليعزم المسلة فانه لا مكره له
وقال اذا دعا احدكم فليعظم الرغبه فان الله لا يتعاظمه شي وقال عليه السلم ادعوا
الله وانتم موقنون بالاجابه واعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعا من قلب غافل
وقال سفين بن عيينه لا يمنعن احدكم من الدعا ما يعلمه من نفسه فان الله تعالى اجاب
شر الخلق ابليس اذ قال رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
الثامن ان يلح في الدعا ويكرره ثلثا قال ابن مسعود كان اذا دعا دعا ثلثا واذا سال سال ثلثا
وينبغي ان لا يستبطي الاجابه لقوله عليه السلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت
فلم يستجب لي فاذا دعوت فسل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم اني اسال الله
تعالى منذ عشرين سنه حاجه وما اجابني واني لارجو الاجابه سالت الله ان
يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال عليه السلم اذا سال احدكم ربه مسلة فتعرف الاجابه
فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطا عنه من ذلك شي فليقل الحمد لله
على كل حال التاسع ان يفتتح الدعا بذكر الله ولا يبدا بالسوال قال سلمة بن
الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعا الا استفتحه وهو يقول سبحان
ربي العلي الاعلى الوهاب وقال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسال الله حاجه فليبدا
بالصلاة على النبي عليه السلم ثم يسال حاجته ثم يختم بالصلاة عليه فان الله يقبل الصلاتين
وهو اكرم من ان يدع ما بينهما وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سالتم
حاجه فابدوا بالصلاة علي فان الله تعالى اكرم من ان يسال حاجتين فيقضي احديهما
ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكي العاشر وهو الادب الباطن وهو
الاصل في الاجابه التوبه ورد المظالم والاقبال على الله تعالى بكنه الهمه فذلك هو

قال ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم

السبب القريب للاجابة فيروى عن كعب الاحبار انه قال اصاب الناس قحط شديد على عهد
موسى عليه السلام فخرج موسى ببني اسرائيل يستسقي لهم فلم يسقوا ثم خرج ثلاث مرات
ولم يسقوا فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام
فقال موسى يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله تعالى اليه يا موسى انهاكم عن
النميمة واكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل توبوا باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل
الله عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمان ملك من ملوك بني اسرائيل
فاستسقوا فقال الملك ليرسلن الله علينا السماء او لنؤذينه قيل له وكيف تقدر ان تؤذيه
وهو في السماء فقال اقتل اولياءه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له فارسل الله
السماء وقال سفيان الثوري بلغني ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة
من المزابل واكلوا الاطفال فكانوا كذلك يخرجون الى الجبال ويبكون ويتضرعون فاوحى الله تعالى الى
انبيائهم لو مشيتم الي باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن
الدعاء فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها
ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار اصاب الناس قحط فخرجوا
مرارا فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة وترفعون
الي اكفا قد سفكتم بها الدماء وملاتم بطونكم من الحرام الان قد اشتد غضبي عليكم
ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال ابو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقي
فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك
ولا غنى لنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة
غيركم وقال الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه
ثم قال يا معشر من حضر الستم مقرين بالاساءة قالوا اللهم نعم فقال اللهم انا سمعناك تقول ما
على المحسنين من سبيل وقد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا
وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك
فقال انكم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجارة وروي ان عيسى عليه السلام خرج يستسقي

فلما اصحروا

فلما اصحروا قال لهم عيسى عليه السلام من اصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه في
المفازة الا رجل واحد فقال له عيسى اما لك من ذنب فقال والله لا اعلم من شيء
غير اني كنت ذات يوم اصلي فمرت بي امراة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزتني ادخلت
اصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المراة بها فقال له عيسى فادع فدعا فتجللت السماء
سحابا ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغساني اصاب الناس قحط على عهد النبي داود عليه السلام
فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال احدهم اللهم انك انزلت
في توراتك ان نعفو عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال الثاني
اللهم انك انزلت في توراتك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا ابوابنا اللهم انا مساكينك
وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا انا
قلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطاء بقلوب ارضية او بقلوب سماوية
فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد
بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهي وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن
بالمكنون من اسمائك وما وارت الحجب من الائك الا ما سقيتنا ماء غدقا فراتا تحيي به
العباد وتروي به البلاد يا من هو على كل شيء قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى ارعدت السماء
وابرقت وجاءت بمطر كافواه القرب فولى وهو يقول

نعم الزاهدون والعابدونا اذ لمولاهم اجاعوا البطونا
اسهروا الاعين العليلة فيه فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى قيل في الناس ان فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم
اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحداهما والقى الاخرى على عاتقه
فجلس الى جنبي فسمعته يقول الهي اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي
الاعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسالك يا حليما ذا اناة
من لا يعرف عباده منه الا الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة

الساعة حتى اكتست السماء بالغمام واقبل المطر من كل مكان قال ابن المبارك فجئت
الى الفضيل فقال لي اراك كئيبا فقلت سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت
عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه وروي ان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس
رضي الله عنهما فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا
بذنب ولن يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم
وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وانت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع
الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم
السر واخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارخت السماء مثل الحبال فضيلة
الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروي انه عليه السلام جاء ذات يوم والبشرى
ترى في وجهه فقال انه جاءني جبريل عليه السلام فقال اما ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك احد
من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وقال عليه السلام
من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك او ليكثر وقال عليه السلام
ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلاة وقال عليه السلام بحسب المؤمن من البخل ان اذكر
عنده فلا يصلي علي وقال عليه السلام اكثروا علي الصلاة يوم الجمعة وقال من صلى علي من
امتي كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات وقال من قال حين يسمع الاذان
والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك
واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي
في ذلك الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم ان في الارض ملائكة سياحين يبلغوني عن امتي
السلام وقال صلى الله عليه وسلم ليس احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام
وقيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته

كما باركت

كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد
موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي ويقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان جذع
تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى
جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت اولى بالحنين عليك لما فارقتهم بابي انت وامي
يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب
فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان
بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان
يكونوا قد اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله حجرا تتفجر منه
الانهار فماذا باعجب من اصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بابي انت وامي
يا رسول الله لئن كان سليمان اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا
باعجب من البراق حين سريت عليها الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح
صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم اعطاه الله احياء الموتى
فماذا باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لا تاكلني فاني مسمومة
بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح عليه السلام على قومه فقال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا ولقد وطئ ظهرك وادمي
وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
فبابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة
سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بابي انت وامي يا
رسول الله لو لم تجالس الا كفوا لك ما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا لك ما نكحت الينا
ولو لم تؤاكل الا كفوا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست
الصوف وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت طعامك على الارض ولعقت اصابعك

تواضعًا منك صلى الله عليك. فضيلة الاستغفار قال الله تعالى والذين اذا
فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم قال علقمة والاسود
قال عبد الله بن مسعود في كتاب الله آيتان ما اذنب عبد ذنبا فقرأهما فاستغفر الله الا غفر
الله له والذين اذا فعلوا فاحشة الآية ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما وقال الله تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال تعالى فسبح بحمد
ربك واستغفره انه كان توابا وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك
اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وقال صلى الله عليه وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله
له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم
اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة هذا مع انه قد غفر له ما تقدم من
ذنبه وما تأخر وقال عليه السلام انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في كل يوم
مائة مرة وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يأوي الى فراشه استغفر الله الذي لا
اله الا هو الحي القيوم ثلث مرات غفر له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر او عدد
رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر
من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف وقال حذيفة كنت ذرب
اللسان على اهلي فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلني لساني النار فقال النبي صلى الله
عليه وسلم فاين انت من الاستغفار في اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضي الله عنها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت بذنب فاستغفري الله فان التوبة من الذنوب
الندم والاستغفار وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي
في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطأي وعمدي وكل ذلك
عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به
مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وقال علي رضي الله عنه كنت رجلا
اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله به ما شاء ان ينفعني واذا
حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته قال وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر

رضي الله

رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن
الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم تلا قوله تعالى والذين
اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الآية وروى ابو هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المؤمن اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه
فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد زادت حتى يغلف قلبه فذلك
الرين الذي ذكره الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى ابو هريرة
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب انى لي
هذه فيقول باستغفار ولدك لك وروت عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم
قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساءوا استغفروا وقال
صلى الله عليه وسلم اذا اذنب العبد ذنبا فيقول اللهم اغفر لي يقول الله عز وجل اذنب
عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت
لك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة
وقال صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر
وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني
اغفر لكم ومن علم اني ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالي وقال صلى الله عليه وسلم
من قال سبحانك اللهم وبحمدك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت كمدب النمل وروي ان افضل الاستغفار اللهم انت
ربي وانا عبدك على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء اليك
بنعمتك علي وابوء على نفسي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما
قدمت منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت [illegible]
قال خالد بن معدان قال الله عز وجل ان احب عبادي الي المتحابون بحبي والمعلقة
قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة
ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال قتادة القرآن يدل على دائكم ودوائكم اما

داؤكم فالذنوب واما دواؤكم فالاستغفار وقال علي رضي الله عنه العجب ممن يهلك
ومعه النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وكان يقول ما الهم الله عبدا الاستغفار
وهو يريد ان يعذبه وقال الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيره اقلني وقال بعض
العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم
لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب
علي وقال الفضيل الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا
يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا
على الله وهو لا يعلم وسمع اعرابي وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ان
استغفاري مع اصراري للوم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم
تتحبب الي بالنعم مع غناك عني واتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا
وعد وفى واذا توعد عفا ادخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين
وقال ابو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوب لمحيت
عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله تعالى اللهم اني استغفرك
من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي
فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب
اتيته في ضياء النهار وسواد الليل وخلاء وملاء وسر وعلانية يا حليم ويقال انه استغفار
آدم عليه السلام

الباب الثالث في ادعية مأثورة ومعزية الى اسبابها واربابها

مما يستحب ان يدعو المريد بها صباحا ومساء وبعقب كل صلاة

فمنها دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس رضي الله عنهما
بعثني العباس رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة
فقام يصلي من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم اني اسألك رحمة
من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وترد بها الفتن عني وتصلح بها ديني وتحفظ
بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي

وتعصمني

وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة
انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني اسألك الفوز عند القضاء ومنازل
الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم اني انزل بك
حاجتي وان ضعف رأيي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك فاسألك يا قاضي الامور
ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور
ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته
احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسألكه
يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك
سلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم
هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسألك
الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين
بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الله الذي تعطف بالعز وقال
به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان
ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه
اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في
لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن
يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني
نورا واجعل لي نورا

دعاء عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لها عليك بالجوامع الكوامل اللهم اني اسألك الخير كله عاجله وآجله ما علمت
منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واسألك
الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول
وعمل واسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك

مما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واسألك ما قضيت لي من امر ان
تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين **دعاء** فاطمة رضي الله عنها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا
حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله
دعاء الصديق رضي الله عنه علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضي الله عنه
ان يقول اللهم اني اسالك بمحمد نبيك وابرهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك
وروحك وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وقران محمد صلوات الله عليهم
اجمعين وكل وحي اوحيته او قضاء قضيته او سايل اعطيته او غني افقرته
او فقير اغنيته او ضال هديته واسالك باسمك الذي انزلته على موسى صلى الله عليه وسلم
واسالك باسمك الذي بثثت به ارزاق العباد واسالك باسمك الذي وضعته على الارض
فاستقرت واسالك باسمك الذي وضعته على السموات فاستقلت واسالك باسمك
الذي وضعته على الجبال فرست واسالك باسمك الذي به استقل عرشك واسالك
باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين
واسالك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك
وكبريايك وبنور وجهك ان ترزقني القران والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي
وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم
الراحمين **دعاء** بريدة الاسلمي روي انه قال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا بريدة الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسهن ابدا
قلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني ضعيف فقو في رضاك ضعفي وخذ الى الخير
بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل
فاعزني واني فقير فاغنني **دعاء** قبيصة بن المخارق انه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بهما فقد كبرت سني وعجزت عن اشيا
كنت اعملها فقال عليه السلم اما للدنياك فاذا صليت الغداة فقل سبحان الله وبحمده

سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت
من غم وجذام وبرص وفالج واما للاخرتك فقل اللهم اهدني من عندك وافض
علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال عليه السلم اما انه
اذا وافى بهن يوم القيامة ولم يدعهن فتح له اربعة ابواب من الجنة يدخل من ايها
شا **دعاء** ابي الدردا قيل لابي الدردا قد احترقت دارك وكانت
النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه ات فقال يا ابا الدردا
ان النار حين دنت من دارك طفيت قال قد علمت ذلك فسيل له ما ندري اي
قوليك اعجب قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هولاء الكلمات
من ليل او نهار لم يضره شي وقد قلتهن وهي اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك
توكلت وانت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شا
الله كان وما لم يشا لم يكن اعلم ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط
بكل شي علما اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت اخذ
بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم **دعاء** الخليل عليه السلم كان
يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك
ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه
من سيئة فاغفرها لي انك انت غفور رحيم ودود قال ومن دعا بهذا الدعاء
اذا اصبح فقد ادى شكر يومه **دعاء** عيسى عليه السلم كان يقول اذا اصبح
اللهم اني اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجوا واصبح الامر
بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا
تسو بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط
علي من لا يرحمني **دعاء** الخضر عليه السلم يقال ان الخضر والياس عليهما السلم
اذا التقيا في موسم لم يفترقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ما شا الله لا قوة
الا بالله ما شا الله كل نعمة من الله ما شا الله الخير كله بيد الله ما شا الله لا

الحمد لله ثمن قالها ثلثا اذا اصبح امن من الحرق والغرق **دعاء** معروف الكرخي
قال محمد حسان قال لي معروف الكرخي الا اعلمك كلمات عشرا خمسا للدنيا وخمسا
للاخرة من دعا الله بهن وجد الله عنده من قلت اكتبها قال لا ولكن اردد هكذا عليك كما
رددها علي بكر حبيش حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي
حسبي الله الكريم لما اهمني حسبي الله الحليم لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء
حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرءوف عند المسالة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب
حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه
توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روي عن ابي الدردا انه قال من قال كل يوم سبع
مرات فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
كفاه الله ما اهمه من امر اخرته صادقا كان بها ام كاذبا **دعاء** عتبة الغلام
وقد رأى في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين
وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين
كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحيا المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهدا والصالحين امين رب العلمين **دعاء** ادم عليه السلم قالت عايشة رضي الله عنها
لما اراد الله ان يتوب على ادم طاف سبعا بالبيت وهو يوميذ ليس بمبني ربوة حمرا
ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم
حاجتي فاعطني سولي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا
يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت علي فارضني بما
قسمته لي فاوحى الله تعالى اليه ان قد غفرت لك ولن ياتيني احد من ذريتك يدعوني
بمثل الذي دعوتني الا غفرت له وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من عينيه واتجرت له
من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها **دعاء** علي عليه السلم
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يمجد نفسه في كل يوم ويقول
اني انا الله رب العلمين اني انا الله لا اله الا هو الحي القيوم اني انا الله لا اله الا

انا العلي العظيم اني انا الله لا اله الا انا لم الد ولم اولد اني انا الله لا اله الا
انا العفو الرحيم مبدي كل شي والي يعود العزيز الحليم الرحمن الرحيم مالك
يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الاحد الفرد الصمد
الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك
القدوس السلم المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق
البارئ الاحد المصور الكبير المتعال المقتدر القهار الحليم
الكريم اهل الثنا والمجد اعلم السر واخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخليقة وذكر ما
اني انا الله لا اله الا انا كما اوردناه في الاول فمن دعا بهذه الاسما فليقل
انت الله لا اله الا انت كذا وكذا فمن دعا بها كتب من الساجدين المخبتين الذين
يجاورون محمدا وابرهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم والنبيين في دار الجلال
وله ثواب العابدين في السموات والارض **دعاء** ابي المعتمر وهو سليمن
التيمي رحمه الله روي ان يونس بن عبيد راى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم
فقال ما افضل ما رايت من الاعمال قال رايت تسبيحات ابي المعتمر من الله بمكان
وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا
قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق
وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء ارضه ومثل ذلك
واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته
ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره خلقه في جميع ما مضى
وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي من كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من
الساعات ونسم ونفس من ابد الى الابد ابد الدنيا وابد الاخرة واكثر من ذلك
لا ينقطع اوله ولا ينفد اخره **دعاء** ابرهيم ابن ادهم رحمه الله عليه
روي ابن بشار حكى انه كان يقول هذا الدعا في يوم الجمعة اذا اصبح واذا
امسى مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب الشهيد يومنا هذا يوم عيد

بلغ النسخة بالكرما في ...

اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد
اصبحت بالله مومنا وبلقايه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا
ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الالهية جاحدا والى الله فقيرا وعلى
الله متوكلا والى الله منيبا اشهد الله واشهد ملائكته وانبياءه ورسله وحملة
عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق وان النار حق والحوض حق والشفاعة
حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها
وان الله يبعث من في القبور على ذلك احيا وعليه اموت وعليه ابعث ان شاء الله
اللهم انت ربي لا رب لي الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما
استطعت اعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي
ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي
لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك
وسعديك والخير كله بيديك وانا لك واليك استغفرك واتوب اليك امنت اللهم
بما ارسلت من رسول وامنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي
وعلى آله وسلم كثيرا خاتم كل امر ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين آمين
رب العلمين اللهم اوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا سايغا هنيا لا
نظما بعده ابدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا مرتابين ولا مفتونين
ولا مغضوبا علينا ولا ضالين اللهم اعصمنا من فتن الدنيا ووفقنا لما تحب
وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة ولا تضلني
وان كنت ظالما سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا بار يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان
من سبحت له السموات باكنافها والارضون وسبحان من سبحت له الجبال باصواتها
وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من
سبحت له النجوم في السما بابراجها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون

السبع

السبع ومن فيهن وعليهن سبحانك سبحانك يا حي يا حليم سبحانك لا اله الا انت وحدك
لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا تموت بيدك الخير وانت على كل شيء قدير

الباب الرابع ~~في ادعية ماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه~~

منتخبة

محذوفة الاسانيد من جملة ما جمعه ابو طالب المكي وابن
خزيمة وابن السني رضي الله عنهم اجمعين

يستحب للمريد اذا اصبح ان يدعو احد اوراده الدعا كما سياتي في كتاب الاوراد
فان كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به
فقل في مفتتح دعواتك العقاب صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلث مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي
وشر الشيطان وشركه وقل اللهم اني اسالك العفو والعافية في ديني ودنياي
واهلي ومالي استر عوراتي وامن روعاتي واقل عثراتي واحفظني من بين يدي
ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم
لا تومني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من
الغافلين وقل اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك
ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه
لا يغفر الذنوب الا انت وقل اللهم عافني في بدني اللهم عافني في سمعي وعافني في
بصري لا اله الا انت ثلث مرات وقل اللهم اني اسالك الرضا بالقضا وبرد العيش
بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك من غير ضرا مضرة ولا فتنة مضلة
واعوذ بك من ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكتسب خطيئة او ذنبا
لا تغفره اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسالك شكر
نعمتك وحسن عبادتك واسالك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا
متقبلا واسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم ولا اعلم

وانت علام الغيوب اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت فانك انت
المقدم وانت الموخر وانت على كل شيء شهيد اللهم اني اسالك ايمانا لا يبيد ونعيما لا
ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك في اعلى جنة الخلد اللهم اني اسالك الطيبات
وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسالك حبك وحب من احبك وحب
كل عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني فاذا اردت ان تفتن قوما فتنة
فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق احيني ما كانت
الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اسالك خشيتك في الغيب والشهادة
وكلمة العدل في الرضا والسخط والقصد في الغنا والفقر ولذة النظر الى وجهك
والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضرا مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة
الايمان واجعلنا هداة مهديين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين
معاصيك ومن طاعتك ما تدخلنا به الى جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب
الدنيا اللهم املا وجوهنا منك حيا وقلوبنا بك فرحا واسكن نفوسنا من
عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل
اول يومنا هذا صلاحا واوسطه فلاحا واخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة
واوسطه نعمة واخره تكرمة الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل
شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل
شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى
آله وازواجه وذريته وبارك على محمد وعلى آله وازواجه وذريته كما باركت على
ابرهيم في العلمين انك حميد مجيد اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي
الامي رسول الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليايك المتقين
وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين استعملنا لمرضاتك ووفقنا لمحابك منا واصرفنا
بحسن اختيارك لنا نسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ من جوامع الشر
وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي انك انت التواب الرحيم وبحلمك

عني اعف

عني اعف عني انك انت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك انت الرحمن وبملكك لي ملكني
نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا
وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك انت ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم ارزقني
حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني اسالك العفو
والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه
المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني
مسلما والحقني بالصالحين انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب
لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك
المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم
ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة ربنا اننا
سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا
سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة
انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر
لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما
كما ربياني صغيرا واغفر للمومنين والمومنات والمسلمين والمسلمات الاحيا منهم
والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم وانت خير
الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل

انواع الاستعاذة

الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من عذاب
عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع وطمع في غير مطمع
اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعا لا يسمع ونفس لا تشبع

ومن الجوع فانه بيس الضجيع ومن الخيانه فانها بيست البطانه ومن الكسل والبخل
والجبن والهرم ومن ان اُردّ الى ارذل العمر ومن فتنه الدجال وعذاب القبر
ومن فتنه المحيا والممات اللهم انا نسلك قلوبا اوّاهه مخبته منيبه في سبيلك
اللهم انا نسلك عزايم مغفرتك ومنجيات امرك والسلامه من كل اثم والغنيمه
من كل برّ والفوز بالجنّه والنجاه من النار اللهم اني اعوذ بك من الردى واعوذ
بك من الغم والغرق والهم واعوذ بك ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت
لطلب دنيا اللهم اني اعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني
منكرات الاخلاق والاعمال والادوا والاهوا اللهم اني اعوذ بك من جهد
البلا ودرك الشقا وسو القضا وشماته الاعدا اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين
والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنه الدجال اللهم اني اعوذ بك
من شر سمعي وبصري وشر لساني وقلبي اللهم اني اعوذ بك من جار السو في دار المقامه
فان جار البادي يتحول اللهم اني اعوذ بك من القسوه والغفله والعيله والذله
والمسكنه واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعه والريا
واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيي الاسقام اللهم اني اعوذ بك
من عذاب القبر وفتنه القبر وعذاب النار وفتنه النار وشر فتنه القبر وشر فتنه
المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والماثم اللهم اني اعوذ بك من نفس لا تشبع
وقلب لا يخشع وصلاه لا تنفع ودعوه لا تستجاب واعوذ بك من شر الغم وفتنه
الصدر اللهم اني اعوذ بك من غلبه الدين وغلبه العدو وشماته الاعدا

الباب الخامس ~~في الادعيه الماثوره عند كل حادث من الحوادث~~

اذا اصبحت وسمعت الاذان يستحب لك جواب الموذن ذكرناه وذكرنا ادعيه دخول الخلا
والخروج منه وادعيه الوضو في كتاب الطهاره فاذا خرجت الى المسجد فقل
اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا
واجعل من خلفي نورا ومن امامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل اللهم

اللهم

اللهم اني اسالك بحق السايلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا
ولا ريا ولا سمعه خرجت اتقا سخطك وابتغا مرضاتك واسلك ان تنقذني من النار
وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت وان خرجت من المنزل لحاجه
فقل بسم الله رب اعوذ بك ان اظلم او اُظلم او اجهل او يُجهل عليّ بسم الله
الرحمن الرحيم لا قوه الا بالله التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد
دخوله فقل اللهم صلّ على محمد وسلم اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
وقدم رجلك اليمنى في الدخول فاذا رايت في المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا
اربح الله تجارتك واذا رايت من ينشد ضاله فقل لا ردّ الله عليك امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم به فاذا صليت ركعتي الصبح فقل اللهم اني اسالك رحمه من عندك
تهدي بها قلبي الدعا الى اخره كما اوردناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ركعت
فقل اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك امنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت
ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين
وان احببت فقل سبحان ربي العظيم ثلث مرات او سبوح قدوس رب الملايكه
والروح فاذا رفعت راسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد مل
السما والارض وملء ما شيت من شي بعد اهل الثنا والمجد كلنا لك عبد لا مانع
لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد واذا سجدت
فقل اللهم لك سجدت وبك امنت ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وشق
سمعه وبصره فتبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وبك
امن فوادي ابو بنعمتك علي وابو بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي انه
لا يغفر الذنوب الا انت او تقول سبحان ربي الاعلى ثلث مرات فاذا فرغت
من الصلاه فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام
وتدعو بساير الادعيه التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس واردت دعا
يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك

واتوب اليك عملت سوا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا
دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير بسم الله اللهم اني اسالك
خير هذا السوق وخير ما فيه اللهم اني اعوذ بك من شره وشر ما فيه اللهم
اني اعوذ بك ان اصيب فيه يمينا فاجره او صفقه خاسره فان كان عليك دين فقل
اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا
فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسالك من خيره وخير ما صنع له واعوذ
بك من شره وشر ما صنع له واذا رايت شيا من الطيره تكرهه فقل اللهم لا ياتي
بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيات الا انت لا حول ولا قوه الا بالله واذا رايت
الهلال فقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامه والاسلام ربي وربك
الله وتقول هلال رشد وخير امنت بخالقك اللهم اني اسالك خير هذا الشهر
وخير هذا القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر واذا هبت الريح فقل
اللهم اني اسالك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من
شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به فاذا بلغك وفاه احد فقل انا لله
وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه في عليين
واخلف على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده وتقول
عند التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وتقول عند الخسران عسى ربنا ان
يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون وتقول عند ابتدا الامور ربنا اتنا من لدنك
رحمه وهيي لنا من امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وتقول
عند النظر الى السما ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار واذا سمعت
صوت الرعد والصواعق فقل اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا
قبل ذلك سبحان من يسبح الرعد بحمده والملايكه من خيفته قال كعب اذا امطرت
السما فقل اللهم سيبا هنيا وصيبا نافعا اللهم اجعله سبب رحمه ولا تجعله سبب عذاب

واذا غضبت

واذا غضبت فقل اللهم اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم
فاذا خفت قوما فقل اللهم اجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واذا
غزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل واذا طننت اذنك فصل على
محمد وعلى ال محمد وقل ذكر الله من ذكرني واذا رايت استجابه دعايك فقل الحمد
لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات وان ابطات فقل الحمد لله على كل حال
واذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم عند استقبال ليلك واستدبار نهارك واصوات
دعاتك وحضور صلواتك اسلك ان تغفر لي فاذا اصابك هم فقل اللهم اني
عبدك وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاوك اسالك
بكل اسم سميت به نفسك او انزلته في كتابك او اعطيته احدا من خلقك او استاثرت به
في علم الغيب عندك ان تجعل القران ربيع قلبي ونور بصري وجلا غمي وذهاب
حزني وهمي قال صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب
الله همه وابدل مكانه فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها
ان يتعلمها واذا اخذت وجعا في جسدك او جسد غيرك فارقه برقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا اشتكى قرحه او جراحه وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال
بسم الله تربه ارضنا بريقه بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا وان وجدت وجعا
في جسدك فضع يدك على الذي يالم من جسدك وقل بسم الله ثلثا وقل سبع مرات
اعوذ بعزه الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر واذا اصابه كرب فليقل
لا اله الا الله العلي الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب
السموات والارض ورب العرش الكريم واذا اردت النوم فتوضا اولا ثم توسد
على يمينك مستقبل القبله ثم كبر الله اربعا وثلثين وسبحه ثلثا وثلثين واحمده ثلثا وثلثين
ثم قل اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك
منك اللهم لا استطيع ان ابلغ ثنا عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على
نفسك اللهم باسمك احيا واموت اللهم رب السموات والارض ورب كل شي فالق الحب

والنوى ومنزل التوراة والانجيل والقرآن اعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر
كل دابة انت آخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك
شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عني
الدين واغنني من الفقر اللهم انك خلقت نفسي وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها
اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم اني اسألك العافية باسمك
ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم
اسلمت نفسي اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رهبة منك
ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك
الذي ارسلت وليكن هذا آخر دعائك فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
وليقل قبل ذلك اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب
الاعمال لديك يقربني اليك زلفى ويبعدني من سخطك بعدا اسألك فتعطيني
واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي فاذا استيقظت من نومك
عند الصباح فقل الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا
واصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا
على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا
ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك
نحيا وبك نموت واليك المصير اللهم انا نسألك ان تبعثنا في هذا اليوم الى
كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت وهو
الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى
اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسألك
خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء
الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء
الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا

ربنا عليك

ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا امسى قال ذلك الا انه يقول
امسينا ويقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه كلها من شر ما
ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي
على صراط مستقيم واذا نظرت في المرآة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله
وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين واذا اشتريت خادما او
غلاما فخذ بناصيته وقل اللهم اني اسألك خيره وخير ما جبل عليه واعوذ بك
من شره وشر ما جبل عليه واذا هنأت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك
وجمع بينكما في خير واذا قضيت الدين فقل بارك الله لك في اهلك ومالك
اذ قال عليه السلام انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه الادعية لا يستغني المريد عن
حفظها وما سوى ذلك من ادعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب
الحج والصلاة والطهارة فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له
فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة
كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس
يدفع السهم فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء
الله ان لا يحمل السلاح وقد قال تعالى خذوا حذركم وان لا يسقى الارض بعد
بث البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت بل ربط الاسباب بالمسببات هو
هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل
الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي
قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته
ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه فانه يستدعي حضور القلب مع الله تعالى
وهو منتهى العبادات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والغالب
على الخلق انه لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله الا عند الماء حاجة والانسان
اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب

الى الله تعالى بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو اشرف العبادات
ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل لانه يرد القلب
بالافتقار والتضرع الى الله تعالى ويمنع من نسيانه واما الغنى فسبب للبطر في
غالب الامر فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فهذا ما اردنا ان نورده من جملة
الاذكار والدعوات والله الموفق للخير واما بقية الدعوات في السفر والصلاة
وعيادة المرضى وغيرها فستأتي في مواضعها ان شاء الله تعالى وبه التوفيق
تم كتاب الاذكار بعون الله وحسن توفيقه

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل وهو الكتاب العاشر

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا
نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله واصحابه الطاهرين الذين اجتهدوا
في عبادة الله غدوا وعشيا وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد في الدين نجما هاديا
وسراجا منيرا اما بعد فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده
لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودون منها محترزين من
مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها
فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو
الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه
امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤوس امواله وشهواته
واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله في دار السلام مع الملك الكبير

والنعيم

والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب
الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة
تقربه الى الله تعالى زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى
ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا
بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظائف
الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي
الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية
قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين

الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار

الباب الثاني في كيفية احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به

الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها فضيلة الاوراد
وبيان ان المواظبة عليها هو الطريق الى الله تعالى اعلم ان الناظرين بنور البصيرة
علموا انه لا نجاة الا في لقاء الله تعالى وانه لا سبيل الى اللقاء الا ان يموت العبد محبا
لله تعالى وعارفا بالله وان المحبة والانس لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب
والمواظبة عليه وان المعرفة لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في
الوجود سوى الله وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها
والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات
الليل والنهار في وظائف الاذكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال
لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى
نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة
اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت
لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها ويدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك
تقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها

فان النفس بطبعها مايله الي ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطرا وقاتها
الي مسرات الدنيا وشهواتها المباحه مثلا والشطر الاخر الي العبادات رجح
جانب الميل الي الدنيا لموافقتها للطبع اذ يكون الوقت متساويا فاني يتقاومان
والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن تساعد على امور الدنيا ويصفو في
طلبه القلب ويتجرد واما الرد الي العبادات فمتكلف ولا يسلم
اخلاص القلب وحضوره الا في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنه بغير
حساب فليستغرق ومن اراد ان يرجح كفه حسناته وتثقل كفه موازين خيراته
فليستوعب في الطاعه اكثر اوقاته وان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره
مخطر والرجا غير منقطع والعفو من كرم الله تعالى منتظر فعسى الله
يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيره وان لم
تكن من اهله فانظر الى خطاب الله سبحانه وتعالى لرسوله واقتبسه بنور
الايمان فقد قال تعالى لاقرب عباده اليه وارفعهم درجه لديه ان لك في النهار
سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم
ربك بكره واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود
وقال تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان
ناشيه الليل هي اشد وطا واقوم قيلا وقال تعالى ومن اناء الليل فسبح واطراف
النهار لعلك ترضى وقال واقم الصلاه طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات
يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفايزين من عباده وبماذا وصفهم
فقال امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما يحذر الاخره ويرجو رحمه
ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى والذين يبيتون لربهم
سجدا وقياما وقال عز من قايل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار

هم يستغفرون وقال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد
في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وقال تعالى ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداه والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى
الله تعالى مراقبه الاوراد وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظله
لذكر الله وقد قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال تعالى الم تر الى ربك كيف مد
الظل ولو شا لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا
قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقال
تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فلا تظنن
ان المقصود من سير الشمس والقمر بحساب منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور
والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا بل لتعرف مواقيت الاوقات فتشتغل
فيها بالطاعات والتجاره للدار الاخره يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما
ليتدارك في احدهما ما فات في الاخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا لغيره
وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا ايه الليل وجعلنا ايه النهار
مبصره لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وانما الفضل المبتغى
هو الثواب والمغفره ~~بيان اعداد الاوراد وترتيبها~~ بيان اعلم ان اوراد النهار
سبعه فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس
الى الزوال وردان والليل ينقسم باوراد اربعه وردان من المغرب الى وقت
نوم الناس ووردان من النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح فلنذكر
وظيفه كل ورد وفضيلته وما يتعلق به فالورد الاول ما بين طلوع
الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف يدل على شرفه وفضله اقسام الله تعالى به
اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح وقال تعالى قل اعوذ برب الفلق

٢٣٤

واطمانه الفراره بقبض الظل فيه اذ قال ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض
ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقوله ومن
اناء الليل فسبح واطراف النهار وقوله واذكر اسم ربك بكره واصيلا واما ترتيبه
فلياخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي ان يبدي بذكر الله تعالى فيقول
الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى اخر الادعيه والايات
التي ذكرناها في دعا الاستيقاظ من كتاب الدعوات ويلبس ثوبه وهو في الدعا
وينوي به ستر العوره امتثالا لامر الله تعالى واستعانه على عبادته من غير قصد
ريا ورعونه ثم يتوجه الى بيت الخلا ان كان به حاجه ويدخل اولا رجله اليسرى
ويدعو بالادعيه التي ذكرناها في كتاب الطهاره عند الدخول والخروج ثم يستاك على
السنه كما سبق ويتوضا مراعيا لجميع السنن والادعيه التي ذكرناها في الطهاره
فانما قدمنا احاد العادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه الترتيب والتركيب
فقط فاذا فرغ من الوضو صلى ركعتي الصبح اعني السنه في منزله كذلك كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعلها ويقرا بعد الركعتين في البيت او المسجد الدعا الذي رواه ابن
عباس رضي الله عنهما اللهم اني اسالك رحمه من عندك تهدي بها قلبي الى اخر الدعا
ثم يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعا الخروج الى المسجد ولا
يسعى بل يمشي وعليه السكينه ورد به الخبر ولا يشبك بين اصابعه فيدخل المسجد
ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعا الماثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف
الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم كما سبق في كتاب الجمعه ثم يصلي
ركعتي الفجر ان لم يصلهما في المنزل ويشتغل بالدعا المذكور بعده وان كان قد صلى ركعتي
الفجر صلى ركعتي التحيه وجلس منتظرا للجماعه وليرجح التغليس بالجماعه فقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعه في الصلاه عامه وفي الصبح والعشا
خاصه فلهما زياده فضل فقد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من توضا

لصلاه الصبح ثم توجه الى المسجد يصلي فيه الصلاه كان له بكل خطوه حسنه ومحي عنه سيئه
والحسنه بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعره في جسده
حسنه وانقلب بحجه مبروره فان جلس حتى ترتفع كتب له بكل حسنه الفا الف حسنه
ومن صلى العتمه فله مثل ذلك وانقلب بعمره مبروره وكان من عاده السلف
دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع
الفجر فالفيت ابا هريره قد سبقني فقال يا ابن اخي لاي شي خرجت من منزلك هذه الساعه
فقلت لصلاه الغداه فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه
الساعه بمنزله غزوه في سبيل الله او قال مع رسول الله وعن علي رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمه وهما نايمان فقال الا تصلون قال علي فقلت يا
رسول الله انما انفسنا بيد الله فاذا شا ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شي جدلا ثم يشتغل
بالاستغفار والتسبيح الى ان تقام الصلاه فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو
الحي القيوم سبعين مره وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مايه
مره ثم يصلي الفريضه مراعيا جميع ما ذكرناه من الاداب الباطنه والظاهره
في الصلاه والقدوه ويقعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنرتبه
فقد قال صلى الله عليه وسلم لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلاه الغداه الى طلوع الشمس
احب الي من ان اعتق اربع رقاب وروي انه كان عليه السلام اذا صلى الغداه قعد في
مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين اي بعد الطلوع وقد ورد الخبر
في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من
رحمه ربه يقول انه قال يا ابن ادم اذكرني من بعد صلاه الفجر ساعه وبعد العصر ساعه اكفك ما بينهما
فاذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون وظيفته
الى الطلوع اربعه انواع ادعيه واذكار يكررها في سبحه وقراه قران وتفكر
اما الادعيه فكما يفرغ من صلاته فليقل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد اللهم انت

السلم ومنك السلم واليك يعود السلم حينا يا ربنا بالسلم وادخلنا دار السلم تباركت
يا ذا الجلال والاكرام ثم يفتتح بالدعا بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحان
ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي
ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير لا اله الا الله اهل النعمة
والفضل والثنا الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره
الكافرون ثم يشتغل بالادعية التي ذكرناها في الباب الثالث والرابع من
كتاب الادعية فيدعو بجميعها ان قدر عليه او يحفظ من جملتها ما يراه اوفق لحاله
وارق لقلبه واخف على لسانه واما الاذكار المكررة فهي كلمات ورد في
تكريرها فضايل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلث او سبع
واكثرها مائة او سبعون واوسطها عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته
وفضل الاكثر اكثر والاوسط الاقتصد ان يكررها عشر مرات فهو اجدر بان
يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على
كثيرها فقليلها مع المداومة افضل واشد تاثيرا في القلب من كثيرها ومثال القليل
قطرات ماء تتقاطر على الارض على التوالي فتحدث فيها حفرا ولو وقع على الحجر
ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة او دفعات متفرقة متباعدة الاوقات فلا يبين لها
اثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة الاولى قوله لا اله الا الله وحده لا
شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شي قدير
الثانية قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
الثالثة قوله سبوح قدوس رب الملايكة والروح الرابعة قوله سبحان الله
العظيم وبحمده الخامسة قوله استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله
التوبة السادسة قوله اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا
ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين الثامنة
قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شي في الارض ولا في السما وهو السميع العليم

التاسعة قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد العاشرة قوله اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
فهذه العشر كلمات اذا كرر كل واحدة منها عشر مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان
يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحدة من هذه الكلمات فضلا على حياله وللقلب
بكل واحد نوع من التلذذ والتنبه وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة نوع
استراحة وامن من الملال واما القراءة فيستحب بجملة من الايات ورد الاخبار
بفضلها وهو ان يقرا سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول
وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الايتين وقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرها
وقوله لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق الى آخر السورة وقوله وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا الى آخر السورة وخمس ايات من اول سورة الحديد وثلثا من آخر
سورة الحشر وان قرا المسبعات العشر التي اهداها الخضر الى ابرهيم التيمي
ووصاه ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة
جميع الادعية المذكورة فقد روي عن كرز بن وبرة وكان من الابدال قال اتى
اخ لي من اهل الشام فاهدى لي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية
فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اعطى لك هذه الهدية قال اعطانيها ابرهيم
التيمي قلت افلم تسال ابرهيم من اعطاه قال بلى فقال كنت جالسا في فنا الكعبة
وانا في التهليل والتسبيح والتمجيد فجاني رجل وجلس عن يميني فلم ار في زماني
احسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا واطيب ريحا منه
فقلت يا عبد الله من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر فقلت لاي شي جئتني فقال
جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله وعندي هدية اريد ان اهديها اليك فقلت ما
هي فقال هي ان تقرا قبل طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب قل
اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون واية
الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر

سبعا وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر للمومنين والمومنات سبعا وتستغفر
لنفسك ولوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا واجلا في الدين والدنيا
والاخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له اهل سبع مرات وانظر ان لا
تدع ذلك غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية فقال اعطانيها
محمد صلى الله عليه وسلم فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم
فسله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابرهيم التيمي انه راى ذات يوم في منامه
كان الملايكة جاته فاحتملته حتى ادخلته الجنة فراى ما فيها ووصف امورا عظيمة
مما راه في الجنة قال فسالت الملايكة فقلت لمن هذا كله فقالوا للذي يعمل
مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملايكة كل صف مثل ما بين المشرق الى المغرب
فسلم علي واخذ بيدي فقلت يا رسول الله ان الخضر عليه السلم اخبرني انه سمع منك
هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض
وهو رييس الابدال وهو من جنود الله في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل
مثل هذا او عمله ولم ير مثل الذي رايت في منامي هل يعطى شيا مما اعطيته فقال
والذي بعثني بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه
ليغفر له جميع الكباير التي عملها ويرفع الله تعالى غضبه ومقته عنه ويومر
صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيا من السيات الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا
ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه شقيا وكان
ابرهيم التيمي مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرويا ٥
فهذه وظيفة القراة فان اضاف اليه شيا مما انتهى اليه ورده من القران واقتصر
عليه فحسن والقران جامع لفضل الذكر والفكر والدعا مهما كان بتدبر كما
ذكرنا فضله وادابه في كتاب التلاوة واما الافكار فليكن ذلك احد
وظايفه وسياتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات

ولكن بجامعه

ولكن بجامعه يرجع الى فنين احدهما ان يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق
من تقصيره ويرتب يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوايق الشاغلة عن الخير
ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة
في اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين والفن الثاني يتفكر فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بان يتفكر
مرة في نعم الله تعالى وتواتر الايه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها او في
عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله واستغنايه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من
هذه الامور تفصيل كثير ويتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون بعض وانما استقصينا ذلك
في كتاب التفكر ومهما تيسر الفكر فهو افضل العبادات اذ فيه معنى الذكر لله تعالى
وزيادة امرين احدهما زيادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني
زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله وجلاله
الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجايب افعاله فيحصل من الفكر المعرفة
ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر ايضا يورث الانس وهو نوع
من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة اقوى واثبت واعظم ونسبة محبة
العارف الى انس الذاكر من غير تمام الاستبصار نسبة عشق من شاهد جمال
شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه وافعاله وفضايله وخصاله الحميدة بالتجربة
الى انس من كرر على سمعه وصف شخص غايب عن عينه فليس محبته كمحبة المشاهد
وليس الخبر كالمعاينة والعباد المواظبون على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان
الذين صدقوا بما جات به الرسل بالايمان التقليدي ليس معهم من محاسن الصفات الا امور
جملية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال
بعين البصيرة الباطنة التي هي اقوى من البصر الظاهر لان احدا لم يحط بكنه جلال الله
وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له
من الحجاب ولا نهاية لجمال الحضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التي يحى ان
تسمى نورا وكاد ان يظن الواصل اليها انه قد تم وصوله الى الاصل قال صلى الله عليه وسلم

ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره
وتلك الحجب ايضا مترتبة وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر
والكواكب ويبدو في الاول اصغرها ثم ما يليه وعليه اول بعض الصوفية درجات
ما كان يظهر لابرهيم عليه السلم في ترقيه وقال لما جن عليه الليل اي اظلم عليه
الامر راى كوكبا اي وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما اريد به
هذه الاجسام المضية فان احاد العوام لا يخفى عليهم ان الربوبية لا تليق بالاجسام
بل يدركون ذلك باوايل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل والحجب المسماة
انوارا ما اريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل اريد بها ما اريد بقوله الله نور السموات
والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ولنتجاوز هذه المعاني فانها خارجة
عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقايقها الا الكشف التابع للفكر الصافي وقل
من يفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد من علوم المعاملة وذلك
ايضا مما تغزر فايدته ويعظم نفعه فهذه الوظايف الاربع اعني الدعا
والذكر والقراة والفكر ينبغي ان تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل كل ورد
بعد الفراغ من وظيفة الصلاة وليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الاربع
ويقوى على ذلك بان ياخذ سلاحه ومجنه والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري
الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة
سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح الى الطلوع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
يشتغلون في هذا الوقت بالاذكار فهي الاولى الا ان يغلبه النوم قبل الفرض
ولم يندفع الا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا باس به الورد الثاني
ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال
وذلك بمضي ثلث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثني عشر ساعة وهو الربع
وفي هذا الربع وظيفتان زايدتان احدهما صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلاة وان
الاولى ان يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت نصف رمح

ويصلي اربعا

ويصلي اربعا او ستا او ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر الشمس فوقت
الركعتين هو الذي اراد الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي والاشراق فانه وقت اشراق الشمس
وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الارض
فانها تمنع اشراقها التام ووقت الاربع ركعات هو الضحى الاعلى الذي اقسم الله
تعالى به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يصلون عند
الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول
اذا اقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت افضل لصلاة الضحى وان كان اصل
الفضل يحصل بالصلاة من طرفي وقتي الكراهية وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع
نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال في ساعة الاستوا واسم الضحى ينطلق على
الكل وكان ركعتي الاشراق تقع في مبدا وقت الاذن في الصلاة وانقضا الكراهية
وقال صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها
فاول ارتفاعها ان ترتفع عن حجاب الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب
الوظيفة الثانية في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها
العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور
مجلس علم وما يجري مجراه من قضا حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شي من ذلك
عاد الى الوظايف الاربعة التي قدمناها من الادعية والذكر والقراة والفكر
والصلوات المتطوع بها ان شا فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة
الان فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظايف هذا الوقت لمن اراده واما
بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح لم احب ان يقتصر على ركعتي
الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالاذكار الورد الثالث
من ضحوة النهار الى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وان كان بعد
ثلث ساعات بعد الطلوع وبعدها وقبل مضيها صلاة الضحى واذا مضت ثلثه
اخرى فالظهر فاذا مضت ثلثة اخرى فالعصر فاذا مضت ثلثه اخرى فالمغرب

ومنزله الضحى من الزوال والطلوع ثم منزله العصر من الزوال والغروب الا ان الضحى
لم تفترض لانه وقت انكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم والوظيفه في هذا الوقت
الاقسام الاربعه ويزيد وان احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش
وحضور السوق فان كان تاجرا ينبغي ان يتجر بصدق وامانه وان كان صاحب صناعه
فبنصح وشفقه ولا ينسى ذكر الله في جميع اشغاله ويقتصر من الكسب على قدر
حاجته ليومه مهما قدر على ان يكسب في كل يوم او وقته فاذا احصل كفايه يومه
فليرجع الى بيته وليتزود لاخرته فان الحاجه الى زاد الاخره اشد والتمتع
به ادوم فالاشتغال بكسبه اهم من طلب الزياده على حاجه الوقت فقد قيل لا
يوجد المومن الا في ثلثه مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او حاجه لا بد له منها
وقل من يعرف القدر فيما لا بد له منه بل اكثر الناس يقدرون ما عنه بد انه لا بد لهم منه
وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشا فيصغون اليه ويجمعون ما لا
ياكلون خيفه الفقر والله يعدهم مغفره منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه
الامر الثاني القيلوله وهي سنه ليستعين بها على قيام الليل كما ان التسحر سنه
ليستعين به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل ولكن لو لم يقل لم يشتغل بخير
وربما خالط اهل الغفله وتحدث معهم فالنوم احب اليه اذا كان لا ينبعث نشاطه
للرجوع الى الاذكار والوظايف المذكوره اذ في النوم الصمت والسلامه وقد قال
بعضهم ياتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم وكم من عابد احسن
احواله النوم وذلك اذا كان يرايي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق
قال سفين الثوري كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلب السلامه فاذن نومه على
قصد طلب السلامه ونيه قيام الليل قربه ولكن ينبغي ان يستيقظ قبيل الزوال
بقدر الاستعداد للصلوه بالوضو وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاه فان
ذلك من فضايل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاه والذكر
فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفله الناس عن الله واشتغالهم بهموم الدنيا

فالقلب

فالقلب المتفرغ لخدمه ربه عند اعراض العبيد كفضل احيا الليل بان يزكيه الله تعالى
ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احيا الليل فان الليل وقت الغفله
بالنوم وهذا وقت الغفله باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معنيي قوله
تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد ان يذكر اي يخلف احدهما الاخر
في الفضل والثاني انه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في احدهما الورد الرابع
ما بين الزوال الى الفراغ من الظهر وراتبه وهذا اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا
كان قد توضا قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدا المؤذن الاذان
فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احيا ما بين الاذان والاقامه فهو
وقت الاظهار الذي اراد الله عز وجل بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا
الوقت اربع ركعات لا يفصل بينها بتسليم وهذه الصلاه وحدها من بين ساير صلوات
النهار هكذا قاله بعض العلما ومذهب الشافعي رضي الله عنه انه يصلي مثنى مثنى كساير
النوافل وليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح ابواب السماوات كما اوردنا الخبر فيه
في باب صلاه التطوع وليقرا فيها سوره البقره او سورتين من المثاني او اربعا
من المثاني فهذه ساعه يستجاب فيها الدعا واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع
له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعه بعد اربع ركعات طويله كما سبق او قصيره
لا ينبغي ان يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم اربعا فقد كره ابن مسعود ان يتبع
الفريضه بمثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرا في هذه النافله ايه الكرسي واخر سوره
البقره والايات التي اوردناها في الورد الاول ليكون ذلك جامعا له بين
الدعا والذكر والقراه والصلاه والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت الورد
الخامس ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشغولا بالذكر او
الصلاه او فنون الخير ويكون في انتظار الصلاه بعد الصلاه وكان ذلك سنه السلف
كان الداخل يدخل المساجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوي النحل
من التلاوه فان كان بيته اسلم لدينه واجمع لهمه فالبيت افضل في حقه واحيا هذا الورد

نسخه يعني فيها ابدال اعمال الصلاه

وهو ايضا وقت غفلة الناس دا حيا الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم
لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومان بالنهار قال بعض العلما ثلث يمقت الله عليها
الضحك بغير عجب والاكل من غير جوع ونوم النهار من غير سهر بالليل والحد في
النوم ان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات
وهو الثلث من ساعات الليل والنهار فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار
وان نقص منه مقدار استوفاه بالنهار فحسب ابن ادم نصح عشرين سنة ان عاش
ستين سنة ومهما نام ثماني ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما
كان النوم غذا الروح كما ان الطعام غذا البدن وكما ان العلم والذكر غذا القلب لم يمكن
قطعه منه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي الى اضطراب البدن الا
من يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد هو
من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو احد الاصال التي ذكرها الله تعالى في
قوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال
واذا سجدت فيه الجمادات فكيف يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات
الورد السادس اذا دخل وقت العصر دخل الورد السادس وهو الذي
اقسم الله تعالى به اذ قال والعصر هذا احد معنيي الاية وهو المراد بالاصال
في احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالعشي والاشراق
وليس في هذا الورد صلاة الا اربع ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر ثم يصلي
الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤس
الحيطان وتصفر والافضل فيه اذا منع من الصلاة تلاوة القران بتدبر وتفكر
وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعا والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد
الاقسام الثلثة الورد السابع اذا اصفرت الشمس بان تقرب من
الارض بحيث يستر نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض وترى صفرة
في ضوها دخل هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس

لانه قبل

لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين
تمسون وهو الطرف الثاني وهو المراد بقوله تعالى واطراف النهار قال الحسن كانوا
اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار
للدنيا واخره للاخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وساير
ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم
واسله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده من قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك
بالعشي والابكار والاستغفار على الاسما التي في القران احب كقوله استغفروا
الله انه كان غفارا استغفروا الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين
فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب ان يقرا قبل غروب الشمس والشمس
وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار
فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك الدعا كما سبق ثم
يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهت اوراد النهار فينبغي
ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل
ساوى يومه امسه فيكون مغبونا او كان شرا منه فيكون ملعونا وقد قال
صلى الله عليه وسلم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا فان راى نفسه متوفرا
على الخير جميع نهاره مترفها عن التجسم كان بشارة فليشكر الله على توفيقه
وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافي
ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيات فليشكر على صحة جسمه
وبقا بقية عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر
له اخر تغرب فيه شمس الحيوة ولا يكون لها بعده طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك
والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضا احادها
اوراد الليل وهي خمسة الاول اذا غربت الشمس صلى المغرب
واشتغل باحيا ما بين العشائين واخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق اعني الحمرة التي

بغيبتهما يدخل وقت العتمه وقد اقسم الله تعالى به فقال فلا اقسم بالشفق والصلاه
فيه ناشئه الليل لانه اول نشو ساعاته وهو انا من الانا المذكوره في قوله تعالى
ومن اناء الليل فسبح وهي صلاه الاوابين وهي المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع روى ذلك عن الحسن واسنده ابن الحزم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سيل عن هذه الايه فقال صلى الله عليه وسلم الصلاه بين العشايين ثم قال عليكم بالصلاه
بين العشايين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب اخره والملاغاه جمع
ملغاه من اللغو وسيل انس عمن ينام بين العشايين فقال لا تفعل فانها الساعه
المعنيه بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسياتي فضل احيا ما بين العشايين
في الباب الثاني وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولا يقرا
فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير
تخلل كلام وشغل ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبه الشفق ما تيسر له
وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا باس ان يصليها في بيته ان لم يكن عزمه
العكوف في المسجد وان عزم العكوف في انتظار العتمه فهو الافضل اذا كان
امنا من التصنع والريا الورد الثاني بدخول وقت العشا الى حد نوم
الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق
اي وما جمع من ظلمته وقال تعالى الى غسق الليل فهناك يغسق الليل وتستوسق
ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعاه ثلثه امور الاول ان يصلي سوى فرض العشا
عشر ركعات اربعا قبل الفرض احيا لما بين الاذانين وستة بعد الفرض ركعتين ثم
اربع ويقرا فيهما من القران الايات المخصوصه كاخر البقره وايه الكرسي واول الحديد
وغيرها الثاني ان يصلي ثلث عشره ركعه اخرهن الوتر فانه اكثر ما روى ان النبي صلى الله عليه
صلاها من الليل والاكياس ياخذون اوقاتهم من اول الليل والاقويا من اخره
والحزم التقدم فانه ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عاده
له فاخر الليل افضل ثم ليقرا في هذه الصلاه قدر ثلثمايه ايه من السور المخصوصه التي كان
صلى الله عليه وسلم

يكثر قراتها مثل ياسين وسجده لقمن وسوره الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعه
فان لم يصل فلا يدع قراه هذه السور او بعضها قبل النوم فقد روي في ثلثه احاديث
ما كان يقراوه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليله اشهرها السجده وتبارك الملك وفي
روايه الزمر وبني اسرايل وفي اخرى انه كان يقرا المسبحات في كل ليله ويقول
فيها ايه افضل من الف ايه وكان العلما يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك
الاعلى اذ في الخبر انه صلى الله عليه وسلم كان يحب سبح اسم ربك الاعلى وكان
يقرا في ثلث ركعات الوتر ثلث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون
والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلث مرات الثالث الوتر
قبل النوم ان لم تكن عادته القيام قال ابو هريره اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا انام الا على وتر وان كان معتادا لصلاه الليل فالتاخير افضل قال صلى الله عليه وسلم
صلاه الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعه وقالت عايشه رضي الله عنها
اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل واوسطه واخره وانتهى وتره الى السحر
وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلثه انحا ان شيت اوترت اول الليل ثم صليت
ركعتين ركعتين يعني انه يصير وترا بما مضى وان شيت اوترت بركعه فاذا استيقظت
شفعت اليها اخرى ثم اوترت في اخر الليل وان شيت اخرت الوتر ليكون
اخر صلاتك هذا ما روى عنه والطريق الاول والثالث لا باس به واما نقض
الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي ان ينقض وروي مطلقا انه عليه السلم قال لا وتران
في ليله ولمن يتردد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلما وهو ان يصلي بعد
الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف الى
فراشه ويصليهما ويقرا فيهما اذا زلزلت والهاكم لما فيهما من التحذير والوعيد
وفي روايه قل يا ايها الكافرون لما فيها من التبريه وافراد العباده لله فقيل ان استيقظ
قامتا مقام ركعه واحده وكان له ان يوتر في اخر صلاته وكانه صار ما مضى
شفعا بهما وحسن استيناف الوتر فاستحسن هذا ابو طالب المكي وقال فيه ثلثه

اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من اخر الليل وهو كما ذكره ولكنه يخطر
ايهما لو شفعها ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ ولبطل وتره الاول
لكونه مشفعا ان استيقظ غير مشفع ان نام فقد نظر ان يصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايتاره قبلهما واعادته للوتر ففهم منه ان الركعتين شفع لصورتهما وتر لمعناهما
فتحسب وترا ان استيقظ شفعا ان لم يستيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر
ان يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض
بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت وروي انه
عليه السلام ما مات حتى كان اكثر صلاته جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد نصف
اجر القائم وللنائم نصف اجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نايما
الورد الثالث النوم فلا باس ان يعد ذلك في الاوراد فانه اذا روعيت
ادابه احتسب عبادة فانه نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا الله تعالى يكتب
مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله تعالى
دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر انه اذا نام على الطهارة يرفع روحه الى
العرش هذا في العوام فكيف في العلماء وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون
بالاسرار في النوم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال
معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل فقال اقوم الليل اجمع لا انام فيه
واتفوق القران فيه تفوقا قال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب في نومتي ما
احتسب في قومتي فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه منك

واداب النوم عشرة الاول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه وسلم
اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه رؤيا صادقة
وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات اضغاث احلام
وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا والطهارة الباطنة هي المؤثرة في انكشاف
حجب الغيب الثاني ان يعد عند راسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة

عند التيقظ وكلما ينتبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم يتيسر له
الطهارة كانوا يستحبون مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة
وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في الاء الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام
الليل وقال صلى الله عليه وسلم من اتى فراشه وهو ينوي ان يقوم ويصلي بالليل فغلبته
عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى الثالث
ان لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يامن القبض في النوم
ويقال ان من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام الى يوم القيامة يتزاوره
الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من
غير وصية وذلك يستحب خوفا من موت الفجاة وموت الفجاة تخفيف الا لمن
ليس مستعدا للموت لكونه مثقل الظهر بالمظالم الرابع ان ينام
تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يعزم على
معصية ان استيقظ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوى الى فراشه لا ينوي ظلم احد ولا
يحقد على احد غفر له ما اجترم الخامس ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة
بل يترك ذلك او يقتصد فيه وكان بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفا
وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها
نرد وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر بتواضع نفوسهم فمن لا تسمح بذلك
نفسه فليقتصد السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه
الا اذا قصد به الاستعانة على القيام في اخر الليل فقد كان نومهم غلبة
واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وبالاسحار هم يستغفرون وان غلب النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما
يقول فلينم حتى يعقل ما يقول وكان ابن عباس رضي الله عنهما يكره النوم قاعدا
وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي بالليل

فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر له
فاذا غلبه فليرقد وقال تكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا
وقال خير هذا الدين ايسره وقيل له ان فلانا يصلي ولا ينام ويصوم ولا يفطر
فقال لكني اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال
لا تشادوا هذا الدين فانه متين من يشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك عبادة الله
السابع ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال
المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه واخمصاه الى القبلة
والثاني استقبال اللحد وهو لمن نام على جنب وهو ان يكون وجهه اليها مع قبالة بدنه
اذا نام على الشق الايمن الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربي
وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى اخر الدعوات المأثورة التي اوردناها في كتاب
الدعوات ويستحب ان يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها ويقرأ قوله وإلهكم
إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم الى قوله يعقلون يقال ان من قرأه عند النوم
حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الاعراف هذه الآية ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض الى آخر الآية وآخر بني اسرائيل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الى آخرها
فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه يستغفر له ويقرأ المعوذتين وينفث في
يديه ويمسح بهما وجهه وساير بدنه كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقرأ
عشرا من اول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل
وكان علي رضي الله عنه يقول ما ارى ان رجلا مستكملا عقله ينام قبل ان يقرأ الآيات من آخر
سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة التاسع ان يتذكر عند
النوم ان النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها فسماهما توفيا وكما ان المستيقظ ينكشف له من الاحوال ما لا
لا يناسب احواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر بباله قط ولا شاهده

ومثل النوم

ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمان لابنه يا بني
ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام فكذلك تموت وان كنت تشك في البعث
فلا تنتبه فكما انك تنتبه من نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الاحبار
اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت
عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع
خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع
ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه الدعاء الى آخره كما ذكرناه في
الدعوات فحق على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه على ماذا ينام وما الغالب
عليه حب الله وحب لقائه او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب
عليه فان المرء مع من احب ومع ما احب العاشر الدعاء عند التنبه
فليقل في تيقظاته ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله الواحد
القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد ان يكون آخر ما يجري على
قلبه عند النوم ذكر الله تعالى واول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله فهو
علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه
فانها علامة تكشف عن باطن القلب وانما استحبت هذه الاذكار لتستجر القلب الى ذكر
الله تعالى فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه
النشور الى آخر ما اوردناه من ادعية التيقظ الورد الرابع يدخل بمضي النصف
الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم
التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه
الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار وبه اقسم الله تعالى فقال والليل
اذا سجى اي اذا سكن وسكونه هدوه في هذا الوقت فلا يبقى عين الا نايمة
سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال
وقيل اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل اسمع فقال جوف الليل وقال داود عليه السلام

الهي اني احب ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى الله تعالى اليه يا داود لا
تقم اول الليل ولا اخره فان من قام اوله نام اخره ومن قام اخره لم يقم اوله ولكن قم
وسط الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي حوائجك وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي اخر الليل وردت الاخبار
باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ونزول الجبار تعالى الى سماء
الدنيا وغير ذلك من الاخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التي
للاستيقاظ يتوضى وضوءا كما سبق بسننه واادابه وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه
ويقوم مستقبل القبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
ثم ليسبح عشرا وليحمد عشرا وليهلل عشرا وليقل الله اكبر ذو الملكوت والجبروت
والكبريا والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها ماثورة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض
ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن انت الحق ومنك الحق ولقاوك حق
والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك اسلمت وبك امنت
وعليك توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما
اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم ات نفسي تقواها
وزكها انت خير من زكيها انت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاعمال
لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها الا انت اسالك مسالة
البايس المسكين وادعوك دعا المفتقر الذليل لا تجعلني بدعايك شقيا وكن بي رءوفا
رحيما يا خير المسؤولين واكرم المعطين وقالت عايشة رضي الله عنها كان عليه السلم
اذا قام من الليل افتتح صلاته وقال اللهم رب جبريل وميكايل واسرافيل فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما
اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشا الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلاة
ويصلي ركعتين خفيفتين ثم مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب

ان يفصل

ان يفصل بين الصلاتين بتسليمة بمقدار تسبيحة ليتروح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في
صلاة النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل ينقص في الطول الى ثلث عشرة
ركعة وسيلت عايشة رضي الله عنها اكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ام
كان يسر فقالت ربما جهر وربما اسر وقال عليه السلم صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت
الصبح فاوتر بركعة وقال صلاة المغرب وتر صلاة النهار فاوتروا صلاة الليل
والاكثر ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ثلث عشرة ركعة ويقرا في هذه الركعات
من ورده من القران او من السور المخصوصة ما خف عليه فهو في حكم هذا الورد
الى قريب من السدس الاخير من الليل الورد الخامس السدس
الاخير من اخر الليل وهو وقت السحر قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قيل
يصلون لما فيه من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملايكة الليل
واقبال ملايكة النهار وقد امر بهذا سلمان اخاه ابا الدردا ليلة زاره في حديث طويل
قال في اخره فلما كان الليل ذهب ابو الدردا ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب
ليقوم فقال نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الان فقاما فصليا فقال ان
لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك ان
امراة ابي الدردا اخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا
ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السجود وذلك
عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلاة فاذا طلع الفجر
انقضت اوراد الليل ودخلت اوراد النهار فيقوم ويصلي يعني الفجر وهو المراد
بقوله تعالى فسبحه وادبار النجوم ثم يقرا شهد الله انه لا اله الا هو الى اخرها
ثم يقول اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملايكته واولوا العلم من خلقه
واستودع هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة واساله حفظها حتى يتوفاني
عليها اللهم احطط بها عني وزرا وارفع لي بها عندك ذخرا واحفظها علي
وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الاوراد للعباد وقد

كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة وان قلت
وعيادة مريض وشهود جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له
وفي رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الاخر كان له اجر الجميع بحسب
نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم لم يتصدقوا ولو بتمرة او بصلة او بكسرة خبز
لقوله عليه السلم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله عليه السلم اتقوا النار
ولو بشق تمرة ودفعت عايشة رضي الله عنها الى سايل عنبة واحدة فنظر بعضهم
الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثيرة وكانوا لا يستحبون رد السايل اذ كان
من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ما ساله احد شيا فقال لا بل ان لم يقدر
عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن ادم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل
وفي جسده ثلاثماية وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر
صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى
صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل صدقة ثم قال وركعتا الضحى تاتي على ذلك كله
او يجمعن لك ذلك

بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال

اعلم ان
المريد لحرث الاخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد
واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف واما موحد مستغرق
بالواحد الصمد عن غيره الاول العابد المتجرد للعبادة الذي لا شغل له
اصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد ان يختلف
وظايفه بان يستغرق اكثر الاوقات اما في الصلاة او في القراءة او في التسبيحات
فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنا عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده
ثلاثون الفا وكان فيهم من ورده ثلاثماية ركعة الى ستماية والى الف ركعة واقل ما
نقل في اورادهم من الصلاة ماية ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده
القران فكان يختم في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة
في التفكر في اية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة وكان يطوف في كل

يوم سبعين

يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القران في اليوم
والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فهو
مايتان وثمانون ركعة فان قلت فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات من
هذه الاوراد فاعلم ان قراءة القران في الصلاة قايما مع التدبر يجمع الجميع
ولكن ربما يعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود
الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله عز وجل وايناسه به
فلينظر المريد الى قلبه فما يراه اشد تاثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس
بملالة فيه فلينتقل الى غيره وكذلك نرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات
المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها الى نوع لان الملال
هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا في ذلك تختلف ولكن اذا فهم
فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان احس سمع تسبيحة مثلا او احس لها بوقع
في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد روي عن ابراهيم بن ادهم
عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاطي البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح
ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملايكة
موكل بهذا البحر اسبح الله بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيائيل
قلت فما ثواب من قاله قال من قاله ماية مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة
او يرى له والتسبيح قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من
يذهب بالليل وياتي بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان
المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد
في قلبه له وقعا يلازمه وانما وجد القلب وفتح له فيه خير فليواظب عليه
الثاني العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف فترتيبه
للاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة
ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان امكنه استغراق الاوقات فيه فهو افضل ما

يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم
والعلم في كتاب العلم وكيف لا وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتامل ما قاله
الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق
الآخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمه
لكان سعيه ضايعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس
في الآخرة ويزهدهم في الدنيا او العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة
اذا تعلموه على قصد الاستعانة على السلوك دون العلوم التي يزيد بها الرغبة
في المال والجاه وقبول الخلق والاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان
استغراق الاوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخصص ما
بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول
وبعد الطلوع الى ضحوة النهار بالافادة والتعليم ان كان عنده من
يستفيد علما لاجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل
عليه من علوم الدين فان صفا القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال
بالدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف
والمطالعة لا يتركها الا في اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال
النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ عليه من تفسير او
حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح
فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس عمل اللسان وورده الثاني عمل
القلب بالفكر الى الضحوة وورده الثالث الى العصر عمل العين واليد بالمطالعة
والكتب وورده الرابع بعد العصر عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة
والكتب بعد العصر ربما يضر بالعين وعند الاصفرار يعود الى ذكر اللسان فلا
يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع واما الليل
فاحسن قسمته فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه اذ كان يقسم الليل ثلثة اجزاء ثلث

للمطالعة

للمطالعة وترتيب العلم وهو الاول وثلث للصلوة وهو الوسط وثلث للنوم وهو
الاخير وهذا يتيسر في ليالي الشتا والصيف ربما لا يحتمل ذلك الا اذا اكثر
النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب العالم الثالث المتعلم والاشتغال
بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب
الاوراد لكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث
يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب اوقاته كما ذكرناه وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم
والعلم في كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى انه يعلق
ويحصل ليكون عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس العلم والذكر والوعظ افضل
من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي ساير الاوقات
ففي حديث ابي ذر ان مجلس ذكر افضل من صلاة الف ركعة وشهود الف جنازة
وعيادة الف مريض وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل
يا رسول الله وما رياض الجنة فقال حلق الذكر وقال كعب الاحبار لو ان ثواب
المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة امارته وكل ذي سوق
سوقه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب
مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع على ذنوبه انصرف الى
منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق
على وجه الارض تربة افضل من مجالس العلماء وقال رجل للحسن اشكو اليك
قساوة قلبي فقال ادنه مجالس الذكر وراي عمار الراهب سكينة الطفاوية
في المنام وكانت من المواظبين على حلق الذكر فقال مرحبا يا سكينة فقالت
هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هيه فقالت ما تسأل عمن ابيح لها
الجنة بحذافيرها قال وبم ذاك قالت بمجالسة اهل الذكر وعلى الجملة فما يحل من
عقده من عقد الدنيا وحبها بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة اشرف وانفع من
ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا الرابع المحترف الذي يحتاج

الى الكسب لعياله فليس له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات بالعبادات بل ورده في
وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله تعالى
في الصناعات فيواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن
ان يجمع الى العمل وانما لا يتيسر مع العمل الصلاة الا ان يكون ناظوراً فانه لا يعجز
عن اقامة اوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد
وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو افضل من سائر الاذكار والاوراد
التي ذكرناها لان العبادات المتعدية فائدتها انفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه
النية عبادة له في نفسه تقربه الى الله تعالى ثم يحصل به فائدة الغير ويجتذب البركات
دعاء المسلمين ويتضاعف الاجر الخامس الوالي مثل الامام والقاضي
والمتولي للنظر في امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع
وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل بحقوق الناس نهاراً
ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد ليلاً كما كان عمر رضي الله عنه يفعله اذ قال ما لي
وللنوم لو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي فقد فهمت ما ذكرناه
انه يقدم على العبادات البدنية امران احدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لان كل
واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة يفضل سائر العبادات بتعدي
فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه السادس الموحد المستغرق
بالواحد الصمد الذي اصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه
ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء الا يرى الله فيه فمن ارتفعت رتبته الى
هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات
واحداً وهو حضور القلب مع الله في كل حال فلا يخطر بقلبهم امر ولا يقرع سمعهم
قارع ولا يلوح لابصارهم لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد فلا محرك لهم
ولا مسكن لهم الا الله تعالى فهؤلاء جميع احوالهم تصلح ان تكون سبباً لازديادهم فلا
يتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله تعالى كما قال لعلكم تذكرون

وتحقق فيهم قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم
ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله تعالى اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذه منتهى
درجات الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهراً
طويلاً فلا ينبغي ان يغتر المريد بما يسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف
عباداته فذلك علامته ان لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر في قلبه معصية ولا
يزعجه هواجم الاهوال ولا يستفزه عظائم الاشغال فأنى يرزق هذه الرتبة كل
احد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق الى الله
تعالى قال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم
مهتدون وبعضهم اهدى وفي الخبر الايمان ثلثمائة وثلثة عشر خلقاً بعدد
الانبياء فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق الى الله تعالى فاذن الناس وان
اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط قال الله تعالى اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب فانما يتفاوتون في درجات القرب لا في
اصله واقربهم الى الله اعرفهم به واعرفهم به لا بد وان يكون اعبدهم له فمن عرفه
لم يعبد غيره والاصل في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد
منه تغيير صفات الباطن وآحاد الاعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وانما
يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد اثراً محسوساً ولم يردف
بثان وثالث على القرب انمحى اثر الاول وكان كالفقيه لا يصير فقيه النفس الا
بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهراً او اسبوعاً ثم عاد وبالغ
ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لأثر فيه ولهذا
السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل
وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله
ديمة وهذا كان هو السبب في صلاته بعد العصر تداركاً لما فاته من ركعتين شغله
عنهما الوفد ثم لم يزل يصليهما بعد ذلك بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كيلا

يقتدى به روت ذلك عايشه وام سلمه رضي الله عنهما فان قلت فهل لغيره ان يقتدي به في ذلك مع ان الوقت وقت كراهيه فاعلم ان المعاني الثلثه التي ذكرناها من الاحتراز عن التشبه بعبده الشمس او السجود وقت ظهور قرن الشيطان او التحرز عن العباده حذرا من الملال لا يتحقق في حقه ولا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في منزله حتى لا يقتدى به

الباب الثالث

في الاسباب الميسره لقيام الليل وفي الليالي التي تستحب احياوها وفي فضيله احيا الليل وما بين العشائين وكيفيه قسمه الليل

فضيله احيا ما بين العشائين قال صلى الله عليه وسلم فيما روت عايشه رضي الله عنها ان افضل الصلوات عند الله تعالى صلاه المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاه الليل وختم بها صلاه النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنه لا ادري من ذهب او من فضه ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنه او قال اربعين سنه وروت ام سلمه عن ابي هريره عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلن له عباده سنه او كانه صلى ليله القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشا في مسجد جماعه لم يتكلم الا بصلاه او قران كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنه مسيره كل قصر منهما مايه عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشا بني له قصر في الجنه فقال عمر اذن تكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله اكبر وافضل او قال اطيب وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعه ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشي فيما بين ذلك من امر الدنيا ويقرا في الركعه الاولى بفاتحه الكتاب وعشر ايات من اول البقره وايتين من وسطها والهكم اله واحد الى قوله يعقلون وقل هو الله احد خمس عشره مره ثم يركع ويسجد فاذا قام الى الركعه الثانيه قرا فاتحه الكتاب وايه الكرسي وايتين بعدها الى قوله هم فيها خالدون وثلث ايات من اخر سوره البقره من قوله لله ما في السموات الى اخرها وقل هو الله احد

خمسه عشر مره ووصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر وقال كرز بن وبره وهو من الابدال قلت للخضر عليه السلام علمني شيا اعمله في كل ليله فقال اذا صليت المغرب فقم الى صلاه العشا مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلاتك التي انت فيها وسلم في كل ركعتين واقرا في كل ركعه فاتحه الكتاب مره وقل هو الله احد ثلثا فاذا فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرا فاتحه الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات في كل ركعه ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوه الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والاخرين يا رحمن الدنيا والاخره ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك بهذا الدعا ثم نم حيث شيت مستقبل القبله على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم الصلاه عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعا فاوحي اليه به وكنت عنده وكان ذلك بحضرتي فتعلمته ممن علمه اياه وقال ان هذا الدعا وهذه الصلاه من داوم عليه بحسن يقين وصدق نيه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلى الجمله ما ورد في احيا ما بين العشاين كثير حتى قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بصلاه غير المكتوبه قال ما بين المغرب والعشا وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ما بين المغرب والعشا فان ذلك صلاه الاوابين وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورايته يصلي فسالته فقال نعم هي ساعه صلاه الغفله وكان انس يواظب عليه ويقول هي ناشيه الليل ويقول فيه نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال احمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان الداراني اصوم النهار واتعشى ما بين المغرب والعشا احب اليك ام افطر بالنهار واحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم تيسر قال افطر وصل ما بينهما

فضيلة قيام الليل   اما الايات فقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى
من ثلثي الليل الايه وقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال تعالى
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاه
قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهده النفس ومن الاخبار
قال صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على ناصيه احدكم اذا هو نام ثلث عقد يضرب
مكان كل عقده عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله عز وجل انحلت
عقده فان توضا انحلت عقده فان صلى انحلت عقده فاصبح نشيطا طيب النفس
والا اصبح خبيث النفس كسلان وفي خبر انه ذكر عنده رجل نام كل الليل
حتى اصبح فقال ذاك بال الشيطان في اذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا
ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه واذا العقه ذرب لسانه بالشر
واذا ذره نام الليل حتى يصبح وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين يركعهما العبد
في جوف الليل الاخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان اشق على امتي
لفرضتهما عليهم وقال المغيره بن شعبه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت
قدماه فقيل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون
عبدا شكورا ويظهر من معناه ان ذلك كنايه عن زياده الرتبه فان الشكر
سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريره
اتريد ان تكون رحمه الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا فقم من الليل فصل وانت تريد
رضا ربك يا ابا هريره صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السما كنور الكواكب والنجوم
عند اهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم
وان قيام الليل قربه الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطرده للدا عن الجسد
ومنهاه عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من امري تكون له صلاه بالليل يغلبه عليها
نوم الا كتب له اجر صلاته وكان نومه صدقه عليه وقال عليه السلام لابي ذر لو
اردت سفرا اعددت له عده فكيف سفر طريق القيامه الا انبيك يا ابا ذر بما ينفعك

ذلك اليوم

ذلك اليوم قال بلى بابي انت وامي قال صم يوما شديد الحر ليوم النشور وصل ركعتين في
ظلمه الليل لوحشه القبور وحج حجه لعظائم الامور وتصدق بصدقه على
مسكين او كلمه حق تقولها او كلمه شر تسكت عنها وروي انه كان على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجل اذا اخذ الناس مضاجعهم وهدات العيون قام
يصلي ويقرا القران ويقول يا رب النار اجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال اذا كان ذلك فاذنوني فاتاه فاستمع فلما اصبح قال يا فلان هلا سالت
الجنه فقال يا رسول الله اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث الا يسيرا
حتى نزل جبريل وقال اخبر فلانا ان الله تعالى قد اجاره وادخله الجنه ويروى
ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل
فاخبره النبي عليه السلام بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع
كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول نعم فيقعد يستغفر الله حتى
يطلع الفجر وقال علي بن الحسين شبع يحيى بن زكريا عليه السلام من خبز شعير
فنام عن ورده حتى اصبح فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى اوجدت دارا خيرا
لك من داري ام وجدت جوارا خيرا من جواري فوعزتي يا يحيى لو اطلعت الى
الفردوس اطلاعه لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى
جهنم اطلاعه لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد
المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل فاذا اصبح سرق
فقال سينهاه ما يعمل وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرا قام من الليل فصلى
ثم ايقظ اهله فصلت فان ابت نضح في وجهها الما ورحم الله امراه قامت
من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فصلى فان ابى نضحت في وجهه الما
وقال صلى الله عليه وسلم من استيقظ من الليل وايقظ امراته فصليا ركعتين
كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال عليه السلام افضل الصلاه بعد المكتوبه
قيام الليل   الاثار روي ان عمر رضي الله عنه كان يمر بالايه في

ورده بالليل فسقط حتى يعادهما اياما اشهره كما يعاد المريض وكان شعبة اذا هدأت العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح وتقال ان سفين الثوري شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى اصبح وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه يقلى عليه كما يقلى الحبة في المقلى ثم يثب ويصلي الى الصبح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن ما نعلم عملا اشد من كابدة الليل ونفقة هذا المال وقيل له ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفر فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف ان لا ينام بعده على فراش ابدا وكان عبد العزيز ابن ابي رواد اذا جن الليل ياتي فراشه فيمر يده عليه ويقول انك لين والله لفي الجنة الين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل اني لاستقبل الليل من اوله فيهولني طوله فافتتح القران فاصبح وما قضيت نهمتي وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن اشيم يصلي الليل كله فاذا كان في السحر قال الهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن اجرني من النار برحمتك وقال رجل لبعض الحكماء اني لاضعف عن قيام الليل فقال له يا اخي لا تعص الله بالنهار ولا تنم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان من جوف الليل قامت الجارية فقالت يا اهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت وما تصلون الا المكتوبة فقالوا لا فرجعت الى الحسن وقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون بالليل فردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل الا يسيره وقال ابو الجويرية صحبت ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه وكان ابو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي الليل كله فقال اني اوصف بما لا افعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله ويروى ان ابا حنيفة ما كان له فراش بالليل ويقال ان مالك بن دينار قام يردد هذه الاية ليلة حتى اصبح ام حسب

الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار توضا بعد العشاء ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار الهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فاي الرجلين مالك واي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا انا في المنام بجارية حسناء كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي اتحسن ان تقرا فقلت نعم فدفعت الي الرقعة فاذا فيها

االهتك اللذائذ والاماني عن البيض الاوانس في الجنان

تعيش مخلدا لا موت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان

تنبه من منامك ان خيرا من النوم التهجد بالقران

وقيل حج مسروق فما بات الا ساجدا وروي عن ازهر بن مغيث وكان من القوامين انه قال رايت في المنام امراة لا تشبه نساء اهل الدنيا فقلت لها من انت فقالت الحوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني الى سيدي وامهرني فقلت وما مهرك قالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني ان تحت العرش ملكا في صورة ديك قوائمه من لؤلؤ وصيصيه من زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحه وزقا وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحه وزقا وقال ليقم المصلون فاذا طلع الصبح ضرب بجناحه وقال ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم ويقال ان وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه الى الارض ثلثين سنة وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى وسادة لانها تدعو الى النوم وقال بعضهم رايت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمن التيمي فانه صلى لي الغداة بوضوء العشاء الاخرة اربعين سنة ويقال كان مذهبه ان النوم اذا خامر

القلب بطل الوضوء ويروى عن الله تعالى انه قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك

باب الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل

اعلم ان قيام الليل عسر على الخلق الا من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهر فاربعة امور. الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب عليه فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل يوم ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا وترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام. الثاني ان لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي تعيى بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب فان ذلك ايضا مجلبة للنوم. الثالث ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة على القيام بالليل. الرابع ان يجتنب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافى واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رايت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد فقلت فما ذاك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرا وردي البارحة وما ذاك الا بذنب اذنبته او احدثه وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال ابو سليمان الداراني لا تفوت احدا صلاة جماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بعد وكان يقول بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى اي شي تفطر فان العبد ليأكل الاكلة فيتقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حالته الاولى وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها

ويعرف ذلك

ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل اكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين كنت سجانا نيفا وثلثين سنة اسأل كل ماخوذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر واما الميسرات الباطنة فاربعة امور. الاول سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر في صلاته الا في مهماته ولا يجول الا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال. وانت اذا استيقظت ايضا فنائم. الثاني خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الاخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وحكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا ياتيه النوم وقيل لغلام اخر وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما اقدر ان انام وقال ذو النون المصري فيه

منع القران بوعده ووعيده … مقل العيون بليلها ان تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه … فرقابهم ذلت اليه تخضعا

وانشدوا

يا طويل الرقاد والغفلات … كثرة النوم تورث الحسرات
ان في القبر ان نزلت اليه … لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه … بذنوب عملت او حسنات
امنت البيات من ملك الموت … فكم نال امنا ببيات

الثالث ان يعرف فضل قيام الليل بسماع الايات والاخبار والاثار

حتى يحكم برجاوه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات
الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من غزوته وامراته كانت تنتظره فاشتهته
تلك الليلة فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى اصبح فقالت له زوجته ما انتظرتك فلما
قدمت صليت الى الصبح فقال والله اني كنت اتفكر في حور الجنة طول الليل فنسيت
الزوجة والمنزل فقمت طول الليل شوقا اليها الرابع وهو اشرف البواعث
الحب لله تعالى وقوة الايمان بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به
ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى
خطاب معه فاذا احب الله تعالى احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله
لذة المناجاة للحبيب على طول القيام ولا ينبغي ان يستبعد هذه اللذة اذ تشهد لها
العقل والنقل اما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او لملك
بسبب انعامه واموال كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول
ليله فان قلت ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله لا يرى فاعلم انه
لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او كان في بيت مظلم لكان يتلذذ بمجاورته المجردة
دون النظر ودون الطمع في امر اخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره
بلسانه بسمع منه وان كان ذلك ايضا معلوما عنده فان قلت انه ينتظر
جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله فاعلم انه ان كان يعلم انه لا
يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له لذة في عرض احواله عليه ورفع سريرته اليه كيف
والموقن يسمع من الله كلما يرد على خاطره في اثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا
الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء انعامه
والرجاء في حق الله تعالى اصدق وما عند الله خير وابقى وانفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ
بعرض الحاجات عليه في الخلوات واما النقل فتشهد له احوال
قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب
حتى قيل لبعضهم كيف انت والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته

بعد وقال



بعد وقال الاخر انا والليل فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر
وقيل لبعضهم كيف الليل عليك قال ساعة انا فيها بين حالتين افرح بظلمته اذا جاء
واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط وقال علي بن بكار منذ اربعين سنة
ما احزنني شي سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس
فرحت بالظلام لخلوتي بربي واذا طلعت حزنت لدخول الناس علي
وقال ابو سليمان اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما
احببت البقاء في الدنيا وقال ايضا لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما
يجدونه من اللذة لكان اكثر من ثواب اعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا
وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة
المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليس من الدنيا انما هي من الجنة اظهرها
الله لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي من اللذات في الدنيا الا
ثلث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة في جماعة وقال بعض العارفين
ان الله تعالى ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملأها انوارا فترد الفوائد
على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي الى قلوب الغافلين وقال بعضهم
من العلماء ان الله تعالى اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبونني
واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكرونني واذكرهم وينظرون الي
وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب
وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى
غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط
الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني
بكلامي فمن بين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي
ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما
اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارضون وما فيهما في موازينهم لاستقللتها

لهم والسالمة اقبل بوجهي عليهم مترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار قال وكانوا يرون ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب الرب من القلب وهذا سر تحقيق وسياتي الاشارة اليه في كتاب المحبة وفي الاخبار عن الله تعالى اي عبدي انا الله الذي اقتربت لقلبك وبالغيب رايت نوري وشكى بعض المريدين الى استاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال الاستاذ يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المستيقظة وتخطي القلوب النايمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل ارجى لما في قيام الليل من صفا القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الليل ساعة لا يوافيها عبد مسلم يسال الله تعالى خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية اخرى يسال الله تعالى خيرا من امر الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وذلك كل ليلة ومطلوب القايمين بالليل تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة

بيان طرق القسمة لاجزا الليل

اعلم ان احيا الليل من حيث المقدار له سبع مراتب الاولى احيا الليل كله وهذا شان الاقويا الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذا لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشا حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاووس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وابو عبدالله

الخواص وابو عاصم العبادانيان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت ويحيى البكا البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقراه مرة اخرى وايضا من اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر وجماعة يكثر عددهم

الرتبة الثانية ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس الاخير منه حتى تقع قيامه في جوف الليل ووسطه وهو الافضل

الرتبة الثالثة ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم اخر الليل محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه وقالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر من اخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى ياتيه بلال فيوذنه بالصلاة وقالت ايضا ما الفيته السحر الا نايما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة والمشاهدة من ورا حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من اوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلام

الرتبة الرابعة ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضله ان يكون في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه

الرتبة الخامسة ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه وربما يضطرب في ليالي الغيم ولكن يقوم في اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وقد كان هذا من اخلاق

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض السلف يقول عند اول نومه فاذا انتبه ثم عاد
فلا انام الله عيني فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على
ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل او ثلثه او سدسه يختلف ذلك في الليالي
ويدل عليه قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه
كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وثلثه
فقد قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ
يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروي عن واحد انه قال راعيت
صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم
استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا
تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت
قد صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال
ما قال اول مرة وفعل ما فعل اول مرة الرتبة السادسة وهي الاقل
ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او تعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبلا
للقبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة
الله وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فبهذه طرق
القسمة فليتخير المريد لنفسه ما رآه ايسر عليه وحيث تعذر عليه القيام في
وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشائين والورد الذي بعد العشاء ثم
يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي الليل وهذه
فهذه هي الرتبة السابعة ومهما كان النظر الى المقدار فرتبت هذه المراتب
بحسب طول الوقت وقصره واما الرتبة الخامسة والسابعة
لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجري امرهما في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور
اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة

بيان الليالي

بيان الليالي والايام الفاضلة

اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل
التي يتأكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل
المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر
عن المواسم لم يربح ومهما غفل المريد عن فضائل الاوقات لم يربح فسبعة
من هذه الليالي في شهر رمضان ستة هي اوتار العشر الاخير اذ فيها تطلب
ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان وهي ليلة صبيحة يوم الفرقان
يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير هي ليلة القدر
واما الليالي الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من
رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلاة
ماثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن
صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن
ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من امر آخرته ودنياه ويصبح صائما فان الله تعالى
يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في معصية وليلة النصف من شعبان
ففيها مائة ركعة في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات بعد الفاتحة كانوا لا
يتركونها كما اوردناه في التطوع وليلة عرفة وليلتا العيد قال صلى الله عليه وسلم
من احيا ليلتي العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب واما الايام
الفاضلة فهي تسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء
ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم قال صلى الله عليه وسلم من صام يوم سبعة وعشرين
من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهذا اليوم الذي هبط فيه جبريل
عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان ويوم النصف
من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيدين والايام المعلومات وهي عشر ذي الحجة والايام

المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة
وقال بعض العلماء من اخذ مهناه في الايام الخمسة في الدنيا لم ينل مهناه في
الاخرة واراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشورا ومن فواضل الايام
في الاسبوع الاثنين والخميس يرفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضايل
الاشهر والايام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة الى الاعادة والله اعلم
بالصواب

والله المرجع والمآب

تم ربع العبادات من كتاب احيا علوم الدين رحمة الله على
مصنفه ويتلوه ان شا الله تعالى ربع العادات
والله يسهل اتمامه بمنه وعونه في لطفه ورحمته
والحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلامه



